حكاية جماعات العنف في مصر
من الانحراف إلى فكر الخوارج

في سبيل بناء وعي إيجابي
للجيل الصاعد

أسامة شحادة
www.osamashahade.com

حكاية جماعات العنف في مصر
من الانحراف إلى فكر الخوارج

(في سبيل بناء وعي إيجابي للجيل الصاعد)

أسامة شحادة
www.osamashahade.com

الطبعة الاولى 1442 هـ - 2021 م
عمان الاردن

المحتويات

مقدمة	٤
الخلفية التاريخية:	٩
مصر تحت الاحتلال:	٩
مصر تحت حكم جمال عبد الناصر:	١٢
١- جماعة الجهاد، نبيل البرعي ١٩٥٨م	١٨
٢- تنظيم الكلية الفنية العسكرية، صالح سرية ١٩٧٤م	٣١
٣- جماعة المسلمين، شكري مصطفى	٦٩
٤- عملية اغتيال السادات	٩٩
٥- الجماعة الإسلامية بين العنف والمراجعات	١٢١
٦- تطور تنظيم الجهاد للذوبان في تنظيم القاعدة	١٣٨
٧- تنظيم الشوقيين وتنظيم الناجين من النار	١٥٧
نظرة تحليلية لواقع تنظيمات العنف وسماتها وأخطاؤها وتكرارها في التجارب اللاحقة في مناطق شتى من العالم	١٦٥
وأخيراً	١٩٢

”أسأل اللّه عز وجل أن يكون في هذه الدراسة نفع وخير لشباب الإسلام تبصرهم بتجارب مرة وخاطئة ليتجنبوها وحتى أساهم في ازدهار مسيرة الدعوة الإسلامية السليمة وسعي أمتنا نحو التقدم والقوة والرفعة باتباع منهج الأنبياء بالدعوة لتوحيد اللّه عز وجل وتحكيم شرعه في الأرض بالحكمة والعلم والوعي والجهاد الصحيح.“

مقدمة

مقدمة

تفاقمت ظاهرة الغلو والتطرف والإرهاب في واقعنا المعاصر لتصبح من أكبر التحديات التي تشهدها أمتنا اليوم بعد أن كانت ردة فعل ساذجة، وهذه طبيعة الضلال والانحراف، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالبدع تكون في أولها شبراً، ثم تكثر في الأتباع، حتى تصير أذرعاً، وأميالاً، وفراسخ»[1]، وهذا واقع في تطور فكر جماعات العنف عبر عدة عقود حيث أصبح تكفير غالبية المسلمين هو معتقدها بعد أن كان الدفاع عن المسلمين هو مبرر تشكيلها!

لقد تطورت هذه الجماعات لتصبح جماعات منظمة وقوية، وتسببت بالكثير الكثير من الكوارث للإسلام والمسلمين، وأصبحت أيضا أداة في أيدي القوى الدولية والإقليمية، التي آوت قياداتها سنوات طويلة ولا تزال، واستغلتهم ووظفتهم لتنفيذ بعض مخططاتها، كما أن وجود هذه الجماعات وما ارتكبته من جرائم كان السبب لكثير من الغزو والاحتلال والتدمير من الخارج والداخل لعدد من الدول الإسلامية، وتم الاحتجاج بمحاربة الإرهاب من الخارج والداخل للتضييق على الإسلام والمسلمين، مما يساهم بدوره في توسيع دائرة الغلو والتطرف والإرهاب بتوفير مبررات للغضب والتهور من جهة، ويكرّس حالة الجهل بإقصاء ومحاصرة أهل العلم والعمل الإسلامي الصحيح.

إن ظاهرة الغلو والتطرف والإرهاب هي حالة متكررة في التاريخ الإسلامي كما أخبر عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عنهم: «كلما خرج لهم قرن قطع – أكثر من عشرين مرة – حتى يخرج في عِراضهم[2] الدجال» رواه ابن ماجه وصححه الألباني، حيث تبدأ بذرة الغلو والتطرف بالجهل بالإسلام والتهور لتنمو بشكل مدمّر

١- مجموع الفتاوى، ٤٢٥/٨.

٢- عراضهم: أي في فتنتهم فيخدعهم ويتبعونه، وفي رواية (في أعراضهم) أي في جيشهم الكبير.

بدعم وتحريض من أعداء الإسلام، بدايةً من ابن سبأ الذي بتحريضه للجهلة من الغوغاء تم قتل الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان، رضي الله عنه.

لقد أضرّ التهاون في علاج ظاهرة الغلو المعاصرة بشكل سليم وشامل بالمصالح الإسلامية بشكل ضخم جدًا، ولعل من أبرز هذه الأضرار التي يراها الجميع اليوم قيام الغلاة والدواعش الخوارج وإخوانهم بقتل الثوار في ظهورهم في سوريا والعراق واليمن وغيرها.

نعم، تم تضخيم الغلو والتطرف والإرهاب المنسوب للإسلام عالميا من قبل أعداء الأمة الإسلامية في الداخل والخارج، وتم التغاضي عن جرائم الإرهاب اليهودي والنصراني والبوذي والشيوعي والعلماني والشيعي، لكن للأسف فإن الغلو والتطرف والإرهاب المنسوب للإسلام أصبح أداة لهؤلاء المجرمين لضرب الإسلام والمسلمين السنّة، فبوصلة هؤلاء المتطرفين هي أولوية حرب المرتدين – وهم في اعتقادهم جمهور المسلمين – على حرب الكفار، ومن أمثلة ذلك إعلان الغلاة أن محاربة الدول والحركات الإسلامية مقدمة على محاربة اليهود والنصارى! وهو يشابه تماما شعار الخميني «الطريق للقدس يمر ببغداد»، والذي طوّر في عهد خليفته خامنئي من أن الطريق للقدس يمر أولاً ببغداد ودمشق وبيروت وصنعاء وبقية العواصم العربية!

ومن اللافت للنظر أن غالب الدراسات عن هذه الجماعات صدرت عن خصوم الإسلام نفسه لا خصوم الغلو والتطرف وسعت لإدانة الإسلام ذاته من خلال الزعم بأن منهج هذه الجماعات وسلوكها هو حقيقة الإسلام، كما هو الحال في كتابات اليساريين والعلمانيين والإعلاميين العرب وأيضا غالب الدراسات الاستشراقية والغربية، بينما الكتابات الإسلامية قليلة وضعيفة غالبا، وبعضها يركّز على البعد الشرعي بإبراز انحراف هذه الجماعات وتغفل البحث عن السياق التاريخي والسياسي الذي ظهرت فيه، وتغفل عن التوظيف الأمني لها من قبل القوى السياسية والأمنية المحلية والإقليمية والدولية.

في هذا البحث أتناول العوامل التاريخية والسياسية والأمنية والثقافية لظهور جماعات الغلو والعنف والقتال ومن ثم مسار تطورها التاريخي ومسار تطور انحرافها الفكري ونتائجها الكارثية على الإسلام والمسلمين، مع التنبيه على الثغرات التي تضخمت وتفاقمت من خلالها هذه الظاهرة السلبية، وذلك في مصر إطارًا مكانيًا وسيكون الإطار الزمني الذي نتناوله في هذه الدراسة هو المدة الواقعة عقب انتهاء حقبة الاحتلال الأجنبي وقيام الدول العربية (المستقلة) والتي لم تلبِّ طموحات شعوبها، وتصادمت مع هوية الجماهير مما ولّد مناخا مأزوما، وظهرت فيه ردات فعل عنيفة، عُرفت بجماعات الجهاد، ولذلك استعرضت الدراسة جماعات العنف المصرية بين عامي ١٩٥٨ – ٢٠١٣، ولم أتمكن من بحث جماعات العنف التي نشأت بعد عام ٢٠١٣ أو كانت في سيناء على وجه الخصوص لقلة توافر المصادر لدي، وإن كانت في خطوطها العامة لن تخرج عما سبقها من مجموعات وجماعات وتجارب.

وتناولت الدراسة ما يلي:

- مقدمة.
- خلفية تاريخية.
- جماعة الجهاد، تنظيم نبيل البرعي سنة ١٩٥٨.
- تنظيم الكلية الفنية العسكرية، صالح سرية، ١٩٧٤.
- جماعة المسلمين، شكري مصطفى.
- عملية اغتيال السادات:
  - تنظيم محمد عبد السلام فرج.
  - تنظيم سالم الرحال.
  - الجماعة الإسلامية.

- الجماعة الإسلامية بين العنف والمراجعات.
- تطور تنظيم الجهاد للذوبان في تنظيم القاعدة.
- تنظيم الشوقيين وتنظيم الناجين من النار.
- نظرة تحليلية لواقع تنظيمات العنف وسماتها وأخطائها وتكرارها في التجارب اللاحقة في مناطق شتى من العالم.

وفي الختام أسأل الله عز وجل أن يكون في هذه الدراسة نفع وخير لشباب الإسلام تبصرهم بتجارب مرة وخاطئة ليتجنبوها وحتى أساهم في ازدهار مسيرة الدعوة الإسلامية السليمة وسعي أمتنا نحو التقدم والقوة والرفعة باتباع منهج الأنبياء بالدعوة لتوحيد الله عز وجل وتحكيم شرعه في الأرض بالحكمة والعلم والوعي والجهاد الصحيح.

أسامة شحادة
عمان – الأردن
ربيع الآخر ١٤٤١ – كانون الثاني ٢٠١٩

الخلفية التاريخية

رئيس الوزراء المصري جمال عبد الناصر ووزير الدولة البريطاني أنتوني نوتنغ يوقعان على الاتفاقية الأنجلو - مصرية في قاعة الفرعونية بمجلس النواب في مبنى البرلمان أكتوبر 1954

الخلفية التاريخية[1]:

مصر تحت الاحتلال:

مع ضعف الدولة العثمانية تعرضت مصر للاحتلال الفرنسي بقيادة نابليون بونابرت عام ١٧٩٨م، لكن لم يتمكن الفرنسيون من البقاء في مصر إلا ثلاث سنوات بسبب مقاومة المصريين للاحتلال ورفض السيطرة الفرنسية برغم مزاعم نابليون أنه لا يريد الإسلام بسوء، وأنه أسلم!!

لكن ضعف العثمانيين واضطراب أحوالهم لم يهيئ لمصر حاكما عادلا يقوم بشأنها، حتى تم تعيين محمد علي باشا عام ١٨٠٥م والياً على مصر باختيار الشعب والعلماء والوجهاء له، فقام بشؤون مصر مع ظلم وبطش، وتعاون مع الأوربيين، وجعل الحكم في ذريته.

سار أحفاد محمد علي على طريقة جدّهم فتعاونوا مع الفرنسيين لشق قناة السويس، وترتب على ذلك وعلى التبذير على أمور لا أهمية لها ديون على مصر للغرب، مما تسبب في بيع نصيب مصر من قناة السويس للإنجليز لسداد الديون!! وفتح الباب أمام النفوذ الأوربي بحجة حماية حقوقها المالية في مصر، حتى وصل هذا النفوذ لدرجة فرض وزيرين أوروبيين في الحكومة المصرية! مما تزايدت معه المظالم والفساد في مصر، ودَعت أحمد عرابي للثورة ضد حكم احفاد محمد علي بتحريض فرنسي وبريطاني.

وعندما شعر الخديوي توفيق بالهزيمة وزال ملكه طلب من الإنجليز حماية ملكه وعرشه، فتدخل الإنجليز وانتهزوا هذه الفرصة التي حققت لهم أطماعهم بغزو مصر، فافتعلوا مذبحة

١. انظر: كتاب موجز تاريخ مصر في الحقبة العلمانية ١٨٠٩,١٩٨٦، أسامة حميد، نسخة الكترونية.

للنصارى في الإسكندرية لتكون سبباً لاحتلالهم لمصر عام ١٨٨٢م بزعم حماية رعاياهم، وبذلك بدأ الاحتلال البريطاني لمصر، والذي استمر سبعين سنة (١٨٨٢ – ١٩٥٦).

كان للاحتلال البريطاني مفاسد كبيرة على مصر، على كافة الأصعدة، فقد هاجم هويتها العربية والإسلامية عبر محاربة اللغة العربية وإضعاف الأزهر وتشجيع الحركات الهدامة والأحزاب السياسية العميلة لخلخلة أفكار المجتمع المصري، وحلّ الجيش، وأعاد تشكيله مع تقليل عدده، وأغلق مصانع الأسلحة لإضعاف قوة مصر، وشجّع على نشر الخمارات والحشيش ودور البغاء في كل مكان لإلهاء الشباب ونشر الفساد، فظهر التبرج ونزع الحجاب، وفرض التعليم المدني لمحاربة الدين وإنتاج موظفين ينفّذون له مصالحه على حساب مصالح مصر فتزايدت نسبة الأميّة بشكل رهيب، وسعى الاحتلال لتغيير القوانين وربط الاقتصاد المصري بالصناعات الإنجليزية فخربت الزراعة وتراجعت الصناعة، وصادر الاحتلال استقلال مصر، وألغى البرلمان والدستور، وفرض مستشارين بريطانيين على الوزارات المصرية.

لم يستكِن الشعب المصري للاحتلال البريطاني كذلك، وقاومه بشكل مستمر حتى توجت بثورة ١٩١٩م، والتي كان للأزهر ورجاله والقوى الإسلامية والوطنية الدور الأكبر فيها، وتواصلت المقاومة بعد انطفاء الثورة ضد الاحتلال، وقدّم الفدائيون المصريون بطولات رائعة حتى عجزت بريطانيا عن حماية جنودها وقواعدها في مصر من هجماتهم.

بدأ زوال الاحتلال عام ١٩٥٢م من خلال الإطاحة بالنظام الملكي الذي كان يهيمن عليه الاحتلال، من خلال تعاون الضباط الأحرار وجماعة الإخوان المسلمين، فقد كان لجمال عبد الناصر صلة بجماعة الإخوان حيث يؤكد البعض أنه كان عضوا بتنظيم الإخوان في الجيش المصري منذ عام ١٩٤٤م، لكنه استطاع أن يتجاوز تنظيم الإخوان ويؤسس تنظيما عسكريا جديدا، وأبقى معه فيه أعضاء من الجماعة، وقد قام الإخوان ليلة

انقلاب ٥٢ بحماية السفارات والهيئات وضبط الشارع والتصدي لأي تحرك من القاعدة البريطانية في القناة تجاه القاهرة ضد الانقلاب[١].

وبرغم سقوط الحكم الملكي إلا أن الاحتلال البريطاني استمر عدة سنوات، ومن خلال المفاوضات بين الثورة والاحتلال تم الوصول إلى اتفاق عام ١٩٥٤م على جلاء القوات البريطانية عن منطقة القناة خلال عشرين شهرًا، وفعلا تم انتهاء الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٩٥٦م.

وكان الشعب المصري ينتظر من حكومة الثورة مراعاة مصالحه وهويته ولكن سرعان ما ظهرت الأجندة الخفية لجمال عبد الناصر وحدث الصدام مع قطاعات واسعة من الشعب المصري.

الرئيس المصري محمد نجيب والضباط الأحرار أثناء الاحتفال بثورة 23 يوليو 1952 وسط ترحيب شعبي

١- شهادة عبد اللطيف البغدادي، في كتاب أحمد حمروش «قصة ثورة ٢٣ يوليو»، ٣٠٩/٤.

مصر تحت حكم جمال عبد الناصر:

رحب المصريون بالانقلاب على النظام الملكي رغبة بالتحرر من الاحتلال الأجنبي واستعادة حقوقهم وحريتهم ولكن سياسات عبد الناصر فاجأتهم فقد كانت تستهدف إقصاء العديد من القوى والمؤسسات الإسلامية والوطنية التي كانت لها مساهمة فاعلة في تحرر مصر من الاحتلال.

١- قوانين استهدفت الإسلام والمؤسسات الإسلامية الرسمية والأهلية:

فبعد أشهر معدودة من نجاح الثورة ورغم بقاء الاحتلال البريطاني أصدر جمال عبد الناصر مرسوماً بإلغاء الوقف الأهلي، وهو القرار الذي خشي الإنجليز القيام به طيلة احتلالهم لمصر! فصادرت الدولة ١٣٧ ألف فدان من أراضي الأوقاف الإسلامية خاصة، التي كانت تدرّ على الأزهر حوالي ٨ ملايين جنيه في السنة، لتطويع الأزهر عبر تجفيف موارده المالية التي كانت تمدّه بالاستقلالية والقوة في وجه المستعمر والمستبد على الدوام، وقد تم استثناء الكنائس من قانون ضمّ الأوقاف!

ومن جهة أخرى، تمكّن عبد الناصر من خلال هذه المصادرة للموارد المالية من شراء ولاءات بعض العلماء بالمنح والمنع، مما يشير لوضوح خريطة عبد الناصر ومعرفته بمن قد يتصدى لأجندته الخفيّة ذات الأيدلوجية الاشتراكية.

وفي عام ١٩٥٣م قام بعض الضباط الأحرار ذوي الخلفية الإسلامية والمشاركين في الثورة مع عبد الناصر بمحاولة الانقلاب عليه بسبب محاولته حذف المادة الثانية من الدستور والتي تنصّ على أن الإسلام دين الدولة، ويبدو أن هذا التحرك دعا عبد الناصر للتراجع عن هذه الخطوة، لكننا وعوضا عن ذلك نجده يحذف هذه المادة من دستور دولة الوحدة بين مصر وسوريا سنة ١٩٥٨م!

ثم قام عبد الناصر في عام ١٩٥٥م بإلغاء المحاكم الشرعية التابعة للأزهر بعد حملة تشويه إعلامية مدبرة، إثر مسرحية مدبرة وتهمة ملفقة لاثنين من قضاة المحكمة الشرعية بالاسكندرية أنهما طلبا رشوة جنسية من إحدى المطلّقات للحكم لصالحها، بحيث أتم عبد الناصر المسيرة العلمانية الطويلة في العدوان على القضاء الشرعي المصري وحصره في الأحوال الشخصية وإلحاقه أيضا بالمحاكم المدنية العلمانية، تلك المسيرة في هدم القضاء الشرعي التي بدأها نابليون عام ١٧٩٨م، وأكملها الإنجليز، وختمها عبد الناصر باسم التحرر من الاحتلال!

وفي عام ١٩٦١م أصدر عبد الناصر قانون الأزهر، الذي ألغى فيه هيئة كبار العلماء، وقلّص سلطات شيخ الأزهر، وأطلق يد وزير الأوقاف في تعيينات مشيخة الأزهر ووكيله، وحتى يستتبّ له الأمر بدأ بتعيين مجموعة من الضباط من القوات المسلحة كمدراء مؤقتين لإدارة الأزهر للسيطرة عليه والقضاء على أي معارضة من علمائه وشيوخه، كما أعيدت هيكلة مجلس الأزهر بضم ثلاث شخصيات غير شرعية لمجلس الأزهر الأعلى تحت عنوان «خبراء في التعليم الجامعي» وأضيف ممثلون من وزارات الأوقاف والتعليم والعدل والمالية، وشخصيات ذات تخصصات غير شرعية للأزهر لتمييع هويته الدينية، وعبر إدخال عمداء يمثلون مجالات غير دينية في المجلس الأعلى للأزهر، تحوّل الأزهر بذلك من مؤسسة محدودة تتمتع بدرجة عالية من الاستقلالية إلى مؤسسة كبيرة فاقدة لاستقلاليتها.

هذا كله أحدث صِداما داخل المؤسسة الدينية، الممثلة بالأزهر ووزارة الأوقاف، على طريقة «فرّق تسد» مما أضعف الطرفين، لتقوى بضعفهما توجهات أخرى ترى في الاشتراكية والعلمانية الملاذ الأوحد كما صرّح، يوما ما، طه حسين، الوزير والأديب المشهور.

ولم يقف الأمر عند ذلك، فقد شهد عام ١٩٦٣م إعادة فحص لمواقف علماء الأزهر،

ومن ثبت عليه رفض سياسات عبد الناصر وتوجهاته تم فصله عبر لجان شكّلت لهذه الغاية، وكانت النتيجة لهذه السياسات العدائية للأزهر أن انخفض عدد علمائه من ٢٩٨ عالما سنة ١٩٥٩م ليصبح ١٧٠ عالما فقط سنة ١٩٦٨م، مما أضعف الأزهر وأضعف الحالة الإسلامية في مصر.

وعمد عبد الناصر لاستغلال بعض الشخصيات الأزهرية التي لها أطماع في الزعامة والرياسة لتمرير الكثير من سياساته المخربة، وبذلك فقد الأزهر بوصلته، وأصبح تابعاً للحكومة الناصرية الاشتراكية وأجندتها في مصر والعالم العربي والإسلامي بدلا من أن يكون منبراً للإسلام ومصالحه.

وضِمن سياساته المعادية للمؤسسات الإسلامية، أصدر عبد الناصر عام ١٩٦٧م قراراً بحلّ الجمعيات الإسلامية المستقلة كأنصار السنة المحمدية والجمعية الشرعية ووضعها تحت وصاية الدولة، وعيّن أحد ضباط الجيش للإشراف عليها جميعاً.

٢- عبد الناصر وخدمة اليهود:

بغضّ النظر عن الاتهامات القوية لجمال عبد الناصر بكونه يهوديا، فإن مسيرته قبل الانقلاب وبعده قدمت خدمات جليلة لليهود برغم الشعارات الرنانة ضدهم، والتي يقلدها اليوم محور الممانعة الإيراني والشيعي.

فعبد الناصر ورفاقه شاركوا في حرب عام ١٩٤٨م وفشلوا في ذلك فشلاً ذريعاً، وحوصروا في منطقة غزة، وقد تفاوض عبد الناصر مع اليهود بشكل شخصي ومباشر إذ كانوا يأخذونه لمعسكراتهم بتلك الحجة![١]

١- يوميات عبد الناصر عن حرب فلسطين، تقديم محمد حسين هيكل، ص ٨٣، عبد الناصر في تل أبيب القصة الكاملة لمشاريع التفاوض مع إسرائيل، رشاد كامل، ص: ٣٧، ٥٥، ٩٦.

وعقب نجاح انقلاب الضباط الأحرار بقيادة عبد الناصر تواصل مع اليهود في إسرائيل وأخبرهم بنيّته حل الخلاف والصراع معهم، وقبل التفاوض السري معهم سنة ١٩٥٣م بينما رفض العربُ كلّهم التفاوض مع اليهود علنا وسرا!

وقد ضيّق عبد الناصر على مجموعات البدو التي كانت تهاجم إسرائيل في عام ١٩٥٤ وحاكمهم وسجنهم بتهمة مهاجمة إسرائيل وتوريط الجيش المصري، كما لا تزال تفْعل القيادة السورية لليوم بذريعة أنها هي من يختار توقيت المعركة مع إسرائيل!

وبخيانةٍ أو غباء تسبب عبد الناصر بوقوع العدوان الثلاثي على مصر وانتصار اليهود وتسليمهم سيناء والأسلحة والمعدات الضخمة كما فعل نوري المالكي مع داعش في الموصل في ٢٠١٤، وبسبب ذلك وافق عبد الناصر لليهود بالملاحة في مضائق تيران وخليج العقبة بين عامي ١٩٥٦،١٩٦٧ دون أن يعلن ذلك، ومنع الفدائيين من مهاجمة إسرائيل!

ورغم دخول عبد الناصر في حالة حرب مع اليهود سنة ١٩٦٧ من خلال طرد القوات الدولية في سيناء للتغطية على مهادنته للملاحة اليهودية فإنه رفض القيام بالضربة الأولى كما نصحه مستشاروه مما عرّض الجيش المصري، وخاصة الطيران الحربي، للدمار وضربه على أرضه لأنه كان مشغولا بالسهرات الراقصة!

٣- تخريب أحوال مصر:

برغم شعارات عبد الناصر عن الحرية والكرامة والازدهار، إلا أن الديكتاتورية هي التي عمّت مصر، وتراجعت الحالة النيابية والحزبية والإعلامية، وفُتحت السجون وقُتل الأبرياء وجرى تعذيب الآلاف بشكل بشع ورهيب.

وتحوّلت مصر من دولة غنية في زمن الملك فاروق إلى دولة مدينة في نهاية حكم عبد الناصر بسبب الفساد وسرقة خيراتها، وتراجعت خدماتها العامة بعد أن كانت متقدمة وراقية، فتراجع اقتصادها وانهارت عملتها، وبعد أن كانت السودان جزءا من مصر تخلى عنها جمال عبد الناصر رائد الوحدة العربية!

وهذا الوضع الاقتصادي سيفسّر فيما بعد جزءا من اسباب ظهور ظاهرة العنف، حيث يلخّص د.رفعت السيد أحمد العوامل الموضوعية لظهور فكر العنف بـ: الفقر، حيث كان هناك حزام من مناطق الفقر يحيط بالقاهرة، وظاهرة تقليد الغرب (الاغتراب) وهجران التقاليد والهوية الدينية، وفقدان القدوة لدى النخبة المؤثرة والسياسية[1].

وهنا نتساءل: هل كان النظام الناصري يقصد ويهدف إلى ظهور جيل إسلامي عنيف يبرر له أمام الشعب استمرار وتصاعد سياسته الديكتاتورية كما فعل بشار الأسد ضد الثورة السورية؟ أم أن ذلك كان جهلا وسذاجة بنتائج سياساته القمعية المعادية للحرية والمعادية لهوية المجتمع المصري الإسلامية، أم كان هناك طرف ثالث يراقب وانتهز الفرصة لبذر الغلو والتطرف على غرار ابن سبأ في زمن الراشدين؟

ففي هذه الأجواء بدأ فكر العنف والتطرف ومسيرة الغلو والإرهاب التي ستتصاعد لتصبح طوفانا عابرا للدول، يدمّر ويخرّب، وبسبب هذه الظروف الموضوعية السيئة والمعادية للدين والإسلام من قبل السلطة العلمانية الحاكمة ظهر جيل يعالج تطرف السلطة وظلمها بتطرف مضاد، حيث كانت البداية مع الشاب نبيل البرعي، مؤسس جماعة الجهاد.

ويقرّر الدكتور محمد مورو أن هناك ثلاثة روافد لفكر العنف في مصر هي: تنظيم الجهاد، وجماعة التكفير والهجرة أتباع شكري مصطفي، والجماعة الإسلامية[2]، وسوف نعتمد على هذه الخطوط الثلاثة لدراسة وفهم تاريخ وتطورات هذه الروافد الثلاثة.

١- النبيّ المسلح، رفعت السيد أحمد، ١٣/١.

١- الإسلام السياسي (الحركات الإسلامية)، د. محمد مورو، ص ٤٥٤. وهو يعتمد في هذا التقسيم على صلاته الشخصية بكثير من قادة الجهاد الذين التقاهم في السجن ص ١٧٧.

1

جماعة الجهاد، نبيل البرعي 1958م

محاكمة عناصر جماعة الجهاد

١- جماعة الجهاد، نبيل البرعي ١٩٥٨م

خلفية المؤسس:

حين ولدت فكرة هذا التنظيم على يد نبيل برعي في عام ١٩٥٨ كان برعي يبلغ من العمر آنذاك ٢٢ سنة، ويقول البعض إنه كان عضوا بجماعة الإخوان المسلمين وسجن مع أفرادها لكنه انشقّ عنهم لاحقا[١]، وبحسب رواية نبيل برعي عن نفسه، فإنه قد عثر يوماً ما على أحد كتب ابن تيمية على سور الأزبكية، في إطار اهتمامات شاب متدين بالكتب الدينية، مما جعل د. هاني نسيرة يعلّق على علاقة جماعات العنف بابن تيمية بأنها «جاءت مصادفة»[٢].

وما إن قرأ برعي هذا الكتاب حتى أُعجب بابن تيمية، ثم شرع في البحث عن بقية كتبه لقراءتها والتزود منها، ومما أثار إعجاب برعي بشخصية ابن تيمية مشاركته في صدّ الغزو المغولي عن بلاد الإسلام، ومن ثم موته في سجن القلعة بسبب مواقفه السياسية.

تفاعل برعي بسطحية وعاطفية مع شخصية وتجربة شيخ الإسلام ابن تيمية وأنزلها على الواقع السياسي المصري المأزوم بسياسات عبد الناصر العدائية تجاه الإسلام دون وعي بالفروق بين الحالتين، «واعتبر أن الطريق الصحيح لتعديل مسار العالم الإسلامي يكمن في ممارسة الجهاد، وأن غياب هذا الجهاد هو السبب في الأحوال المتردّية التي يعاني منها العالم

١- النبي المسلح، د. رفعت سيد أحمد، ١٢/١، وفي كراسته الحركات الإسلامية الراديكالية في مصر والصادرة عن مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق ببيروت، ص ٧، لكن عبد المنعم منيب ينقل نفي ذلك عن نبيل نفسه في كتابه خريطة الحركات الإسلامية في مصر، ص ٤٥، وكتابه التنظيم والتنظير تنظيم الجهاد وشبكة القاعدة، ص ٢٠.

٢- متاهة الحاكمية: أخطاء الجهاديين في فهم ابن تيمية، د. هاني نسيرة، ص ١٥٤، الإسلام السياسي (الحركات الإسلامية)، محمد مورو ص ١٨٢.

الإسلامي... وانتهى نبيل البرعي إلى أن وسيلة التغيير الوحيدة المتاحة أمامه هي العمل السري المسلح»[1] وأدّى ذلك إلى ظهور أول خلية لتنظيم الجهاد عام ١٩٦٠.

دور المناخ الثوري السائد في تشكل أفكار نبيل برعي وجيله

في تلك الفترة التي ظهرت فيها جماعة الجهاد كانت المنطقة العربية لا تعرف آليةً لتغيير السلطة إلا بالانقلابات العسكرية التي قام بها جمع من القيادات المحسوبة على التيارات اليسارية والقومية كما حصل في سوريا، والعراق، وفي مصر، وغيرها من الدول، حيث نجحت في تحقيق ما تصبو إليه، من حكم ثوري فردي يغلب عليه تصفية الخصوم، بطريقة أو بأخرى.

ساهم هذا المناخ في تقليد التنظيمات ذات الأرضية الإسلامية بشكل عام لهذه الأفكار واستراتيجيات اليسارية، إذ من الطبيعي أن أول فكرة سترِد على عقل من يريد التغيير هو أن يغيره على الطريقة المألوفة في عصره، وهذا ما حدث مع الشاب نبيل البرعي، وهذا السياق الثوري يمكن أن يفسّر قيام حزب التحرير الإسلامي بتنفيذ محاولة انقلاب عسكري في الأردن سنة [2]١٩٦٨، ويبين د. كمال حبيب أن فكرة الانقلاب العسكري تم تبريرها بأنها أقرب للروح الإسلامية لكونها أقل سفكاً للدماء من الثورة الشعبية[3]!

لقد تشكلت قناعة بُرعي بضرورة إنشاء تنظيم سرّي مسلح في داخل الجيش للقيام بانقلاب عسكري من خلال نشر فكرة الجهاد وحث المتقبلين لها على دخول الجيش ونشر هذه الفكرة بين أعضاء الجيش في تكرار لتجربة الضباط الأحرار، لكن مع تجنب خطأ الإخوان بعدم صهر الضباط في رؤية إسلامية، مما تسبب في انقلاب عبد الناصر على الإخوان[4]!

١- الإسلام السياسي (الحركات الإسلامية)، محمد مورو، ص ١٨٣.
٢- الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية، تحرير فيصل دراج وجمال باروت، ٨٨/٢.
٣- الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة، كمال حبيب، ص ٣٨.
٤- خريطة الحركات الإسلامية في مصر، عبد المنعم منيب، ص ٤٤.

ولذلك اقتصر عمل التنظيم على التغلغل في الجيش والتدرب على السلاح ولم يقم بأي عمل فعليًا[1]، مما تسبب بعد سنوات في انشقاق بعض القيادات عن التنظيم احتجاجا على بطء المسيرة وعدم فعل أي شيء له قيمة!

ومن جهة ثانية، وبسبب هذا البعد الفكري بالاعتماد على الانقلاب العسكري من داخل الجيش كانت غالب العمليات التي قامت بها مجموعات وتنظيمات متولدة من هذا المسار عبر عقدين من السنوات تقريبا (١٩٦٠ – ١٩٨٠) نفذتها شخصيات عسكرية مثل: عصام القمري، يحيى هاشم، حادثة الكلية الفنية، مقتل السادات! وهو ما سنفصّله لاحقا.

بداية الكارثة

لم يتوقف خطأ نبيل برعي على كونه شابا يفتقد إلى العلم، وتتملكه الحماسة، وفهِم كلام أحد العلماء على غير وجهه الصحيح، بل حوّل برعي هذه الفكرة الخاطئة لدعوة وعمل ينشرهما بين الناس دون استشارة لمن هو أكبر منه علما وتجربة وسنّا!

لم تكن هذه الخطوة من نبيل برعي فريدة من نوعها، فسمة الاستئثار بالقرار وعدم مشورة أهل العلم هي من سمات الخوارج الأوائل، الذين خرجوا على الخليفة الثالث عثمان بن عفان والخليفة الرابع علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما، ويتضح ذلك في قصة إرسال علي بن أب طالب ابن عمّه عبد الله بن عباس لمناظرة الخوارج حيث كان من جملة مناظرته لهم مقولته الشهيرة التي تحدد الفيصل بين التهور والقرارات الصائبة الحكيمة: (أتيتكم من عند صحابة النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار، لأبلّغكم ما يقولون، المخبرون بما يقولون، فعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بالوحي منكم، وفيهم أُنزل، وليس فيكم منهم أحد)[2].

١- الأصولية في العالم العربي، ريتشارد دكمجيان، ص ١٤٣.
٢- أخرجه عبد الرزاق في مصنّفه، ١٥٠/١٠.

فابن عباس حاججهم بانعدام العلماء بينهم، مما جعلهم ينحرفون في فهم الإسلام، ثم قتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان، ومن بعده قتل الخليفة الرابع علي بن أبي طالب، وإدخال المسلمين في حرب أهلية مدمرة ... مما يكشف عن ضرورة عدم الانفراد برأي عن أهل العلم والمعرفة خاصة في مهمات الأمور وعامها، وهذا من بدهيات الفكر العلمي والموضوعي، لأن نتيجة البعد والانفراد عن رأي العلماء الوقوع في فجوة السطحية والتناقض في قراءة النصوص الشرعية، وهذه العقلية والمنهجية في فهم الدين عند أفراد جماعات الغلو والتطرف والخروج لا تزال تجرّ على أمّتنا الكوارث كما هو حاصل في فتاوى الغلاة في سوريا والعراق، التي أباحت الدماء والأعراض والأموال المعصومة ظلما وبهتانا ونصرة للطغاة الذين زعموا أنهم خرجوا لمحاربتهم!

برعي وابن تيمية

هل كان ابن تيمية وفكرُه هما المسؤولان عن ظهور فكر العنف والتغيير المسلّح والجهاد ضد الأنظمة القائمة؟ أم أن برعي وظروفه الذاتية من صغر سنه وحماسته أو تهوره والضغوط السياسية التي عاشها وأبناء جيله وجهله بحقيقة فكر ابن تيمية هي السبب في جنوحه نحو هذا الخيار المتطرف؟

للإجابة عن هذا السؤال دعونا نبحث عن فكر ابن تيمية في مصر، هل سبق للمجتمع المصري الحديثِ أن تعرّف على ابن تيمية أم أن نبيل برعي هو الذي اكتشفه؟ وهل كل من عرف فكر ابن تيمية أو غالبيتهم أو بعضهم وصل لنفس النتيجة التي وصل لها نبيل برعي؟ أم هذه حالة خاصة انفرد بها برعي وتابعه عليها أمثاله؟

الواقع والتاريخ يحدثنا أن فكر ابن تيمية كان حاضرا وبقوة في المجتمع المصري الحديث، فمنذ عصر رشيد رضا (١٨٦٥ – ١٩٢٥م) ومجلته المنار، كان فكر ابن تيمية وكتبه حاضرة فيها، وساهم العلامة محب الدين الخطيب (١٨٨٦ – ١٩٦٩م) من خلال مطبعته ومكتبته السلفية بالقاهرة في نشر العديد من كتب ابن تيمية، ثم كان للعلامة حامد الفقي، مؤسس جماعة أنصار السنة (سنة ١٩٢٦م) دور كبير في تحقيق ونشر الكثير من تراث ابن تيمية، وأصبح فكر ابن تيمية ثقاف جماعة أنصار السنة، وواصل عدد من المحققين والعلماء نشر وتحقيق تراث ابن تيمية وفكره، منهم القاضي والمحقق المعروف أحمد شاكر (١٨٩٢ – ١٩٥٨م) والدكتور محمد خليل هراس (١٩١٦ – ١٩٧٥)، ولا يزال كثير من الباحثين والمحققين المصريين يقوموم بذلك لليوم.

ولكن لم يظهر بين هؤلاء كلّهم من فَهِم ابن تيمية هذا الفهم المغلوط، وهم عاشوا نفس المرحلة التي عاشها نبيل برعي! ولم يظهر على أتباعهم في جماعة أنصار السنة المحمدية هذه الأفكار برغم أن جماعتهم تعرّضت للحلّ والدمج مع الجمعية الشرعية، والتي كانت ذات منحى أشعري!

إن نبيل برعي وزملاءه لم يكن لديهم منهج سليم لفهم الإسلام أصلاً أو فهم وقراءة كلام ابن تيمية، بل كانت سياستهم قبول أي شخص لفكرهم وتنظيمهم إذا تقبل فكرة الانقلاب العسكري، وهو ما يتناقض مع فكر ابن تيمية الذي يركّز على النقاء العقدي بالتزام التوحيد وتجنّب الشرك والسلامة السلوكية باتّباع السنة وترك البدع.

وهذه السيولة في الالتزام الشرعي وتبني فكرة الانقلاب العسكري لدى برعي ورفاقه هي سبب استقلالهم عن جماعة أنصار السنة والجمعية الشرعية برغم أنهم كانوا يترددون على مساجدها ومراكزها لأن المساجد الأخرى غالبا هي مساجد صوفية طرقية تتناقض تماما مع فكر ابن تيمية، لكن هذه الصلة بمساجد أنصار السنة والجمعية الشرعية أكسبتهم –على تفاوت بينهم– تقديرا واحتراما عاماً للمنهج السلفي الذي يرفض البدع والخرافات وكان رموزه عبر التاريخ أصوات الحق أمام الطغيان ورواد العلم والمعرفة، ولكن هذا الاحترام لم يرافقه فهم صحيح وتام للمنهج السلفي الذي حمله ابن تيمية ولذلك اصطدموا بالعلماء والشباب والسلفي وانفصلوا عنهم.

إذًا، المشكلة ليست في فكر ابن تيمية وتراثه بقدر ما هي مشكلة في قراءة منهج ابن تيمية من البرعي وأمثاله من بعده، وهذا ما توصل له د. هاني نسيرة في أطروحته للدكتوراه والتي كانت بعنوان «متاهة الحاكمية: أخطاء الجهاديين في فهم كلام ابن تيمية»، حيث يقول: «كان ابن تيمية مرجعية أو مرجعاً واحدا بين مختلفين ومتصارعين، الكل يجتمع عليه وأيضا يختلف فيه ... مرحلة التأسيسات التي استمرت عقودا ومرحلة المراجعات التي شهدها العقدان الأخيران... ويتصارع الجيل الأول والثاني والثالث من منظّري السلفية الجهادية في الطرفين على الصحة وكلاهما يدّعي وصلا ونسبا بابن تيمية ويعتمده مرجعا له»[1]، ويضيف د. نسيرة: «عقدنا مقارنة وعرضنا توضيحا لمراجعات السلفية الجهادية في هذه القراءة لشيخ الإسلام، خاصة بعد تراجع كثير من منظّريهم عمّا سبق أن طرحوه في

١– متاهة الحاكمية، ص ١٣.

كتاباتهم الأولى، معتمدين عليه ومستندين إليه في المراجعة بعدما اعتمدوا عليه في التأسيس بشكل كبير»![1].

إذا لقراءة نبيل برعي الذاتية الناقصة والمختلة لفكر ابن تيمية ومنهجه في التعامل مع الحوادث والظروف انتجت فكراً مشوها لا يمتّ لحقيقة منهج ابن تيمية بصلة من جهتين:

١- من جهة عدم فهم حقيقة قاعدة الجهاد عند ابن تيمية كإمام من أئمة الإسلام والتي تقوم على أن الجهاد لا يكون قبل التربية، بل يكون بعدها، بخلاف قاعدة البرعي التي كان يقدم فيها الجهاد كوسيلة للتربية[2]، فجهاد ابن تيمية، لم يكن عشوائياً مضطرباً كما في قراءة برعي لكلام ابن تيمية في التعامل مع ما يسمّيه العدو الداخلي، وهذا جهل بحقيقة الواقع ومعرفة المآلات، وطرق الجهاد الصحيح، لكنها القراءة الحماسية كعادة أغلب صغار السن والذين يستهويهم الكلام في الجهاد في أوقات الضعف والعدوان بانتقائية وفهم شبابي متهوّر، وهو ما لا يزال يتكرر مع ضحايا خطاب داعش المنتشر في شبكة الإنترنت.

٢- من جهة عدم فهمه ظروف ابن تيمية ومناخ تجربته، فسبب سجن ابن تيمية في سجن القلعة في المرة الأولى كان فتواه التي تخالف خصومه المذهبيين من المتصوفة وغيرهم آنذاك حول مسألة شدّ الرحال إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وأيضاً فإن سبب سجنته الثانية فتواه المتعلقة بمسائل الطلاق، وليس لسجنه علاقة بالصراع مع الطواغيت وتحكيم الشريعة[3]!

ففكر ابن تيمية ليس هو المشكلة، بل المشكلة في القراءة المنحرفة من شباب غير مؤهل، وقد عادت هذه الجماعات بعد أكثر من ثلاثين عاما لتعتمد قراءة تلاميذ ابن تيمية في

٢- المصدر نفسه، ص ١٧.
٣- الإسلام السياسي (الحركات الإسلامية)، د محمد مورو، ص ١٨٢.
٤- متاهة الحاكمية، ص ١٩٤.

مصر من أتباع أنصار السنة المحمدية والعلماء السلفيين والدعوة السلفية في الإسكندرية بدلا من قراءتهم الخاطئة لابن تيمية التي بدأها نبيل البرعي!

ولادة تنظيم الجهاد المصري

نشط برعي في توزيع فتاوى ابن تيمية حول الجهاد بين أصدقائه، والحوار معهم حول اعتماد العمل السري المسلّح آلية للتعامل مع الواقع السيئ، وقد تجاوب مع فكر برعي عدد من أصدقائه مثل إسماعيل الطنطاوي ومحمد عبد العزيز الشرقاوي وعلوي مصطفى، ونتج عن هذا التقبل للقراءة الخاطئة لفكر ابن تيمية وللواقع المصري ظهور أول خليّة لتنظيم الجهاد عام ١٩٦٠، وبدأ هذا الفكر يتمدد ويتوسع فيما النظام الناصري يطارد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين عقب مسرحية حادثة المنشية سنة ١٩٥٤م[١].

وقد كان الثلاثي المؤسس نبيل برعي، وإسماعيل طنطاوي، وعلوي مصطفى، زملاء في الثانوية العامة، وقد تخرج طنطاوي بعدها من كلية الهندسة بجامعة الأزهر. وكذا كان علوي مصطفى، فيما تأخر نبيل برعي دراسياً ثم التحق بكلية الآداب بجامعة بيروت[٢]، ونلاحظ هنا بوضوح أن غالب قيادات تنظيمات العنف و(الجهاد) طيلة مسيرتها لليوم هي قيادات من خلفيات تعليمية غير شرعية، وأنهم شباب في مقتبل العمر لم تكتمل

١- الإسلام السياسي (الحركات الإسلامية)، د محمد مورو، ص ١٨٤، و٤٥٧.
ولمزيد من فهم ملابسات حادثة ومسرحية المنشية راجع كتاب العنف الكامن والتكفير المستتر لأحمد الشحات، ص ٣٧٤.
ومن اللافت للنظر في مسرحية المنشية مقدار الاختراق الأمني للمنفذين وكيف تلاعبوا بهم، فهل عجزت أجهزة عبد الناصر عن رؤية تنظيم/ات الجهاد، أم أنها كانت تغض النظر عنها عامدة للحظة مناسبة يتم استغلالها فيه؟ خاصة أن عهد عبد الناصر لم يشهد أي عملية عنف ضده من التنظيم/ات، بينما عصر السادات شهد العديد من العمليات برغم أفضلية عهد السادات على عهد جمال؟ مما يذكرنا بواقعنا اليوم من استهداف داعش لتركيا والسعودية وغيرها من الدول السنّية وتجنب ضرب إيران وروسيا؟! فهل رعا وسمّن جهاز الأمن الناصري هذه التيارات وضرب بها السادات لما انقلب على مراكز القوى الناصرية، كما فعلت إيران والمالكي وبشار برعاية قادة تنظيم القاعدة في سجونها ومن ثم إطلاقهم لضرب الثورة السنية في العراق وسوريا؟؟
٢- خريطة الحركات الإسلامية في مصر، عبد المنعم منيب، ص ٤٣.

أدواتهم العلمية ولم تستحكم تجاربهم وخبراتهم بعد، وأنهم مستقلون أو منشقون عن العلماء والتيارات الإسلامية الأسبق منهم ظهوراً[١].

وبدأت الخلية تكبر شيئا فشيئاً بعيداً عن رقابة النظام الناصري، حتى كانت مذبحة عام ١٩٦٥ للإخوان التي أذنت بتمدد هذه الفكر بين الشباب المتدين الجاهل بحقيقة المآلات، وخلو الساحة من جهة، جعلها قادرة على استقطاب الشباب المتحمس، وبحسب د. كمال حبيب فإن «عنف النظام الناصري في هذا الوقت مع الإخوان، قد قاد إلى طرح مشروعية مواجهته على بساط البحث من منظور إسلامي»[٢].

استمر التنظيم في العمل على كسب أعضاء جدد، ولا تتوفر في المصادر والمراجع معلومات إضافية عن دور نبيل برعي بعد تأسيس الخلية الأولى، حيث اختفى ذكره[٣]، وحلّ مكانه في قيادة تنظيم الجهاد شريكه في التأسيس إسماعيل طنطاوي[٤]، الذي نجح بضمّ أيمن الظواهري، وكان عمره آنذاك ١٦ سنة فقط[٥]، وانضم إلى التنظيم عدد آخر من الشباب كان لهم شأن فيما بعد، مثل حسن الهلاوي، ويحيى هاشم، ورفاعي سرور، وأصبح للتنظيم أكثر من خلية: خلية في القاهرة بقيادة إسماعيل الطنطاوي، الذي كان لا يزال في وقتها طالب هندسة، وخلية في الجيزة بقيادة حسن الهلاوي الذي كان طالباً في الثانوية الأزهرية[٦].

حادثة إطلاق النار على رئيس مجلس الوزراء آنذاك جمال عبد الناصر، في 26 أكتوبر 1954 أثناء إلقاء خطاب في ميدان المنشية بالإسكندرية بمصر.

١- الإسلام السياسي (الحركات الإسلامية)، د محمد مورو، ص ١٨٨.

٢- الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة، ص ١٤.

٣- للأسف أن غالب الكتابات عن تنظيم الجهاد يغفل ذكر نبيل البرعي، كما أن هناك تضارب في المعلومات عن هذه المرحلة من تاريخ نشاة التنظيم، ولكن رواية د. محمد مورو من أوضح الروايات ثم رواية عبد المنعم منيب.

٤- يتكرر في عدة مصادر وصفه بالقدرة على القيادة والتنظير الشرعي، لكن لم أقف على شيء من فكره.

٥- أيمن الظواهري كما عرفته، منتصر الزيات، ص ٣٦.

٦- الإسلام السياسي (الحركات الإسلامية)، محمد مورو، ص ١٨٤.

ومعلوم أن من في هذا السن لا يملك أصحابه المعرفة والوعي اللازمين للمهمة الكبيرة التي يتصدون لها، وقد أثبتت الأيام تراجع الكثير من هذه القيادات عن أفكارها وسلوكها العنيف والمتطرف مع تراكم المعرفة والخبرة والتجربة، لكن بعد التسبب بمشاكل وأخطاء كثيرة، وللأسف لا يزال الكثير من الشباب –لليوم– يكرر هذه الأخطاء ولا يتعلم منها، وهذه الدراسة من أهدافها توعية الجيل الجديد من الشباب بالأخطاء التي وقعت لعدم تكرارها.

مسيرة التنظيم وتعرّجاته

ساهمت محنة الإخوان عقب حادثة المنشية عام ١٩٥٤م في إيجاد حالة من التذمر تجاه دكتاتورية عبد الناصر، وتكوّن خلية تنظيم الجهاد، لكن عقب محنة الإخوان عام ١٩٦٥م واعتقال آلاف الأبرياء ومن ثم هزيمة عام ١٩٦٧م أمام اليهود وتكشف فساد عبد الناصر ونظامه وجيشه تحوّل التذمر إلى غضب عارم، وفي داخل تنظيم الجهاد حدث سجال: هل نبقى على مسارنا في اعتماد العمل الانقلابي من داخل الجيش أم نبادر لقيادة ثورة شعبية ضد النظام؟

مِن الذين مالوا للرأي الثاني يحيى هاشم، الذي كان يشغل منصب وكيل نيابة، وكان التنظيم قد ضمّه لصفوفه، حيث رأى يحيى أن اللحظة مناسبة لقيادة الجماهير ضد نظام عبد الناصر وأن البقاء في المسار الأول يستغرق وقتا طويلاً حتى ينجح، فقاد مظاهرة في القاهرة ضد النظام من مسجد الحسين عام ١٩٦٨م وطالب بمحاكمة المسؤولين عن الهزيمة وقتال اليهود، وهاجم عبد الناصر. انزعج قائد التنظيم إسماعيل طنطاوي من هذه المظاهرة وخشي أن يُكتشف التنظيم بسبب ذلك، حيث قبض على يحيى ولكن أفرج عنه حين عرفوا أنه وكيل نيابة، وهنا نتساءل: هل فعلا لم تنتبه الأجهزة الأمنية للحقيقة؟

الخلاف حول طريقة العمل وأسلوب التغيير بين طنطاوي الذي يصرّ على الانقلاب العسكري من داخل الجيش وبين يحيى الذي يفضّل مسار الثورة الشعبية أو حرب العصابات تصاعد فيما يبدو ليصل إلى حدّ انفصال يحيى عن التنظيم وخلية القاهرة وليكوّن تنظيما خاصا به سنة ١٩٦٩م سيكون له دور لاحق بعد عدة سنوات مع تنظيم الكلية الفنية برئاسة د. صالح سرية، ومما زاد في مساحة الخلاف أن طنطاوي بحكم احتكاكه بأنصار

السنة المحمدية كان يرى وجوب الالتزام الشرعي الفردي بالسنن والواجبات وهو ما كان يحيي لا يرى أهميته ومن يناصره مثل رفاعي سرور قبل قيام الدولة المسلمة، ولعل سبب ذلك هو تأثرهم بسيد قطب كان أكثر من تأثرهم بابن تيمية كحال طنطاوي[1]!

ومضى كلا الطرفين في طريقه يجنّد الأتباع ويتدرب على السلاح، حتى جاءت حرب عام ١٩٧٣م وحدثت ثغرة الدفرسوار وتقدم من خلالها الجيش اليهودي، عندها قام علوي محمد وهو من قيادات خلية القاهرة ومجموعة من أعضاء التنظيم بالذهاب إلى هناك والتطوع بجوار الضباط الصامدين ومساعدتهم ضد اليهود، وقد تعرف علوي ورفاقه هناك على الملازم عصام القمري، الذي قام بدور بطولي في التصدي للقوات اليهودية، وكرّم رسمياً على ذلك بمنحه وساما عسكريا.

نجح التنظيم (خلية القاهرة) في كسب القمري عضوًا فيه، ولعله يكون أول اختراق للتنظيم في الجيش حيث بدأ عصام ينشئ خلية في داخل الجيش تابعة للتنظيم، وسيكون لعصام دور مهم في التنظيم لاحقاً[2].

وعقب حرب ٧٣ وقع خلاف في داخل التنظيم وخلية القاهرة حول حكم قتلى الجيش المصري هل هم مسلمون يصلّى عليهم أم هم كفار موالون للطاغوت أنور السادات؟ وذلك أن شقيق علوي مصطفى كان من الذين قُتلوا في الحرب وكان يعتبرهم مسلمين وشهداء بخلاف آخرين في التنظيم اعتبروهم كفارا مرتدين!

حاول إسماعيل طنطاوي أن يوفّق بين الطرفين ويجمعهم على قول واحد أو هدف واحد، فلم يفلح، فانشق علوي عن التنظيم ولم يُعرف له نشاط بعدها، كما فارق آخرون التنظيم دون أن يعملوا في تنظيمات أخرى[3].

وبسبب هذه الخلافات رأت خلية الجيزة بقيادة حسن الهلاوي الاستقلال عن خلية القاهرة ومشاكلها، وبقيت خلية القاهرة تحت قيادة طنطاوي وكان فيها في ذلك الوقت

١- الإسلام السياسي (الحركات الإسلامية)، د محمد مورو، ص ١٩٤، و٢٠٠، وخريطة الحركات الإسلامية، عبد المنعم منيب، ص ٤٦.

٢- الإسلام السياسي، د محمد مورو، ص ١٨٥.

١- خريطة الحركات الإسلامية، عبد المنعم منيب، ص ٤٧.

أيمن الظواهري، وعصام قمري، وانضم إليهم سيد إمام الشريف، الذي سيصبح من أبرز منظري هذه الجماعات لاحقاً[1].

ويبدو من الواضح جداً سهولة الانشقاقات والسيولة لدى هذه الجماعات وتبدّل مواقفها وذلك بسبب قلة العلم وحداثة السن وضعف الخبرة، كما أن الخلاف حول حكم صحة إسلام ضباط الجيش يدلل على قدم موضوع الغلو والتطرف في هذه الحركات، وأن الغلو فيها يتطور ويتدحرج ككرة الثلج نحو مزيد من الغلو والتطرف ليشمل غالبية الأمة كما هو واقع أفكار القاعدة وداعش وأمثالهما.

وفي العام نفسه (١٩٧٣م) جاء من العراق إلى مصر د. صالح سرية، الفلسطيني الباحث عن حل عسكري لقضية فلسطين والذي تقلب بين منظمة التحرير وجماعة الإخوان وحزب التحرير وله علاقات بقادة العراق وليبيا قبل وصوله لمصر، فحاول مع جماعة الإخوان المسلمين للقيام بعمل عسكري لكنها رفضت، وحاول مع خلية القاهرة فاصطدم بطنطاوى ذو الخلفية السلفية والذي لم يتقبل ميول صالح سرية لحزب التحرير ذو النزعة الاعتزالية، وحاول مع يحيى هاشم لكن إصرار يحيى على حرب العصابات ورغبة سرية بالانقلاب فرّقت بينهما. المجموعة الوحيدة التي انضمت لتنظيم سرية هي خلية الجيزة بقيادة حسن الهلاوي[2].

وهنا نكون أمام منعطف كبير ومختلف في مسيرة جماعات العنف وهو حادثة الكلية الفنية العسكرية التي قادها صالح سرية وتقاطعت معه بعض المجموعات المنشقة عن تنظيم نبيل البرعي.

٢- المصدر السابق، ص ٤٨.

١- خريطة الحركات الإسلامية، عبد المنعم منيب، ص ٤٨، الإسلام السياسي، د محمد مورو، ص ١٨٧.

2

تنظيم الكلية الفنية العسكرية، صالح سرية 1974م

صالح عبد الله سرية (1936م - 1976م)

٢- تنظيم الكلية الفنية العسكرية، صالح سرية ١٩٧٤م

في يوم ١٩٧٤/٤/١٨ قام عدد من الشباب الصغار وبعض طلاب الكلية الفنية العسكرية بالهجوم على حراس بوابة الكلية وحراس مستودع الأسلحة من أجل السيطرة على الكلية والاستيلاء على الأسلحة الموجودة فيها لمهاجمة مقر اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي واحتجاز الرئيس السادات وإجباره على التنازل عن الحكم وإعلان قيام حكم إسلامي في مصر!

وفعلا تمّ الهجوم، وقُتل ١١ شخصا وأصيب ٢٧ آخرون[١]، لكن لم يتمكن المهاجمون من السيطرة على الكلية، وفشلت العملية لكنها جرّت مصر وبقية بلاد الإسلام لمسار من دوامة العنف والتطرف والتكفير لم يتوقف إلى اليوم!

إذ لم تمضِ ٦ شهور على انتصار السادات على اليهود في معركة العبور، وسنتان على الإفراج عن آلاف المساجين الإسلاميين من سجون عبد الناصر، وثلاث سنوات على استلامه الحكم بعد موت عبد الناصر، حتى قام الشباب المسلم بمحاولة انقلاب على السادات، الذي أطلق على عهده دولة العلم والإيمان!!

فما هي خلفيات ذلك الهجوم وما هي تفاصيله؟

١- الإسلام السياسي في مصر من حركة إصلاح إلى جماعات عنف، هالة مصطفى، ص ١٣٩. سيشار له لاحقا الإسلام السياسي في مصر.

في غياهب السجون

سبق أن ذكرنا أن عبد الناصر تبنّى سياسة عدائية تجاه الإسلام وحارب العديد من الحركات الإسلامية، وخاصة جماعة الإخوان المسلمين، والذين ملأ بهم السجون، وسامَهم سوء العذاب ظلما وعدواناً، حتى أفرز هذا مناخا غاضبا عاما بسبب الظلم وبسبب هزائمه المتكررة أمام اليهود مما دعا الشباب بكافه شرائحه للنزول للميادين متظاهرا ومحتجا على الهزيمة النكراء سنة ١٩٦٧[١].

وفي نفس الوقت، ولكن في السجون، كان هناك مناخ آخر أكثر سوءًا وظلماً، ويبدو أن هذا المناخ كان يتشكل بوعي من سلطات عبد الناصر، فمعلوم أن عبد الناصر اعتمد سياسة تقوم على افتعال التخريب والتفجير كما أقرّ بذلك خالد محيي الدين، أحد الضباط الأحرار في مذكراته، ومنها حادثة المنشية، وبسبب هذه الجرائم المفتعلة تم حلّ جماعة الإخوان ومن ثم اعتقال الكثير من قادتهم وأفرادهم.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل كان هناك التعذيب المنظم[٢] الذي يستهدف –فيما يبدو– تحويل السجناء لقنابل موقوتة تؤمن بالعنف وتمارسه بوحشية، ولما لم يكفِ التعذيب لذلك، تم تدبير وافتعال عدة محاولات للتمرد في السجون من أجل إقامة مجزرة بحق السجناء[٣].

لقد كان تأثير الظلم والتعذيب في السجن كبيرا على السجناء، ويكفي أن نستمع لما يقوله محمد قطب عن بداية مرحلة السجن وكيف غيّرته رغم أنه لم يُسجن طويلاً: «أول تجربة من نوعها كانت من العنف والضراوة بحيث يمكن لي القول إنها غيرت نفسي

١– الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة، كمال حبيب، ص ٢٦.

٢– حول تعذيب سيد قطب، راجع: سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، صلاح الخالدي، ص ٣٤٧.

٣– لماذا أعدموني، سيد قطب، ص ١٥. من اللافت للنظر أن سيد قطب يتهم تلميحا الصاغ (الرائد) عبد الباسط البنا، شقيق حسن البنا، وقائد كتيبة ليمان طره بمحاولة جرّ الإخوان لفخّ التمرد لإبادتهم! ولم يكن عبد الباسط من الإخوان في حياة أخيه حسن كما يقول سيد رحمه الله. ص ١٤.

تغييرا كاملا، كنت أعيش من قبلها في آفاق الأدب والشعر والمشاعر المهمومة، أعاني حيرة عميقة، وكانت تلك الحيرة تشكل أزمة حقيقية في نفسي استغرقت من حياتي عدة سنوات، غير أن الدقائق الأولى منذ دخولي ذلك السجن، والهول الذي يلقاه نزيله، بدّلت ذلك كل التبديل. لقد أحسست إذ ذاك أنني موجود، وأن لي وجودا حقيقيا، وأن الذي في نفسي حقيقة وليس وهْما، وهذه الحقيقة هي السير في طريق الله، والعمل من أجل دعوته، وعرفت حينها حقيقة المؤامرة الضارية ضد الإسلام، وانتهت الحيرة الضالة، ووجدت نفسي على الجادة»[1].

وأما عن التأثير البعيد للسجن والظلم والتعذيب فيحدّثنا عنه سيد قطب فيقول: «العنف الذي يتضمن التعذيب والقتل والتشريد وتخريب البيوت .. هذا العنف هو الذي أنشأ فكرة الرد على الاعتداء إذا تكرر بالقوة»[2].

سيد قطب وردة العنف السياسي

خلال هذا السجن أعاد سيد قطب البحث والتأمل في تجربة جماعة الإخوان المسلمين مع زميله محمد هواش، فوصلا للنتائج التالية: «الحركة الإسلامية اليوم تواجه حالة شبيهة بالحالة التي كانت عليها المجتمعات البشرية يوم جاء الإسلام أول مرة من ناحية الجهل بحقيقة العقيدة الإسلامية ... ولا بد إذن أن تبدأ الحركات الإسلامية من القاعدة: وهي إحياء مدلول العقيدة الإسلامية في القلوب والعقول... وعدم إضاعة الوقت في الأحداث السياسية الجارية، وعدم محاولات فرض النظام الإسلامي عن طريق الاستيلاء على الحكم قبل أن تكون القاعدة المسلمة في المجتمعات هي التي تطلب النظام الإسلامي ... وفي الوقت نفسه .. لابد من حماية الحركة من الاعتداء عليها من الخارج وتدميرها ووقف

١- علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، ص ٢٨٠.
٢- لماذا أعدموني، ص ٦٢.

نشاطها وتعذيب أفرادها ... كالذي حدث للإخوان سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٤ وسنة ١٩٥٧ ... وهذه الحماية تتم عن طريق وجود مجموعات مدربة تدريبا فدائيا بعد تمام تربيتها الإسلامية من قاعدة العقيدة ثم الخلق .. هذه المجموعات لا تبدأ هي الاعتداء، ولا المحاولة لقلب نظام الحكم، ولا المشاركة في الأحداث السياسية المحلية ... ولكنها تتدخل عند الاعتداء على الحركة والدعوة والجماعة ... بالقدر الذي يسمح للحركة أن تستمر في طريقها»[١].

هذا كان الإطار الحركي والعملي للتصور الجديد لدى سيد قطب، وهو أيضا يتضمن مضمونا جديداً لم تعرفه جماعة الإخوان من قبل، يقول سيد قطب: «أصبحت هذه الصورة للحركة الإسلامية في حسّي تماما – كما أصبحت واضحة في حسّ الأخ هواش– وبقيت مهمّة نقلها إلى أفراد ومجموعات أخرى من الإخوان بأية وسيلة، لبدء حركة على أساسها. وفي سنة ١٩٦٢ بدأت الحركة فعلا»[٢].

من هنا وصف د. كمال حبيب، أحد مؤسسي تيار الجهاد في مصر –تركه مبكرا– فكرَ سيد قطب الجديد بقوله: «أما سيد قطب فقد طوّر نظرية متكاملة ذات طابع ثوري تقف من النظم موقف الرفض، من منطلق كونها أنظمة جاهلية لا تفرِد الله بحق الحكم والتشريع.. كما جرى وصف المجتمعات بأنها مجتمعات جاهلية أيضا لأنها تحكم بقوانين غير إسلامية»[٣].

بدأ سيد قطب نشر أفكاره الجديدة بين الإخوان في السجون، وحيث أنه كان في مستشفى سجن «ليمان طره» فقد كان يتواصل مع مساجين الإخوان القادمين للعلاج بالمستشفى، سواء من سجن طره أو سجن الواحات أو سجن القناطر، وكانت هذه اللقاءات تتنوع بين لقاءات عابرة بسبب قلة مكث السجين المريض في المستشفى، وبين

١– المصدر السابق، ص ١٨، ٢٨.
٢– المصدر السابق، ص ١٩.
٣– الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة، د. كمال حبيب، ص ١٥.

لقاءات مطوّلة ومتكررة لمن يمكث مدة أطول للعلاج، وكانت فسحة الرياضة اليومية هي فرصة للالتقاء وتعريفهم بالأفكار الجديدة بحذر لكون سيد قطب ليس له «صفة حركية إدارية في الجماعة تعطى له الحق الشرعي في رسم خطة حركية ولا من توجيه الإخوان إليها»[1]، ولذلك تراوح الموقف من أفكار سيد قطب لدى السجناء الذين قابلوا سيد قطب بين القبول والتوقّف والرفض بسبب تباين أعمارهم وخلفياتهم الفكرية ومدة اللقاء بسيد قطب. مما أدّى لتنوع صورة فكر سيد الجديد عند القطاعات والقيادات الإخوانية، حيث فهِم البعض في سجن الواحات أن سيّد يكفر عموم الناس، ولما جاء مندوب من قيادة الجماعة بسجن الواحة للعلاج بيّن له سيّد أنه لا يكفّر عموم الناس، ولكن «ظل الآخرون في القناطر يلحّون عليهم بوجوب وقف ما أسموه بالفتنة في صفوف الجماعة، وظل الحال كذلك حتى نُقل إلى مستشفى طره الأستاذان عبد العزيز عطية وعمر التلمساني، من أعضاء مكتب الإرشاد الباقين في السجون، والتقيا بي وأفهمتُهما حقيقة المسألة فاستراحا لها»[2].

إذًا أحدث سيد قطب تجديدا في الفكر، واعتبر نفسه من سنة ١٩٦٢ منفصلاً عن جماعة الإخوان وبدأ في طريق جديد، وقد سجل بعض رفاق سيد وأتباعه خلفيات هذا التطور الفكري، فيقول رفيقه في السجن وأحد المقربين منه في تنظيم ٦٥ أحمد عبد المجيد: (حدث تغيير في أفكار سيد قطب، فعندما كان في مستشفى ليمان طرة، طلب من أسرته كُتب الشهيد حسن البنا، والأستاذ أبو الأعلى المودودي، فبدأ يتنبه إلى أمور كانت غائبة عنه، خاصة في ضرورة التركيز على موضوع العقيدة، ثم بدأ يطلب كتب ابن تيمية وابن القيم، وبدأ التغير في تفكيره وكتاباته، وظهر ذلك جليًّا في الطبعة الثانية من «الظلال»، بدءًا من الجزء (١٣) والأجزاء الأخيرة، وكتاب «خصائص التصور الإسلامي»، و«مقومات التصور الإسلامي» و«معالم في الطريق»)[3].

١- لماذا أعدموني، ٢٠.

٢- المصدر السابق، ص ٢٤.

٣- سيد قطب والتكفير، تحرير: معتز الخطيب، ص ١١٦، ١٤٧.

ويقول الشيخ يوسف القرضاوي: «حدثني الأخ د. محمد المهدي البدري أن أحد الإخوة المقربين من سيد قطب –وكان معه معتقلا في محنة ١٩٦٥م– أخبره أن الأستاذ سيد قطب عليه رحمة الله، قال له: إن الذي يمثل فكري هو كتبي الأخيرة: «المعالم»، والأجزاء الأخيرة من «الظلال»، والطبعة الثانية من الأجزاء الأولى، و«خصائص التصور الإسلامي ومقوماته»، و«الإسلام ومشكلات الحضارة»، ونحوها مما صدر له وهو في السجن، أما كتبه القديمة فهو لا يتبناها، فهي تمثل تاريخًا لا أكثر.

فقال له هذا الأخ من تلاميذه: إذن أنت كالشافعي لك مذهبان: قديم وجديد، والذي تتمسك به هو الجديد لا القديم من مذهبك. قال سيد رحمه الله: نعم، غيّرت كما غيّر الشافعي رضي الله عنه. ولكن الشافعي غيّر في الفروع، وأنا غيّرت في الأصول!». ويعلّق القرضاوي: «فالرجل يعرف مدى التغيير الذي حدث في فكره، فهو تغيير أصولي أو إستراتيجي كما يقولون اليوم»[١].

ويوضح القرضاوي طبيعة هذا التحول الفكري بأنه «ركون إلى فكرة التكفير والتوسع فيه، بحيث يفهم قارئه من ظاهر كلامه في مواضع كثيرة ومتفرقة من (الظلال) ومما أفرغه في كتابه (معالم في الطريق) أن المجتمعات كلها قد أصبحت (جاهلية). وهو لا يقصد بـ (الجاهلية) جاهلية العمل والسلوك فقط، بل (جاهلية) العقيدة، إنها الشرك والكفر بالله، حيث لم ترضَ بحاكميته تعالى، وأشركت معه آلهة أخرى، استوردت من عندهم الأنظمة والقوانين، والقيم والموازين، والأفكار والمفاهيم، واستبدلوا بها شريعة الله، وأحكام كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم»[٢].

ويورد القرضاوي عددا من نصوص سيد قطب التي تقطع بالتكفير منها قول قطب: «ذلك أن المسلمين اليوم لا يوجدون!.. إن قضية (وجود) الإسلام ووجود المسلمين هي التي تحتاج إلى علاج»[٣].

١– ابن القرية والكتّاب، د. يوسف القرضاوي، ج ٣، ص ٦٢، نقلا عن سيد قطب والتكفير، ص ٢٩.
٢– سيد قطب والتكفير، ص ٥٥.
٣– المرجع السابق، ص ٧٥، والكلام في الظلال لسيد قطب، ج ١٠، ص ١٩١.

وهذه القراءة لطبيعة تطور فكر سيد قطب وأنها باتجاه التكفير والغلو فيه يقررها عدد من كبار قادة ومفكري جماعة الإخوان المسلمين منهم: المستشار سالم البهنساوي، د. عبد الله أبو عزة، ولعل مما يدعم هذه القراءة لتوجه فكر قطب الجديد شهادة محمد رأفت، الذي كان عضو قيادة الإخوان المسلمين في الأردن في نهاية الستينيات الميلادية من القرن الماضي، ثم وصلته مناهج التربية التي أقرها سيد قطب لتنظيم ٦٥، فانقلب محمد رأفت على فكر الإخوان سنة ١٩٧٣ وأسّس مجموعة باسم «طليعة البعث» تبنّت تكفير المجتمع، وسحب خلفه غالبية أعضاء الإخوان في منطقة مخيم البقعة في الأردن، وقد استنجدت جماعة الإخوان يومها بالشيخ الألباني للقدوم للأردن ومعالجة هذا الانقلاب الفكري التكفيري والذي نجح الألباني في إخماده بتوفيق الله[١].

وهذا التأثير السلبي للفكر الجديد لسيد قطب حصل في زمن سيد نفسه، وعلم به وتبرأ منه! فقد سجّل هو في أوراق اعترافاته بالسجن أن البعض فهِم منه تكفير الناس ولكنه اعتبر ذلك فهما منحرفا بسبب قلة وقت اللقاء أو عدم أهلية من فهِم ذلك[٢]، ويروي عدد من الشخصيات الإخوانية كزينب الغزالي أنها راجعت سيد قطب شخصيا في ذلك فاستغرب هذا القول، وبيّن أنه فهْم خاطئ لما كتبه، وأنه سيوضح ذلك في الجزء الثاني من كتاب (معالم في الطريق)، ويروي عبد الحليم خفاجي أنهم أرسلوا مع إبراهيم الطناني لسيد في مستشفى السجن يسألونه عن فكر التكفير الذي ينتشر بين الشباب ويُنسب إليه، فأجابهم سيد: لقد فهموني خطأ، ولقد وضعت حملي على حصان أعرج![٣].

إذًا هناك فكر جديد نشرَه سيد قطب في السجن بين سنتي ١٩٦٤,١٩٦٢، حيث انقسم الناس في السجون لمؤيد لفكر سيد قطب الجديد، وقسم يعارض تلك الأفكار تمامًا،

١- انظر القصة كاملة بقلم محمد رأفت في كتاب (نصائح وتوجيهات المفكرين وعلماء الإسلام للجماعات والأحزاب الإسلامية)، ص ٣٦٦ وما بعدها.
٢- لماذا أعدموني، ص ٢٣.
٣- سيد قطب والتكفير، ص ١٣٥.

وقسم لم يحسم أمره، ومن الذين تبنوا الفكر الجديد: مصطفى كامل، ورفعت الصياد، وسيد عيد، وفوزى نجم، لكن سيد لم يبيّن لنا هنا الذين تبنوا التكفير الأهوج بين المساجين والذي اشتكى منه قادة الإخوان من أي الأقسام هم؟![1].

سيد قطب والخروج للحرية

وفي خارج السجن كان فكر سيد قطب الجديد ينتشر من خلال كتبه التي بقيت تصدر وهو مسجون، خاصة (في ظلال القرآن) والتي أَدخل عليها سيد قطب فكره الجديد، حيث ضمّن سورة الأنعام أصل كتابه المركزي (معالم في الطريق)[2]، وقد اعترضت الرقابة على طبع كتاب معالم في الطريق، ولم يسمح بطباعته إلا عندما قرأه عبد الناصر بنفسه وقال لا مانع من نشره[3]، فهل كان عبد الناصر يجهل قيمة الكتاب؟ أم كان يسير على سياسة واضحة في رعاية تطور وتوسع هذا الفكر القلِق على الأقل، كما تفعل السلطات الأوروبية بالسماح لمنظّري التكفير في البقاء في أوروبا، ونشر تطرفهم وغلوهم علنا في أرجاء العالم، لتوظيف هذا الفكر مباشرة أو استثمار الفوضى الذي يتسبّب بها؟

وفي تلك الأثناء أيضا بدأ يتشكل خارج السجن وفي داخل الإخوان تنظيم لإعادة جماعة الإخوان، من عبد الفتاح إسماعيل وزينب الغزالى، وبموافقة المرشد حسن الهضيبي، وفي سنة ١٩٦٢ تواصلت زينب الغزالي مع سيد قطب وهو بالسجن من خلال شقيقات سيد لطلب مشورته في منهج تثقيف التنظيم الجديد، وكان من ضمن المنهج مقدمة سورة

١- لماذا أعدموني، ص ٢٣، وسيد عيد بعد الإفراج عنه سيرحل للكويت ويلتقي ويتأثر به هناك عصام برقاوي، والذي سيشتهر لاحقا باسم أبي محمد المقدسي! والذي يعد من أهم الشخصيات التي عولمت فكر الغلو والتكفير. وذلك بحسب ما حكاه أبو محمد المقدسي نفسه عن سيرته وتاريخ فكره في سلسلة حوارات في موقع يوتيوب بعنوان "ولكن كونوا ربانيين".

٢- سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، صلاح الخالدي، ص ٣٦٧، ٥٤٦، ٥٥٤.

٣- النبي وفرعون، جيل كيبيل، ص ٢٧.

الأنعام التي تطورت لتصبح كتاب معالم في الطريق، وقد اطلع الهضيبي عليه ووافق على تدريسه، وعدد من كتب محمد قطب، «وبإذن من المرشد الهضيبي كان الأستاذ محمد (قطب) يأتي بشكل دوري إلى بيتي في مصر الجديدة، ليوضّح للشباب ما غمض عليهم فهمه، وكان الشباب يستوضحونه ويسألونه أسئلة كثيرة يجيب عنها»[1].

وحين خرج سيد قطب من السجن سنة ١٩٦٤ التقى بمسؤولي هذا التنظيم الإخواني الجديد «عبد الفتاح إسماعيل، وعلي عشماوي، وأحمد عبد المجيد، ومجدي (عزيز)، وصبري (عرفة)»[2] والذي كان سيد يشرف على منهجه التربوي من السجن، وحرِص سيد على أن لا يتصل من آمن بفكره بالسجن بهذا التنظيم خارج السجن، ولأنهم شباب قليلو الخبرة حاولوا مع عدد من قيادات الجماعة قيادةَ التنظيم السري الجديد فلم يوافقوا، وبعد قراءتهم لكتابات سيد قطب فهموا ضخامة المهمة وطلبوا منه قيادتهم، وأصبح سيد بين خيارين: رفْض ذلك لكونهم لم يكملوا تكوينهم الفكري والعقدي قبل البدء ببعض التدريبات الفدائية، وبين قيادتهم واستكمال النقص في التكوين العقدي والخُلقي وضبط حركتهم، واختار سيد قطب الخيار الثاني، فكانت قيادته لهم قيادة فكرية لم تتعدَّ لقاء أسبوعيا في أفضل الحالات[3].

بدأ سيد مع التنظيم بترسيخ مبدئين، الأول إحياء العقيدة في قلوب الإخوان والمسلمين، لكن كان تركيز سيد قطب على قضية الحاكمية تأثرًا بأبي الأعلى المودودي[4]، لكن مع ذلك كان لديه اضطراب في معرفة مفهوم العقيدة والتوحيد عند أهل السنة، فهو مثلا يخلط ويعكس بين مفهومي توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، وفي توحيد الأسماء والصفات

١- أيام من حياتي، زينب الغزالي، ص ٣٥.
٢- سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، ص ٣٧٩.
٣- لماذا أعدموني، ص ٢٩ وما بعدها.
٤- حين اطلع المودودى على كتاب سيد قطب (معالم في الطريق)، قال: إن ما ورد في الكتاب هو نفس ما أراه، بل كأنني أنا الذي كتبتُه، فقد عبّر عن أفكاري بدقة. أعلام الحركة الإسلامية، عبد الله العقيل، ص ٤٧، وسيد قطب والتكفير، ص ١٤٧. الحركات الإسلامية في الوطن العربي، اشراف د عماد عبد الغني، ج ١ ص ٢٥٥.

كان يُثبت حيناً ويؤول حينا، ولذلك يستنتج د. هاني نسيرة عدم قراءة سيد قطب لتراث ابن تيمية وتلامذته[١]، وهذا يؤكد أن فكر العنف والصدام والتكفير نشأ بعيدا عن مدرسة ابن تيمية.

والمبدأ الثاني الذي عمل على ترسيخه سيد قطب في التنظيم الجديد مبدأ رد الاعتداء على الحركة الإسلامية، فطُرحت فكرة تفجير بعض المنشآت العامة كالجسور والقناطر، ثم نبّههم علي العشماوي إلى خطأ ذلك، وأنه تنفيذ لمخطط أعداء الإسلام فتراجعوا عنه، وهذا يكشف عن سذاجةٍ في التفكير! وقد توسع د. صلاح الخالدي في بيان خطأ فكرة الرد على الاعتداء وما جلبتْه من كوارث على الحركة الإسلامية عند تطبيقها[٢]، ثم عرض عليهم العشماوي توفير أسلحة للتنظيم، وهو ما يعتبره د. الخالدي توريطا للتنظيم[٣] وهو يتساوق مع رواية زينب الغزالي عن تعاون العشماوي مع المحققين في السجن[٤]، وهذا يؤكد قدرة الأنظمة على اختراق هذه التنظيمات الشبابية وتوريطها في العنف للبطش بها وتمرير أجندتها الظالمة، وقد بيّن سيد قطب أن إمكانيات التنظيم كانت محدودة، وأنه اضطر لمسايرة واقع التنظيم ولذلك جاءت الضربة للتنظيم سريعة، ومن هنا نعلم أن الكارثة هي ما ينتظر التنظيمات المستعجلة والشبابية ولو كان مثل سيد قطب على رأس التنظيم[٥]!

وفي هذه المرحلة القصيرة لسيد قطب خارج السجن، والتي استمرت لعدة أشهر التقى سيد بالكثير من الناس من مصر وخارجها، فقد كان يوم الجمعة مفتوحا لاستقبال

١- متاهة الحاكمية، ص ١٧٥، والصواب عندى أن سيد تعرّف على ابن تيمية في نهاية حياته بحسب شهادة أحمد عبد المجيد، والتي سبق إيرادها، لكنها لم تتعمق بسبب إعدامه، وفي ظني أن سيد لو امتدت به الحياة لغير وعدل في فكره وكتبه كما عدل غالب ما تم انتقاده عليه في الطبعات الأولى من الظلال وغيره، وقريب من ذلك عرضه في أخر حياته المصالحة مع عبد الناصر، راجع سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد لمعرفة المزيد.

٢- سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، ص ٣٩٧.

٣- المصدر السابق، ص ٤٠٠.

٤- أيام من حياتي، ص ١٤٩.

٥- يرى محمد قطب أن تنظيم ٦٥ كان فخّا لضرب الشباب المسلم، البوابة السوداء، أحمد رائف، ص ٣٨٦.

الضيوف، وهذا سمح لسيد بنشر رؤيته، فقد زاره مندوبون عن إخوان العراق والأردن والسودان وسوريا والجزائر[1] كما أن كتب سيد قطب بقيت تطبع وتنتشر في مصر وفي العالم، ويتفاعل معها الناس بدرجات مختلفة.

المحنة الأخيرة لسيد قطب

سرعان ما رجع سيد قطب للسجن بتهمة تكوين تنظيم عرف باسم تنظيم ٦٥، وتعرض للتعذيب ومن ثمّ حكموا عليه بالإعدام ونفذوه سنة ١٩٦٦، رحمه الله، وبدأت مرحلة جديدة من التعذيب الشديد تولد عنه ظهور فكر تكفير المجتمعات المسلمة بشكل صريح على يد شكري مصطفى -وهو ما سنتناوله لاحقا- وصالح سرية نوعا ما، كما أن إعدام سيد قطب كان له تأثير كبير على الشباب في كثير من الدول حيث ملأ قلوبهم بكره السلطة السياسية المصرية عموما، والناصرية خصوصا، وجعل من السهل تقبل فكرة سيد قطب بجاهلية الأنظمة الظالمة وجاهلية الشعوب اللاهية!

نتائج فكر سيد قطب

ماذا كان أثّر فكر سيد قطب الجديد، يجيبنا على ذلك الشيخ يوسف القرضاوي: «ومما قاله بعضُهم: إن الناس قرأوا (الظلال) ولم يفهموا ما فهمته من فكرة (التكفير) وهذا كلام غير صحيح، فقد أثار جدلا طويلا داخل الإخوان في السجون، ومن آثاره بحث قضية: هل نحن جماعة المسلمين؟ أم نحن جماعة من المسلمين؟ حتى أن مكتب الإرشاد أرسل إلى سيد الأخَ عبدالرؤوف أبو الوفا يسأله عن هذه المسألة... وقد رأينا تجمعات في أقطار

١- لماذا أعدموني، ص ٦١ وما بعدها، ومهمٌ هنا زيارة مندوب العراق الذي أعجب بالفكر الجديد لسيد قطب، حيث سيأتي صالح سرية لمصر من العراق بعد عدة سنوات.

مختلفة يُسمون (القطبيين) يتبنّون فكرة التكفير... على أن الذين لم يأخذوا فكرة التكفير لم تخطئهم رشحات من تأثير هذا الفكر الثائر الرافض على مفاهيمهم وعلاقاتهم بالآخر ورفض الانفتاح والحوار..»[1].

ويقول د. عبدالله أبو عزة، الذي كان بمثابة سكرتير التنظيم الدولي للإخوان: «وقد ظهرت من ثمار هذا التوجيه المعالمي –معالم في الطريق– مجموعات من الشباب تردّد هذه الأفكار بحرفية وتزمّت شديدين، حتى أنهم كفّروا آباءهم وأمهاتهم، رغم صَلاتهم وصيامهم، بل كفّروا إخوانهم في التنظيم لأنهم لم يوافقوا على القول بتكفير المجتمع»[2]

الخلاصة أن فكر سيد قطب الجديد، الذي كُتب بِلغة أدبية وليس بِلغة علمية منضبطة، مهد لوجود قراءات عدة له: منها القراءة التي كفّرت المجتمع، واستنكرها قادة الإخوان وراجعوا سيد فيها فأنكرها وتبرأ منها، وذلك بين سنتي ٦٢،٦٤، لكن لم نعرف أين ذهب هؤلاء وماذا فعل سيد ليصلح فهمهم! وتكرر ذلك في سنة ١٩٦٥ ونفى سيد أن يكون هذا فكرُه![3] وهناك قراءة بقيت داخل تنظيم ٦٥ وداخل الإخوان وتتكون من المجموعة التي رافقت سيد فى محنته الثالثة والأخيرة، وهي المجموعة التي تتّهم بأنها تقود جماعة الإخوان حتى الآن، منذ ذلك الوقت ولو من خلف ستار، وهناك قراءة ثالثة لفكر سيد قطب نبعت من خارج الإخوان، وتنقسم إلى شقّين: قراءة شقيقه محمد قطب الذي لم يكن في تنظيم ٦٥، والتي واصلها بعد وفاة سيد، وقراءة في داخل تنظيم ٦٥ لكنها خرجت من الإخوان، وهي قراءة عبد المجيد الشاذلي[4] (جماعة التوقف والتبين)[5]، وقراءة

١– سيد قطب والتكفير، ص ١١٧.

٢– المصدر السابق، ص ٤١.

٣– يقول القرضاوي: «حكى ذلك الأخ إبراهيم عبده نفسه حين قال: لما دخلنا المعتقلات سنة ١٩٦٥ فوجئت –كما فوجئ كثيرون غيري من الإخوان– بفتنة عارمة، تقول بتكفير المسلمين جميعا! وتزعم أن هذا القول مرجعه الأستاذ سيد قطب، أوحى به إلى الذين التقوه في مستشفى طره»، سيد قطب والتكفير، ص ١٢٥.

٤– كتب رفاعي سرور على شبكة الانترنت ترجمة لعبد المجيد الشاذلي بين فيها صلة فكر الشاذلي بفكر سيد قطب فقال: «وكان قد سبقها إلى الخروج – أي نشر رسالة حد الإسلام – كتاب «معالم في الطريق» للأستاذ سيد قطب فكانت أوراق «المعالم» و«الحد» كقطرات اللبن للرضيع، حتى أصبح شباب الدعوة الجدد يردّدون عبارات هذه الكتابات بثقة ويقين»، فجعلهم شيئاً واحداً!!

٥– ثورة قلم، أحمد الشحات، ص ١٣٩.

رابعة، وهي التي تلقفها كثير من الشباب وأسسوا -بتأثير منها- تنظيمات العنف أو انضموا إليها، فقد كانت كتابات سيد قطب ملهمة لقادة تيار العنف والقتال مثل صالح سرية ومحمد عبد السلام فرج وأيمن الظواهري وأبي قتادة وغيرهم[1]، وهي القراءة التي تهمنا في الوقت الراهن.

ومع وفاة عبد الناصر وتولي السادات للحكم أفرج الأخير عن السجناء وخرج الإخوان والقطبيون وبدأ الشباب يتجه بقوة ناحية الإسلام[2]، وأصبحت مصر تشهد مناخاً فكريا يتشكل من مزيج من قراءة خاطئة لفكر ابن تيمية كما بيّنا سابقا، وبين قراءة حرفية -بتعبير د. أبو عزة- لفكر سيد قطب الجديد «وهكذا تولّدت لدى هذا الجيل فكرتان: الأولى قتال الطائفة الممتنعة، والثانية جاهلية النظام السياسي»[3]، يقول د عبد المنعم أبو الفتوح بصفته رئيسا لاتحاد الطلبة سنة ١٩٧٤عن وعي الشباب في تلك المرحلة تجاه العنف فيقول: «في ذلك الوقت كانت فكرة استخدام العنف في التغيير مقبولة عندنا أو على الأقل لا تجد منا رفضا صريحا.. وكان أقصى خلافنا مع من تبنوا العنف منهجاً للتغيير أنهم يتعجلون بطرح أفكارهم في غير أوانها... وكان خلافنا حول التوقيت فقط والملائمة»[4].

أما د السيد عبد الستار فيصور عقيدة الشباب في تلك اللحظة التاريخية فيقول: «أستطيع القول أن الحرب بدأت وانتهت ولم يشعر بها غالبية الشباب المتدين، الحرب كانت في بداية الصحوة (١٩٧٣) وفي هذا التاريخ كانت العقيدة المسيطرة على الشباب أن الحاكم فرعون والجيش هامان والشباب المتدين يمثلون موسي وهارون، وكان الخطاب الديني السائد يتمحور حول التكفير وجاهلية المجتمع»[5].

وفي خضم هذا المناخ وصل للقاهرة صالح سرية هارباً من نظام البعث العراقي، لتبدأ فصول تنظيم شباب محمد أو تنظيم الكلية الفنية.

١- سيد قطب والتكفير، ص ٢٦.
٢- الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة، كمال حبيب، ص ٢٧.
٣- المصدر السابق، ص ٢٩. وانظر: الاخوان المسلمون الحركة الأم دراسة نقدية، د عبدالله أبو عزة، ص ٢٠٩.
٤- عبد المنعم أبو الفتوح شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر ١٩٧٠-١٩٨٤، ص ٦٥.
٥- تجربتي مع الإخوان من الدعوة إلى التنظيم السري، د السيد عبد الستار، ص ١٨٢.

صالح سرية

يعدّ صالح سرية شخصية مركزية في جماعات العنف والتطرف المصرية بشكل خاص، والعابرة للقارات أيضا، فصالح سرية يعد في طليعة من أسس تنظيما ذا خلفية إسلامية للاستيلاء على السلطة بالقوة العسكرية، مما جرف خلفه الكثير من الشباب والطاقات لمسار مدمّر ومهلك دون ثمرة، ولم يتبين ذلك لأغلبهم إلا بعد سنوات طويلة في غياهب السجون كقادة الجماعة الإسلامية وبعض قادة جماعة الجهاد، بينما لا يزال يواصل نهج الفوضى والتدمير آخرون كأيمن الظواهري وأتباعه ومن انشقّ عنهم كالخليفة المزعوم أبي بكر البغدادي.

وقد ساهمت عوامل مختلفة في تكوين شخصية صالح سرية، سنحاول التعرف عليها من خلال تجميع سيرته الذاتية من شتات الكتابات الجزئية عنه، والغريب أن سيرة سرية غير واضحة ولا معلومة بشكل جيد رغم دوره المركزي، وكثير من المعلومات المتداولة عنه مغلوطة أو ناقصة وغير مترابطة!

مولده وتعليمه ووظائفه:

ولد صالح سرية في قرية إجزم التابعة لقضاء مدينة حيفا في فلسطين سنة ١٩٣٦م، وبقي فيها حتى وقعت هزيمة ١٩٤٨م وقامت دولة اليهود، فقامت قوات الجيش العراقي التي انسحبت بنقله وكثيرٍ من الفلسطينيين للعراق ليبدأ مسيرة اللجوء في الشتات وعمره آنذاك ١١ سنة، فأكمل تعليمه الأساسي هناك، ثم انتظم في كلية الشريعة بجامعة بغداد[1]

١- مِن اعتراف صالح سرية بالنيابة، موسوعة العنف، مختار نوح، ص ١١٩، ويقول سرية في الاعتراف إن دراسة الماجستير كانت في كلية الشريعة أيضا، لكن بعد صفحة من نفس الاعتراف يقول إنه تخرج من كلية التربية! ثم يعود بعد عدة صفحات ليقول إنه درس ماجستير شريعة في جامعة بغداد!!
فهل هذا خطأ من صالح أو هو من طابع الاعتراف في المحكمة؟ الغريب أنه في مقابلة مع ابنه أحمد صالح بموقع محيط ينفي دراسة والده للشريعة ويؤكد أنه خريج تربية! ورسالتاه في الماجستير والدكتوراه مطبوعتان ولا علاقة لهما بالشريعة!

بعد وساطة الشيخ الصواف له بصفته رئيس جمعية إنقاذ فلسطين حيث كان يحظر على الفلسطينيين دخول الجامعات العراقية.

أتمّ البكالوريس سنة ١٩٥٨ تقريبا، ثم واصل دراسته بعد انقطاع لعدة سنوات، فأخذ الماجستير من كلية التربية، وكانت رسالته بعنوان «تطوير التعليم الصناعي في العراق» وقد نشرتها دار الجاحظ ببغداد سنة ١٩٦٩، وواصل تعليمه حين انتسب لجامعة عين شمس غالبا سنة ١٩٧١ للحصول على الدكتوراه، والتي نالها عن أطروحته «تعليم العرب في إسرائيل» سنة ١٩٧٢، وطبعت في بيروت عن مركز الأبحاث الفلسطيني سنة ١٩٧٣[١]، وقد كان لهذا التخصص في موضوع التربية وعلم النفس دور بارز في كارزمية صالح سرية التي أسر بها الكثيرين، فبجانب الموهبة الربانية كان يمتلك المعرفة العلمية بفنون التأثير والإقناع.

عمل في جامعة بغداد وترقى -بدعم الرئيس عبد السلام عارف- ليصبح وكيل كلية الهندسة التكنولوجية سنة ١٩٦٥، وبعد حصوله على الدكتوراه سنة ١٩٧٢ من القاهرة تعاقد مع كلية اللغة العربية بجامعة الرياض لكن سرعان ما تم إيقاف تعاقده قبل السفر من قبل وزارة الداخلية السعودية، ثم وظّف في منظمة التربية والثقافة بجامعة الدول العربية بالقاهرة كخبير في إدارة التربية، ثم سكرتيراً أول لها[٢].

ميوله الفكرية ونشاطاته التنظيمية المتعددة:

الدارس لسيرة صالح سرية يجد فيها تنوعا وتعددا وتبدلا وتقلبا وجمعا بين المتناقضات، وأعتقد أن ذلك يرجع لشخصيته القوية من جهة، ولذكائه ونزعته القيادية وصغر سنه

١- الموسوعة الفلسطينية، ج ٣، ص ٢.

٢- اعترافه بالنيابة، موسوعة العنف، مختار نوح، ص ١١٩. الموسوعة الفلسطينية، ج ٣، ص ٢.

وفرط نشاطه، وأظن أن هذا كان المدخل الذي تم فيه التلاعب بصالح سرية أيضا من قبل آخرين متعددين!

فعلى الصعيد الديني: تعرف الفتى صالح سرية في سنة ١٩٥١على أنشطة جماعة الإخوان المسلمين الدعوية والخيرية في العراق، وخاصة دروس الشيخ الصواف، وانضم لهم وانخرط في أنشطتهم بالكامل عام ١٩٥٨، وجزء من ذلك أن النشاط الفلسطيني كان ممنوعاً في العراق، فاتخذ من جماعة الإخوان جسرا للعمل والنشاط، وأصبح لاحقاً من رموز الإخوان القيادية والعسكرية، حين تولى قيادة الإخوان أو فصيل منهم على الأقل سنة ١٩٧٠ وهم الذين رفضوا اشتراك رئيس الإخوان عبد الكريم زيدان في حكومة البعث برئاسة أحمد البكر[١].

لكنه أيضا تعرّف على الشيخ عبد الكريم الصاعقة، وحضر بعضَ دروسه، وهو أبرز العلماء السلفيين في العراق في وقته (توفي سنة ١٩٥٩) مما ترك بصمات سلفية في وعي سرية، ولعل من تأثير الصاعقة عليه تأليف سرية كتاب «بين الاتباع والتقليد»، والذي طبع سنة ١٩٥٦ بتقديم د. عبد الكريم زيدان.

وأيضا كان لصالح سرية علاقة بحزب التحرير الذي تأسس عام ١٩٥٠ من جهتين، الجهة الأولى أن مؤسس الحزب الشيخ تقي الدين النبهاني هو مِن نفس القرية التي ينحدر منها صالح سرية وهي قرية إجزم، وأن النبهاني أيضا هو عمّ زوجة عبد الله سرية شقيق صالح سرية، ومن الطبيعي أن يكون صالح قد سمع بفكر وحزب النبهاني، واطّلع على كتبه ونشراته أو أن يكون هناك ما يزيد على ذلك من صلة مباشرة أو بالمراسلة.

ومن جهة ثانية، كان لحزب التحرير نشاط في العراق، فقد أرسل النبهاني بعض منظري

١- صفحات من تاريخ الإخوان المسلمين في العراق، نبذة عن التنظيم العسكري، قصي عبد العزيز فهمي، ص ١٧، ٢٨، وهو ينقل اعتراف صالح سرية للنيابة وينسبه لمذكرات صالح سرية! لكن تعليقاته توضح جوانب من الغموض والاضطراب الموجود في اعتراف صالح سرية.

الحزب للدعوة له في العراق في بداية الخمسينيات من القرن الماضي، كان أولهم وأهمهم عبد القديم زلوم، الذي سيخلف النبهاني في قيادة الحزب[١]، وقد استجاب لدعوة زلوم الشيخ عبد العزيز البدري فانتسب للحزب ورحل إلى عمّان والتقى بالنبهاني ودرس عليه فكر الحزب، وأصبح البدري زعيم الحزب في العراق[٢].

وعبد العزيز البدري هو من أصدقاء صالح سرية المقربين لكنه يكبره بعدة سنوات، فهو من مواليد ١٩٢٩، وكان لهما لقاءات كثيرة، وقد ترافقا في جولة لعدة دول ضمن وفد العراق في المؤتمر الإسلامي للتعريف بالقضية الفلسطينية سنة ١٩٦٧[٣]، فكم ساهم البدري في زرع مفاهيم حزب التحرير بعقل صالح سرية؟

بل هناك من يقول إن سرية كان أحد الأعضاء الموقعين على عريضة ترخيص حزب التحرير في العراق سنة ١٩٥٤[٤]. لكن لا أدري مدى صحة هذا، فسنّ صالح سرية آنذاك ١٨ سنة! وهل كان يسمح لغير العراقيين بالمساهمة في إنشاء الأحزاب أم أنه كان حاصلا على الجنسية العراقية؟

غالبًا أن صالح سرية كان على معرفة بفكر حزب التحرير ومتأثرا به على الأقل، وساهم ذلك في ميله نحو المشاركة في الأعمال العسكرية للاستيلاء على السلطة في العراق ومصر استجابة لفكرة طلب النصرة من الجيش ضد السلطة، والتي يتبناها حزب التحرير.

على صعيد نشاطاته الحركية مع جماعة الإخوان: بحسب رواية صالح نفسه في المحكمة فإنه كان منتسبا للإخوان المسلمين وأصبح من قادتهم، وأنه كان يرى ضرورة

١- أمالي السيد طالب الرفاعي، رشيد الخيون، ص ٩٩.

٢- الحركات الإسلامية في الوطن العربي، إشراف د. عبد الغني عماد، ٧٧٦/١. عبد العزيز البدري، محمد الآلوسي، ص ٦٩، ويقول الآلوسي إن البدري ابتعد عن الحزب منذ سنة ١٩٥٦ لكنه لم يعلن ذلك لعدة سنوات.

٣- صفحات من تاريخ الإخوان المسلمين في العراق، ص ٢٤.

٤- الحركات الإسلامية في الوطن العربي، إشراف د. عبد الغني عماد، ص ٧٧٦، نقلا عن الإسلام السياسي في العراق الملكي، رسول محمد رسول، ص ٨٤.

قيام الإخوان بانقلاب عسكري قبل ثورة ١٩٥٨ بالعراق، وأنه فاتح القيادة بذلك، والتي طمأنته أن العمل جارٍ على ذلك، وبعد الانقلاب اكتشف صالح أن الإخوان شركاء فيه وليسوا قادته، وهو ما أغضبه ولم يقبل به، وحاول مع بعض الضباط في الإخوان المسلمين أن يستولوا على الحكم، لكن الشيوعيين كانوا أسرع من الإخوان وجاؤوا بعبد الكريم قاسم واستولوا على الحكم.

وهنا حاول صالح سرية مرة ثانية مع ضباط الإخوان المسلمين في الجيش للقيام باغتيال عبد الكريم قاسم، لكن د. عبدالكريم زيدان، رئيس الإخوان المسلمين آنذاك رفض ذلك.

ولكن يبدو أن سمعة سرية الثورية أصبحت معروفة، فاتصل به البعثيون نهاية سنة ١٩٦٢ للقيام بثورة مشتركة ضد قاسم لكنه رفض العرض لأنه يرغب بأن يكون الإخوان هم قادة الثورة، ولما نجح البعثيون في انقلابهم تم اعتقاله سنة ١٩٦٣ حتى سنة ١٩٦٤.

ويبدو أن صالح سرية أصبح مغرما بالانقلابات العسكرية والمؤامرات السرية، ولم يتعلم من تجاربه الفاشلة لكنها حماسة أو تهور الشباب والجهل وقلة العلم، ففي سنة ١٩٦٨ طلب منه آمر الحرس[١] الجمهوري أن يقنع الإخوان بالاشتراك معه في الانقلاب على الرئيس عبد الرحمن عارف، ويبدو أن آمر الحرس كان قد نسّق مع البعثيين أيضا، فلما علِم الإخوان ذلك توقّفوا عن المشاركة، ومرة أخرى سبق البعثيون الإخوان وقاموا بالانقلاب، ولكن شارك بعض ضباط الإخوان الذين لم يُبلّغوا بالتوقف عن المشاركة في الانقلاب، وعيّن البعثيون رئيسَ الإخوان عبد الكريم زيدان وزيرا في حكومة الرئيس الجديد أحمد البكر.

لكن مرة أخرى يرفض صالح سرية وبعض قادة الإخوان المشاركة مع غيرهم في الحكم، وبدأ سرية يعمل من جديد على ترتيب انقلاب لإسقاط حكم البعثيين الجديد، يحدثنا

١- في موسوعة العنف: آمر الحزب الجمهوري، وهو خطأ مطبعي واضح من السياق، والصواب آمر الحرس الجمهوري، وهو ما صحّحه أيضا قصي عبد العزيز في كتابه صفحات من تاريخ الإخوان، ص ٣٤.

ابن صالح سرية أن بعض شباب الإخوان وحزب التحرير طلبوا من صالح سرية المساعدة في اغتيال البكر ونائبه صدام حسين، الحاكم الفعلي، وأنه تم التخيط لذلك بمشاركة عبد العزيز البدري والعميد محمد الفرج من قيادات الإخوان في الجيش، ولكن العملية كُشفت وقُبض على البدري والفرج وأُعدِما، وللتغطية على إعدامهما اتهم النظام صالح سرية بمحاولة قتل البكِر أثناء خضوعه لعملية جراحية من خلال ممرض بالمستشفى من الإخوان المسلمين[1] ويقول إن والده سرية رفض المحاولة لما علم بها لأنها لا تسقط النظام بل تبدل الأشخاص فقط، ويؤكد قصي عبد العزيز ذلك وأنه وصالح سرية لا علاقة لهما بهذه القصة المفبركة، وأنه هرب للكويت ومنها للسعودية وهرب صالح لسوريا عبر الأنبار، وتم القبض على زوجة صالح ووالدة وشقيق عبد العزيز بسبب ذلك[2].

وعلى الصعيد العسكري الفلسطيني: يبدو أن صالح سرية كان يشتعل نشاطا وهمّة نحو تحرير فلسطين كحال الغالبية من الشباب الفلسطيني في الشتات، فانتسب للكلية الحربية ببغداد وتخرج منها سنة ١٩٥٩ برتبة ملازم ثان[3]، وانضم لجيش التحرير الفلسطيني الذي أنشأه الزعيم العراقي عبد الكريم قاسم حتى أصبح أقدم ضابط فيه سنة ١٩٦٢.

ولكن صالح سرية لم يكتفِ بهذا العمل العسكري الرسمي، فسرعان ما انخرط بشكل سرّي سنة ١٩٥٩ في تأسيس «جبهة التحرير الفلسطينية»، مما يؤشر لتعدد الأدوار التي يقوم بها سرية في وقت مبكر من عمره!

«جبهة التحرير الفلسطينية» ستتطور لاحقا بقيادة أحمد جبريل سنة ١٩٦٨ لتصبح

١- في مقابلة موقع محيط مع ابن صالح سرية يقدم رواية ثانية: أن عضوا بالإخوان اسمه عدنان السعد كان ابن خالته ترجيا (ممرضا) في مدينة الطب، فحاول إقناعه بالاشتراك في عملية اغتيال صدام حسين وأحمد حسن البكر بدون علم الوالد، وكان هذا الشخص من صفوف حزب البعث، فقال له أنا سوف أقوم بالمهمة لوحدي، لكن أعطني مسدسا وسوف أنهي المسألة، وأوهمه أنه سوف يساعده، وأبلغ عنه صدام حسين شخصياً، وتم إلقاء القبض على عدنان السعد.

٢- صفحات من تاريخ الإخوان المسلمين في العراق، ص ١٠، ٣٦.

٣- الموسوعة الفلسطينية، ج ٣، ص ٢.

«الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» المعتمِدة على الفلسفة الماركسية، والتي سينشق عنها أبو العباس سنة ١٩٧٦ ليعود للاسم القديم، وهنا يبرز تناقض كبير بين توجّه صالح سرية الديني وبين رفاقه في الجبهة، الذين هم من التيار اليساري الماركسي، وإذا كان صالح لم يكن يعرف حقيقة رفاقه في سنة ١٩٥٩، فهو بالتأكيد عرفها سنة ١٩٦٨ حين عُقد مؤتمر بدمشق لكافة مكونات وفروع الجبهة في الدول العربية دعا له سرية نفسه[١]!

ويقول صالح سرية إن ياسر عرفات جاء إليه في العراق سنة ١٩٦١ و١٩٦٢ لتوحيد عمل المنظمتين (جبهة التحرير وحركة فتح)، ومن هنا نسجت علاقته الوطيدة مع عرفات، والتي ستتوج بعد هزيمة ١٩٦٧ باندماجه في حركة فتح سنة ١٩٦٨ وأصبح سرية عضوا في المجلس الوطني الفلسطيني، وشارك في مؤتمره بالقاهرة في نفس العام.

ويقول صالح سرية إن جبهة التحرير كانت بحاجة إلى المال والسلاح بعد أن كبرت، فوجد أن الحل يكمن في السطو على أموال يهود العراق، وفعلاً نظّم ونفّذ سرية وتنظيم الجبهة عدة عمليات ضد اليهود أفرادا وشركات، وهذا يبيّن جانبا من طريقة تفكير سرية غير السوية، ويواصل سرية بيان انحراف مسار جبهة التحرير عن قضية فلسطين حين طلب فرع الجبهة في الأردن منه المساعدة في الحصول على موافقة نظام عبد السلام عارف على دعمهم في عملية اغتيال للملك الحسين وقلب النظام الملكي، لكن عبد السلام رفض الفكرة[٢].

وهنا نلاحظ ازدواجية الأدوار الذي يقوم به صالح سرية، فهو منتمٍ للإخوان المسلمين لكنه أيضا عسكري في جيش التحرير التابع للحكومة العراقية، وأيضا يقود تنظيما فدائيا فلسطينيا سريا ثم يصبح عضوا في المجلس الوطني الفلسطيني ذي الصبغة العلمانية، وفوق هذا كله على علاقة وطيدة بزعيم حزب التحرير في العراق، ويشارك في عدة محاولات فاشلة للانقلاب على السلطة!!

١- الفصائل الفلسطينية من النشأة إلى حوارات الهدنة، تحرير: صبحي عسيلة، ص ١٢٩.
٢- موسوعة العنف، ص ١٢٠.

يقدم حازم الأمين تحليلا بخصوص تناقضات صالح سرية هذه مفاده أن «الجهاديين الفلسطينيين» حاولوا توظيف جماعة الإخوان للصدام مع الأنظمة العربية، لكن الإخوان لم يلبّوا تطلعاتهم فتوجهوا للعمل على ضفاف التنظيم وفي هوامشه الأمنية![1].

الخروج من العراق:

بسبب اتهام صالح سرية بمحاولة اغتيال الرئيس البكر، التي ينفيها سرية وصديقه قصي عبد العزيز، هرب سرية إلى سوريا في أواخر سنة ١٩٧١ وطلب اللجوء السياسي من سفارة مصر بدمشق ولكنها لم ترد عليه فجاء إلى مصر بشكل طبيعي لإكمال دراسته في جامعة عين شمس.

وصول صالح سرية إلى مصر:

جاء سرية لمصر نهاية سنة ١٩٧١ محملا بأفكاره المتنوعة ومواقفه الحادة والعسكرية وعلاقاته المتعددة والمتناقضة، في البداية انشغل بإكمال دراسته للدكتوراه، والتي حصل عليها في السنة التالية، وفي القاهرة قدم طلب لجوء سياسي لسفارة الأردن، وذكر في الطلب أنه سبق له الاشتراك بمحاولة انقلاب في الأردن فرفض طلبه! وكذلك قدم طلب لجوء لسفارة ليبيا ورُفض الطلب أيضا، وسنعود لقصة سفارة ليبيا لاحقا.

وبعد حصوله على الدكتوراه تعاقد مع جامعة الرياض، ولكن في ليلة السفر جاءت برقية للسفارة بمنعه من السفر للسعودية، فتعاقد مع منظمة التربية والثقافة التابعة للجامعة العربية[2].

١- السلفي اليتيم، حازم الأمين، ص ٢٦.
٢- موسوعة العنف، ص ١٢٣.

تواصل سرية مع جماعة الإخوان المسلمين في مصر:

كانت البداية في تواصل سرية مع الإخوان من خلال زينب الغزالي مطلع سنة ١٩٧٢، حيث زارها عدة مرات وتدارس معها حال الإخوان وأنه لا يصلح النهج السلمي الذي يسيرون عليه، وأنه لا بد من استعمال القوة للوصول لتطبيق الإسلام! فوافقته زينب على ذلك ولكن أخبرته بضرورة مراجعة المرشد حسن الهضيبي بأي شأنٍ يخصّ الإخوان، ورتّبت له مقابلة مع المرشد بناء على طلب سرية، وفي اللقاء أخبره سرية بسوء أوضاع الإخوان في مصر والخارج وضرورة إعادة تنظيم صفوفهم ليتمكنوا من الاستيلاء على السلطة وإقامة الدولة الإسلامية! وتكررت اللقاءات وتكرر عرض سرية وتكرر رفض المرشد لذلك التصوّر!

فيئس سرية من الإخوان وأيقن أنه لا فائدة ترجى منهم في تنفيذ عمل مسلح، وقرر تكوين تنظيمه الخاص بعيدا عن الإخوان، لكن رواية سرية هذه تخالف شهادة زينب الغزالي كثيرًا، فهل أخطأت زينب أم أخطأ سرية تحت التعذيب، أم أنه يميل للمبالغة في دوره أم يكذب ليموّه على تنظيمه[١]!؟

علاقة سرية بفكر سيد قطب:

كان سرية مؤمنا بضرورة العمل العسكري لإقامة الدولة الإسلامية قبل قدومه إلى مصر، وتاريخه في العراق يؤكد ذلك[٢]، أيضا كان مندوبٌ لإخوان العراق قد زار سيد قطب في سنة ١٩٦٤ عن طريق علي العشماوي، وأعجب بفكر سيد الجديد، وأخبر

١- راجع موسوعة العنف، اعتراف سرية ص ١٢٧، وشهادة زينب الغزالي ص ١٤٦، حيث تقول زينب إن سرية قدم نفسه لها بصفته عالم حديث، وجاء بعدد من الشخصيات عدة مرات يشهدون له بالتبحر في علم الحديث ولا يوجد ما يدلل على علاقة سرية بعلم الحديث! وإنه كان معجبا بجيفارا كثائر ناجح! وقد اتهمت زينب سرية بالكذب في إحدى إجاباتها على النيابة.

٢- الإسلام السياسي، د محمد مورو، ص ١٨٦.

جماعته بالعراق بذلك، وعاد بعد مدة وقدم ٢٠٠ جنيه دعما للتنظيم الجديد الذي يقوده سيد قطب[١]، فهل كان هذا مندوب أهل العراق فعلا؟ وهل تعرف صالح سرية من خلال ذلك المندوب على فكر سيد قطب الجديد وتبنيه فكرة رد الاعتداء بالقوة؟ أم كان هذا أيضا فخّا من العشماوي للتنظيم؟

لكن تأثير سيد قطب على فكر صالح سرية محل اتفاق بين الباحثين، فمعتز الخطيب يقول: «صالح سرية، وهو صاحب أول تطبيق فعلي للعنف في مصر عام ١٩٧٤ (تنظيم الفنية العسكرية) يقول في «رسالة الإيمان» التي كتبها سنة (١٩٧٣): «إن كل الأنظمة وكذلك كل البلاد الإسلامية التي اتخذت من نفسها آلهة وأربابا. فكل من أطاعها مقتنعا بها فهو كافر» معتبراً هذا «الفرض الأول لأنها أساس التوحيد والشرك في هذا العصر»، ومحيلا إلى سيد قطب. بل إنه اعتبر في مقدمة رسالته تلك أن مِن خير التفاسير لمعرفة التفسير الحق للقرآن «في ظلال القرآن» في طبعاته الأخيرة»[٢].

أما هاني نسيرة فيعتبر سرية «الرابط بين تحول الفكر القطبي إلى فكر جهادي انقلابي» وأن سرية كان جاهلا بتراث ابن تيمية وخطابه أو مقولاته[٣]، وهذا الجهل مفهوم في ضوء سن سرية الصغيرة حيث كان في سن ٣٧ حين اعتُقل في قضية الفنية العسكرية، وكان مشغولا بدراسة التربية في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، فضلا عن انضمامه للكلية الحربية ببغداد وسجنه هناك سنة تقريبا، فضلا عن دوره في نصرة القضية الفلسطينية وسفرياته من أجلها عدة مرات، فمتى يطالع سرية مطولات ابن تيمية ويفهمها؟ بينما يرى د. محمد مورو أن سرية اعتمد على ابن تيمية وسيد قطب[٤].

١- لماذا أعدموني، ص ٤٢.

٢- سيد قطب والتكفير، ص ٢٦، وانظر أصل كلام صالح سرية في كتاب النبي المسلح، ص ٣٣، وقد عزا كلامه هذا لظلال القرآن!

٣- متاهة الحاكمية، ص ١٧٥، ١٧٧.

٤- الإسلام السياسي، محمد مورو، ص ١٨٧.

عموما؛ كان صالح سرية بحكم تكوينه وتجربته في العراق جاهزاً للتفاعل مع فكر سيد قطب الجديد الثوري والمناخ الشبابي الغاضب، وحين قرر سرية تكوين تنظيمه الخاص بدأ يبحث في محيط الإخوان المسلمين وبقية المجموعات الشبابية المائلة للعنف.

فكر صالح سرية:

بلور صالح سرية فكره في «رسالة الإيمان» التي ألفها سنة ١٩٧٣، وهي سنة تأسيس التنظيم، وذكر في مقدمة الرسالة تعريفا بها يكشف ملامح فكره العامة فقال: «وهذه الرسالة – حسب علمي- هي أول رسالة من نوعها في تشخيص الكفر الذي وقع فيه المسلمون عن علم أو عن جهل؛ بسبب الظروف الجديدة التي وقعوا فيها، ودراستها -في نظري- أهمّ ألف مرة من دراسة قضايا العقيدة التي كُتبت في الماضي»[١]، ونلاحظ هنا الانطلاق من الكفر والتكفير للتنظير! وواضح التأثر بفكر سيد قطب في هذا المنطلق، وواضح تصريح سرية بالتأسيس لهذا الفكر التكفيري، الذي يكفّر غالب المجتمع بدعوى الرضى بالحكومة الكافرة[٢].

لكن يجب أن نتنبّه إلى أن سرية له مشارب متعددة، لذلك فقد مزج هذا التأثر بسيد قطب الذي يدعو للمفاصلة الشعورية مع فكر حزب التحرير الإسلامي[٣] وتجربة منظمة التحرير الفلسطينية، فخرج بنظرية خليطة تأخذ من سيد قطب نظرة تعميمية في التكفير، ومن حزب التحرير فكرة الانقلاب العسكري التي مارسها الحزب في الستينيات ثم تخلى عنها وآمن بطلب نصرة الجيش له! ولذلك لم يمانع سرية في الانخراط في الجيوش للانقلاب على السلطة (الكافرة)[٤]، واليوم تطور فكر جماعات الجهاد والعنف وأصبح الانتساب

١- النبي المسلح، ص ٣٢.
٢- الإسلام السياسي في مصر، هالة مصطفى، ص ١٤٣.
٣- الحركات الإسلامية في الوطن العربي، إشراف د عبد الغني عماد، ص ٧٩٩.
٤- من النكسة إلى المشنقة، شهادة طلال الأنصاري، تحرير د. عبدالله سرور، ص ١٠١.

لمؤسسات الدولة، وخاصة الجيش والأمن، كفرا مخرجا من الملة، ولذلك فهي تستهدف معسكرات الجيش ومراكز التجنيد في عدد من الدول.

تأسيس التنظيم:

التقى سرية بعدد من قادة المجموعات التي تكونت سابقا في تنظيم نبيل البرعي وانشقّت عنه، وغيرهم، فالتقى بإسماعيل طنطاوي، لكنهما لم ينسجما بسبب فكر طنطاوي المائل للمنهج السلفي نوعا ما، بينما كان سرية -المتأثر بالإخوان وحزب التحرير- يرغب بتأجيل نقاش القضايا الشرعية والمنهج الوجب الاتباع في الدين، وعدم تقييد العضوية بمن يوافق على ذلك فقط.

وقابل سرية يحيى هاشم ولكنهما اختلفوا على منهج التغيير حيث كان سرية يفضل أسلوب الانقلاب العسكري بينما كان هاشم يصر على طريقة حرب العصابات[1].

والتقى سرية بمجموعة تكفيرية متطرفة يقودها محمد إبراهيم سالم وشكري مصطفى[2]، وبعبد الله السماوي[3]، لكنه لم ينجح معهم أيضا.

الغريب أن هذه المشاورات كانت شبه علنية! يقول د. السيد عبد الستار: «ومثل عملية اغتيال السادات تماما كانت عملية الفنية العسكرية محسوسة لدى العديد من الإسلاميين الذين دعاهم صالح سرية للمشاركة في الانقلاب، في منطقة النزهة بمصر الجديدة حيث إقامتي في هذا الوقت تحدث معي أحد الإسلاميين حول استعدادي أن أشارك في عملية لقلب نظام الحكم وكعادتي بدأت مناقشته حول الموضوع، وعندما قلت له يجب أن

١- التنظيم والتنظير، عبد المنعم منيب، ص ٢٣.
٢- من النكسة إلى المشنقة، ص ٩٥.
٣- موسوعة العنف، شهادة حسن الهلاوي، ص ٣٠٤.

يتلقى المشاركون تدريبا على الأسلحة أولا ثم يختار منهم من يصلحون، قال يبدو أنك من الذين يقولون لو نعلم قتالا لأتبعناكم.. إنسى الموضوع ولا تحدث به أحد»[1]، وتحتار أيهما أغرب العرض أم الرد!

لكن بحكم شخصية سرية الكارزمية استطاع استقطاب بعض الشباب الصغار الذين كانت لهم صلة بجماعة الإخوان، على رأسهم كان طلال الأنصاري الذي ينتمي لمجموعة من شباب المرحلة الثانوية بالإسكندرية تناصر جماعة الإخوان، لكنها تربّت على أفكار سيد قطب ومحمد قطب منذ سنة ١٩٦٨، وكانوا يبحثون عن دور ومهمة يقومون بها لخدمة الإسلام، وعقب إفراج السادات عن عناصر الإخوان سنة ١٩٧١ تواصلوا مع الشيخ علي إسماعيل[2] فعرّفهم على قادة الإخوان في الإسكندرية ثم عرّف طلال على زينب الغزالي، ومن ثم عرّفه على المرشد حسن الهضيبي وبايعه[3]، وقد تمكن سرية من تسخير تنظيم الأنصاري ورفاقه لصالحه، حيث وجدوا عند صالح سرية الدور الذي يبحثون عنه وهو الإعداد لانقلاب عسكري ضد الدولة.

لكن سرية فصلهم عن الإخوان ولم يعد لهم صلة بالإخوان دون أن يشعروا في الحقيقة، فيقول طلال الأنصاري طالب الطب الذي يعد من أقرب مساعدي سرية والذي تعرف عليه بوساطة زينب الغزالي: «فهمتُ بعد ذلك أن (حسن الهضيبي) قد توصل إلى صيغة جديدة لاستمرار تنظيمنا وبقائه في يده، ولكن من خلال قيادة أخرى هو صالح سرية، وأنا اسمّي ذلك مرحلة تسليم وتسلم... فور انتقالنا لقيادة صالح سرية طرحت مسألتين اثنتين:

الأولى: البيعة التي بايعناها لحسن الهضيبي.

١- تجربتي مع الإخوان، ص ١٨٢.

٢- شقيق عبد الفتاح إسماعيل رفيق سيد قطب في تنظيم ٦٥ وأول من تبنّى فكر التكفير العام في السجن علنا ثم تراجع عنه، ومنه استلم شكري مصطفى فكر التكفير وهو ما سنفصّله لاحقا.

٣- موسوعة العنف، ص ١٦٤.

والثانية: علاقتنا الحالية – وقتها- بالإخوان كجماعة إسلامية.

وقال لنا صالح: إن البيعة السابقة للهضيبي مستمرة، وقرر أن علاقتنا بالإخوان لن تكون إلا من خلاله فقط، وبعدها لم أقابل لا حسن الهضيبي، ولا زينب الغزالي»[1].

وفرض هذه القطيعة بين الأنصاري والهضيبي في ظني حيلة من صالح سرية للسيطرة على مجموعة الأنصاري وعدم فضحه عند قيادة الإخوان[2] خاصة أن المرشد رفض هذا التنظيم وكذلك سبق أن رفض عدد من قادة الإخوان طلب بعض شباب الإخوان اعادة التنظيم والتي قبل بها سيد قطب، كما أن شخصية الهضيبي ليست شخصية صدامية أو مغامرة، ولكن بساطة طلال الأنصاري وقلة خبرته بدهاليز التنظيمات جعلته يظن أن صالح سرية كان يعمل لصالح الإخوان، ولذلك بقي يصر على اخوانية التنظيم وهذا خطأ، لكن قد يصح أن الأنصاري ومجموعته بقيت على ولائها للإخوان ولكنها لم تفهم أنها في تنظيم مستقل!![3] ويؤكد حسن الهلاوي والذي يعد قائد جناح التنظيم في القاهرة أن تنظيم سرية كان منفصلا عن الإخوان.

الشخصية الثانية المهمة في التنظيم كان طالب الكلية العسكرية الفنية كارم الأناضولي، الذي كان شخصا عاديا وله عاطفة دينية، وبعد دخوله الكلية صُدم بوقاحة بعض الطلبة في التطاول على الدين وشتم الله عز وجل مما جعله يزداد تمسكا بالدين واعتزالا لهذه الفئة، لكنها حاربته وأمثاله في الكلية[4] فقد كانت الناصرية والشيوعية لا تزال هي المسيطرة على الجيش، وهناك روايتان لتعرّف كارم على سرية، الأولى أنه تعرّف عليه أيضا عند زينب الغزالي[5] والثانية أن طلال الأنصاري هو الذي قام بذلك، ولكونهما في القاهرة تطورت

١- موسوعة العنف، شهادة طلال الأنصاري، ص ١٧٢.
٢- يؤيد هذا الرأي د. محمد مورو، الإسلام السياسي، ص ١٨٩.
٣- مقابل تأكيد الأنصاري لتبعيتهم للإخوان بسذاجة، يأتي النفي المبالغ به لحد رمي الأنصاري بالافتراء من عبد المنعم أبو الفتوح في شهادته على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر، ص ٦٦.
٤- موسوعة العنف، ص ١١٢.
٥- الإسلام السياسي، محمد مورو، ص ١٨٦، التنظيم والتنظير، ص ٤٨.

علاقتهما سريعا[1]، وكارم فتح الباب لسرية للتعرف على مجموعة من زملائه بالكلية العسكرية الفنية وسخّرهم للتنظيم.

ثم انضم للتنظيم حسن الهلاوي الذي كان قد انفصل عن تنظيم إسماعيل طنطاوي[2]، وكان ذلك مفاجأة للجميع.

مكونات تنظيم سرية:

وبذلك أصبح التنظيم في سنة ١٩٧٣ يتكون من ثلاث مجموعات أساسية:

١- مجموعة الإسكندرية بقيادة الدكتور كامل عبد القادر وطلال الأنصاري.

٢- مجموعة القاهرة والجيزة بقيادة حسن هلاوي.

٣- مجموعة العسكريين ويرأسها صالح سرية شخصيًّا، وهي قسمان: عسكريو الجيش ويتبعون سرية، وطلبة الكليات العسكرية ويترأسهم كارم الأناضولي[3].

وكان هدف التنظيم هو التمهيد لانقلاب عسكري من داخل الجيش للاستيلاء على السلطة، وذلك ضمن برنامج زمني ينتهي بنهاية سنة ١٩٧٥[4]، لكن حدث ضغط على سرية جعله يسرّع من موعد التنفيذ ويبدل الخطة من انقلاب عسكري إلى خطة للقبض على الرئيس السادات في المطار أثناء عودته من يوغسلافيا، لكن لم تنجز مجموعة الهلاوي التجهيزات فألغيت، وتم استبدالها بخطة القبض على السادات ومعاونيه، في اجتماع لهم يوم ١٩٧٤/٤/١٩، ولكن تغيرت الخطة فجأة وما حدث هو هجوم فاشل على الكلية الفنية التي كانت خارج الخطط![5] فكيف حدث هذا وما تفسيره ودلالاته؟

١- من النكسة إلى المشنقة شهادة طلال الأنصاري، ص ١١٣.

٢- الإسلام السياسي، محمد مورو، ص ١٨٧.

٣- من النكسة إلى المشنقة، ص ١٠٣، الإسلام السياسي، ص ١٩٠، الإسلام السياسي في مصر، ص ١٤٦.

٤- من النكسة إلى المشنقة.

٥- موسوعة العنف، شهادة طلال الأنصاري، ص ١٧٤.

لا توجد إجابة واضحة وصريحة، ولكن من شتات التصريحات والمعلومات يمكن أن نقدم تصورا قريبا لما حدث، المهم يجب أن نستحضر أننا نناقش تنظيما غالبه من الشباب صغير السن وقليل التجربة، فبحسب أوراق المحاكمة لهذا التنظيم فهو يتكون من ٩٢ متهما، منهم زعيم التنظيم الذي يحمل شهادة الدكتوراه ولا يزال عمره ٣٧ سنة، وهو أكبر الأعضاء، ومعه شخص واحد بنفس السن، و٦ أعضاء فوق ٣٠ سنة، و٨٤ عضوا تحت ٣٠ سنة، و٧٤ عضوا منهم تحت سن ٢٥ غالبيتهم طلاب!

هذا التنظيم بهذه الإمكانيات الساذجة المادية والمعنوية يريد إقامة دولة إسلامية والقضاء على دولة قائمة انتصرت في حربٍ قبل أشهر ولديها جيش وشرطة مدربان وقويان! وللأسف لا تزال تتكرر هذه السذاجات، فها هو أبو بكر البغدادي يعلن إقامة دولة الخلافة، وهو لا يستطيع أن يؤم أتباعه علنًا في الصلاة في مقر دولته وعاصمة خلافته، ثم تجد الشباب المتحمس يطير بذلك فرحا وشوقا ويصبح حطبا في هذه الفخاخ والمؤامرات.

وبقايا تنظيم بهذا المستوى هو ما يعده الباحثون النواة الأساسية لتنظيم الجهاد[1] الذي سيكبر مع الأيام ويتفرع عنه تنظيمات ويقوم باغتيال السادات، ومن ثم يُدخل مصر في دوامةٍ من العنف المدمر الأهوج، ثم يخرج للخارج ويتحالف مع أسامة بن لادن والذي يتبنى عملية ٩/١١ في أمريكا، ويعرض العالم الإسلامي كله لهجمة أمريكية هوجاء على الإسلام والعمل والإسلامي ولا تزال هذه المسيرة العمياء تفرّخ تنظيمات أكثر دموية وإرهابا وتكفيرا كداعش، وقد أصبحنا حاليا على مشارف مرحلة جديدة قد تشهد اندماج القاعدة وداعش أو ظهور ما بعد داعش!

١- الإسلام السياسي في مصر، ص ١٤٠.

حادثة الكلية الفنية:

يقول طلال الأنصاري إنه ورفاقه في الإسكندرية لم يطيقوا الصبر حتى سنة ١٩٧٥ وضغطوا على سرية لدرجة التآمر تقريبا على سرية للقيام بعمل الآن، فقد اكتملت التجهيزات وهم في شوق للجهاد! ويعترف الأنصاري لاحقًا أن ذلك الضغط كان خطأ[١] –وهو يشبه الضغط على عبود الزمر لقبول فكرة تعجيل عملية اغتيال السادات وهو ما سنفصّله لاحقا– وهذا يؤكد لنا عفوية وبساطة وسذاجة إدارة هذه التنظيمات، هذا في حالة حسن الظن بها!

ولكن هذه المعلومة لا تتوفر عند غير الأنصاري لأن أغلب المصادر تتحدث عن ضغط كارم الأناضولي على سرية للاستيلاء على الكلية الفنية[٢]! ويمكن أن نجمع بين الروايتين بأن هناك نوعين من الضغط حصلا فعلاً، ضغط الأنصاري ورفاقه من أجل تقديم الموعد من سنة ٧٥ إلى سنة ٧٤، وتم ذلك فعلا، ثم حصل ضغط من الأناضولي في آخر ليلتين لتغيير الخطة لتكون مهاجمة الكلية الفنية[٣] والاستيلاء على الأسلحة فيها واستخدامها في مهاجمة اجتماع السادات! إذ كانت الخطة تقضي بأن يتحرك العسكريون التابعون لسرية لمهاجمة اجتماع السادات وقادته في اجتماعهم بمبنى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي، لكن كارم كان –قبل يومين– قد أبلغ كامل عبد القادر زميل الأنصاري أن الهجوم سيكون على الكلية الفنية، وهو مالم يكن في مخططات الجماعة كما يقول الأنصاري، ورغم اندهاشه والأنصاري لكنهما كانا يريدان أي عمل وحركة فلم يدققا في الأمر وصحته وجدواه[٤]! ويزعم الأنصاري أنه لم يتح له مراجعة سرية والأناضولي عن سبب تغيير الخطة بسبب إعدامهم سريعا[٥]. ولا تزال هذه العقلية المتهورة تقود كثيرا من الأعمال

١– من النكسة إلى المشنقة، ص ٩٨.
٢– المصدر السابق، ص ١١٣، الإسلام السياسي، محمد مورو، ص ١٩١.
٣– من النكسة إلى المشنقة، ص ١١٣، الإسلام السياسي في مصر، ص ١٤٥.
٤– من النكسة إلى المشنقة، ص ١١٣.
٥– موسوعة العنف، ص ١٧٥.

في تنظيمات العنف، وتجلب الكوارث على المسلمين بحجة حب الجهاد والاستشهاد!

لكن حسن الهلاوي ينقل عن سرية أنه أبلغه أن الأنصاري والأناضولي انقلبا على سرية واتهماه بالخوف على أولاده كونه ليس مصريا، وأنه انسحب من قيادة التنظيم لصالح كارم الأناضولي، وأن الأناضولي هو الذي وضع الخطة الساذجة للهجوم[1]! وهذا إن صح، فإنه يكشف عن خلل في قيادة هذه التنظيمات مما يؤكد تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من كوارث «حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام»![2]

لم تتوقف السذاجة على ذلك، بل حتى تنفيذ الهجوم على بوابة الكلية الفنية العسكرية كان من السذاجة أو الخيانة بمكان، حيث قام بضعة طلبة من جامعة الاسكندرية غير مؤهلين بقيادة طلال الأنصاري بالهجوم فقُتل بعض الجنود وبعض المهاجمين، وحاول بعض طلبة الكلية مهاجمة حراس مخازن السلاح لكنهم فشلوا، وفشلت العملية، وتم القبض على الجميع خلال العملية أو بعدها بأيام.

وعُثر مع الطلبة المهاجمين على دفتر به أسماء الطلبة ومهمّاتهم في الهجوم! ومخططات لمبنى كلية الطيران، مما يدلل على مدى قلة ذكاء قيادة هذا التنظيم وعبثية تخطيطه!

لكن أمر هذه السذاجة والغباء قد يزول أو يتضاعف إذا علمنا أن عضوا من التنظيم ذهب إلى أمن رئاسة الجمهورية وأخبرهم بكل تفاصيل الخطة قبل يوم من تنفيذها، لكنهم لم يأخذوا الأمر على محمل الجد![3] وأثناء الاقتحام هرب أحد الأعضاء وذهب للأمن يبلّغ عن الهجوم[4]، ومع ذلك لم يتحرك الأمن بالشكل المطلوب، ويعزو مختار نوح ذلك لإخفاق الأمن وتراخيه حتى قُتل السادات فيما بعد[5].

١- المصدر السابق، ص ٣٠٥.
٢- راوه ابن ماجة وصححه الألباني.
٣- موسوعة العنف، ص ٤٧.
٤- المصدر السابق، ص ٨٣، ٩٥.
٥- المصدر السابق، ص ٥٤.

لكن هناك تفسيرات أخرى من أعضاء بالتنظيم، فطلال الأنصاري يعلق على رضوخ سرية لضغط الشباب بتجاوز المخطط الرئيسي الذي ينتهي في ١٩٧٥ بقوله: «هل كان هذا الموقف ضعفا من صالح أمام ضغط الشباب عليه أم كان لصالح تصور آخر يُخفيه؟»[١].

ومن مظاهر السذاجة أن أحد اعضاء التنظيم ويدعى أحمد الرجال والذي بلّغ عن التنظيم قبل حادثة الفنية العسكرية بساعات كان يَعتقد أن حسين الشافعي، نائب الرئيس السادات، هو قائد التنظيم! وينقل عن طلال الأنصاري أن كارم الأناضولي كان على خصومة مع عميد الكلية، ولذلك أراد الانتقام منه[٢]، وهذا يتّسق مع شهادة كارم في المحكمة عن حياته في الكلية الفنية!

وهذا يفتح الباب للتساؤل: هل تمكّن الأمن المصري من كشف التنظيم قبل قيامه بالعملية، وقبل التبليغ عنها؟ وما هو سبب التراخي في التعامل معه وتركه يقوم بمهاجمة بوابة الكلية؟

لا يمكن الجزم بشيء لكن من الممكن ذلك، بل لعله الأرجح، لأن تنظيما بهذه السذاجة لا يصعب اختراقه والتجسس عليه، ولا يصعب أيضا توجيهه لصالح الأمن، وهذا قد يفسر سبب تقاعس مجموعة الهلاوي عن تنفيذ مهمّتها الأساسية في استطلاع المطار، مما أدى لإلغاء العملية، ولما تم التوافق على اقتحام الكلية الفنية أيضا تقاعست مجموعة الهلاوي عن المشاركة لدرجة أنه لم يصدر أي حكم على عضو بمجموعة الهلاوي في حادثة الكلية سنة ٧٤[٣]، لكن لاحقا سيقوم أحد اعضاء المجموعة القاهرة بقيادة عملية سنة ١٩٧٧

١- من النكسة إلى المشنقة، ص ٩٩.

٢- مقابلة مع أحمد الرجال على موقع مبتدأ، وقد أصدر الرجال كتاب بعنوان «هاتف الخلافة» ولم أطلع عليه.
وينقل صلاح الإمام أن حسين الشافعي جاءه شريط من محاكمة صالح سرية فيه قوله للمحكمة إن النيابة ضغطت عليه لتوريط حسين الشافعي باتهامه أنه زعيم التنظيم، مقال له بعنوان «حسين الشافعي قصتي مع السادات» على شبكة الإنترنت.

٣- يقول الهلاوي في شهادته بموسوعة العنف ص ٣٠٤: إن سرية قسّم التنظيم إلى عسكريين يقومون بالانقلاب، ومدنيين لا علاقة لهم بالانقلاب، لكن الوقائع تخالف ذلك! أيضا يقول الهلاوي إنه حين سمع إطلاق النار انسحب بمجموعته لأنهم يؤمنون بثورة بيضاء بلا دماء.

لكن وُجد في المجموعة عضو مرتبط بالأمن، وسلّم المجموعة[1]! أيضا من تحرّك فقط الطلبة المدنيون والعسكريون وبلا نتيجة، بينما جناح التنظيم العسكري لم يتحرك ولم يتم الكشف عن أعضائه في المحاكمة! فهل كان وجودهم ادعاء من سرية وكذب؟ أم تم تركهم بمعرفة الأمن لمرحلة تالية انتهت باغتيال السادات؟

وهنا أيضا يبرز سؤال عمّا إذا كان الأمن المصري يريد ترك التنظيم يعمل؟ وهو أمر قد تكرر مع أكثر من تنظيم مسلح؟[2]

هناك فرضيتان، إحداهما ترى أن كارهي السادات في الأمن من الناصريين كانوا يرغبون بتورط الإسلاميين بصِدام مع السادات ليعود إلى نهج عبد الناصر، ويعود السادات تحت هيمنة الناصريين الذين انقلب عليهم، وقد يتقاطع مع هذه الرؤية الاتهامات لصالح سرية بتلقي الدعم من الرئيس الليبي معمر القذافي لتنفيذ اغتيال السادات، حيث يقول طلال الأنصاري إنه تعرض لضغوط أثناء التحقيق للاعتراف بدور للقذافي في دعم التنظيم[3]، حيث سبق لسرية أن طلب اللجوء من السفارة الليبية، وكان عضوا بمنظمة التحرير الفلسطينية، وله رفاق يساريون مما قد يكون فتح له باب صلة بليبيا أو القذافي، حيث كان سرية معجبا بثورة القذافي وجيفارا[4]! وأيضا نجد ريتشارد ديكون يورد في كتابه «المخابرات الإسرائيلية» أن سرية وضباطاً مصريين كانوا على صلة بمخابرات القذافي[5]، ومعلوم أن القذافي كان مؤيدا قويا لعبد الناصر، فهل أراد الانتقام له من السادات الذي انقلب على نهج عبد الناصر؟ أم فعل القذافي ذلك انتقاما لليهود حيث يعتقد كثيرون أن القذافي يهودي الأصل وكذلك عبد الناصر؟

١- موسوعة العنف، ص ٨٩.
٢- المصدر السابق، ص ٥٠٢.
٣- من النكسة إلى المشنقة، ص ١١٥.
٤- موسوعة العنف، ص ١٥٠، ١٧٢.
٥- حسام أبو حامد، مقاله: توجيه الدين ضد الدولة والمجتمع.. بين سيد قطب وصالح سِرّية، العربي الجديد، ٢٠١٥/٤/٢٣.

الفرضية الثانية تقول إن الأمن المصري الذي كشف التنظيم كان يتبع السادات فعلاً، وقام بتحييد العسكر وسرية عن التنظيم، وترك الطلبة الصغار (يلعبون) ولو قُتل بعضهم وبعض العسكر مقابل إيجاد مناخ ملائم للتخلص من بقايا الناصريين وخصوم السادات في الداخلية والأمن والمخابرات، يقول مختار نوح: «لقد قام الرئيس السادات بعد هذه الواقعة بتغيير الهيكل الأمني، وقد بدأ بوزير الداخلية في هذا الوقت .. تغيير الجهاز الأمني بأكمله»[1].

وعموما؛ فحتى لو كان الأمن المصري لم يعلم بالتنظيم وفوجئ به وتخاذل عن التصدي له كسلا وإهمالا أو تقصدا وعمدا، فإن كل الدارسين يؤكدون أن السادات استغل ذلك لترتيب الجهاز الأمني لصالحه، مقابل تقديم عشرات الشباب والعساكر ضحية للتهور والجهل وربما الاختراق الأمني أيضا!!

تنظيم الفنية وبداية سلوكيات القاعدة وداعش:

لفت نظري بعض التصرفات التي رواها أحمد الرجال، والتي أصبحت سلوكيات دائمة في تنظيمي القاعدة وداعش، منها قيام سرية بإعطاء أحد المشاركين في الهجوم على الكلية الفنية سكين (مطواة) وقال له بالحرف الواحد: «هتتقدم إنت ومحمد عشرة ومحمد مرسي، أعضاء التنظيم، إلى الحارس وتدّعي أنك مريض «وتذبحوا هذا الكلب»[2]، وقد تطور هذا السلوك عند داعش وأخواتها حتى اخترعوا لها اسما باطلا هو (سنة الذبح)!!

ومنها قول الرجال إن أميرهم صالح سرية كان يردد دائماً «راياتنا سود كراية أحمد»[3]، وهو ما تحقق لاحقا في رايات تنظيم القاعدة وداعش!

١- موسوعة العنف، ص ٥٥.
٢- مقابلة مع أحمد الرجال في موقع مبتدأ.
٣- أحمد الرجال، مقال على موقع محيط بعنوان: هاتف الخلافة: شهادتي على أحداث الفنية العسكرية، ٢٠١٥/٤/١٩.

ما بعد القبض على عناصر التنظيم وفشل العملية:

مَن تورط بالهجوم تمت محاكمته، فحُكم بالإعدام على صالح سرية وكارم الأناضولي، والسجن على الكثير من الشباب الصغار، والذين اختلطوا في السجن بجماعات وتنظيمات أخرى مما أفرز انشقاقات فيما بينهم، حيث انفصل الهلاوي ومن معه عن مجموعة الأناضولي التي تبنّت العنف[١].

وفي عام ١٩٧٥ قامت مجموعة يحيى هاشم -التي كانت قد ظهرت سابقا كانشقاق عن تنظيم إسماعيل طنطاوي[٢]- بمحاولة تهريب سجناء الكلية الفنية من خلال تزوير أوامر ترحيلهم من سجن لسجن، وقد كُشفت المحاولة وفشلت في اللحظات الأخيرة، فهرب هاشم إلى الصعيد ولكن الأمن استطاع الوصول إليه وقتله، فتشتّتت مجموعته وانضم بعضهم لمجموعة الكلية الفنية - مجموعة الاسكندرية [٣].

أما الذين لم يُقبض عليهم أو تمت تبرئتهم فيقول ياسر سعد، أحد من برّأتهم المحكمة: «حصلنا على تعليمات أخرى من صالح سرية بتأسيس تنظيم ينقسم إلى أربعة أقسام، قسم مدني، والثاني جيش، وقسم دعوي، وقسم حرب عصابات»[٤]، وقد يفسر هذا قيام بعض أعضاء التنظيم بعملية لاحقة، وعَيّن سريةُ أحمد صالح زعيما للتنظيم.

انقسم التنظيم بين مجموعة الاسكندرية التي تعصبت لأفكار سيد قطب وبقراءة متشددة لها، بل إن طلال الأنصاري قد انحاز لفكر شكري مصطفى التكفيري المتطرف، بينما مجموعة الجيزة بقيادة حسن الهلاوي فقد رفضت ذلك، وقام الهلاوي بمناظرة شكري مصطفى نفسه حيث اعتمد الهلاوي على كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في ابطال فكر شكري مصطفى التكفيري، وسوف نستعرض تفاصيل ذلك لاحقا عند دراسة تنظيم شكري مصطفى.

١- موسوعة العنف، ص ٣٠٧.
٢- سبق شرح ذلك في قصة تنظيم نبيل البرعي من هذا الكتاب.
٣- الإسلام السياسي، محمد مورو، ص ١٩٥.
٤- مقابلة ياسر سعد مع اليوم السابع، ٢٠١٤/٣/١٦.

كان في مجموعة الاسكندرية بعض الشباب المتهور، الذي يجاهر بضرورة الصّدام مع الدولة بأي طريقة وبأي وسيلة، ولو كانت إبرة! وفعلا تمكن أحدُهم من إقناع عدة شباب معه لا يتجاوزون ٦ أشخاص بتهوّره، وفي يوم مرّوا بجوار حارس للسفارة القبرصية كان نائما وبجواره بندقيته، فقاموا بسرقتها فاستيقظ فطعنوه، ومات، فاهتم الأمن بالحادثة ولكنه لم يصل لنتيجة، لكن خال أحد الشباب حين وَجد البندقية مخبأة أبلغ عن ابن اخته، فطلب الأمن منه التجسس عليه لمعرفة أبعاد الموضوع، وفعلا قَبض الأمن على المجموعة السارقة، لكن الأمن توسّع في الاعتقال لحد اعتقال ٢٠٠ شخص منهم أحمد صالح، وحسن الهلاوي، إذ اختلق الأمن تنظيما غير موجود وحكم عليهم أحكاما عالية، مما جمع الكثير من الشباب في تنظيم متطرف جديد كوّنه أمن الدولة في السجن، وكان له الدور الأكبر في حادثة اغتيال السادات لاحقا[١]!

فهل كان هذا التجميع مقصودا أم هو خطأ متكرر من أجهزة الأمن لليوم؟ فحديثا في العراق جُمع في سجن بوكا بين قادة القاعدة وضباط الاستخبارات العراقية زمن حكم صدام حسين، والذي نتج عنه لاحقا ظهور تنظيم داعش الذي يجمع بين أبي بكر البغدادي وحجي بكر (سمير عبد محمد الخليفاوي) وهو عقيد استخبارات سابق في نظام صدام حسين!

وبعد حملة الاعتقالات التي طالت حسن الهلاوي، برز خلفه مصطفى يسري وهو أحد من أفرجت عنهم المحكمة مبكرا، فأخذ يجمع أعضاء الجيزة والقاهرة من جديد، ولكن تمكّن الأمن من اختراق التنظيم عن طريق شخص يدعى عبد القوي حيث سلّمته بعض القنابل ليسلمها للتنظيم، وقبضت عليهم الشرطة أثناء التسليم، لكنه اعترف أمام المحكمة بالحقيقة فبرأتهم المحكمة، فحلّ مصطفى التنظيم الذي بات مكشوفاً[٢].

١- موسوعة العنف، ص ٣٢٩.
٢- الإسلام السياسي، محمد مورو، ص ١٩٥.

وبذلك انتهت مجموعات تنظيم الكلية الفنية، لكن فِكر صالح سرية انتشر بين الشباب فطبعت (رسالة الإيمان) عدة مرات ووزّعت في الجامعات من قبل اتحاد الطلبة، وكذلك شريط مرافعة كارم الأناضولي في المحكمة[1]، وبذلك صار المناخ مناسبا لظهور جماعات جديدة، وفعلا قام بعض أعضاء تنظيم سرية لاحقا بتأسيس تنظيم الجهاد الذي سينموا ليغتال السادات سنة ١٩٨١.

كارم الأناضولي

١- الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة، ص ٣١، موسوعة العنف، ص ٣٢٤.

3

جماعة المسلمين، شكري مصطفى

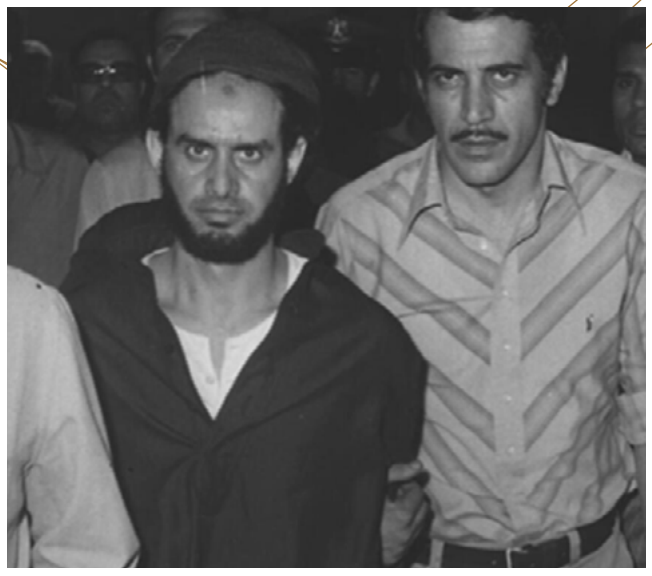

شكري أحمد مصطفى (1942م - 1978م)

٣- جماعة المسلمين، شكري مصطفى

لقد تسبب الظلم المتمثل بالسجن والتعذيب في السنوات (١٩٥٤ – ١٩٦٤) في بروز مناخ غاضب مائل للعنف والتكفير ضد السلطة في المجتمع المصري، سواء في داخل السجون أو خارجها، ونتج عن ذلك ظهور مجموعات تتبنى تكفير جمال عبد الناصر وتسعى إلى ترتيب انقلاب عسكري على النظام من داخل الجيش، وبدأت هذه التنظيمات بدءا من سنة ٥٨ حتى كانت أول محاولة على يد تنظيم د. صالح سرية سنة ٧٤.

لكن حملة الاعتقالات التي قام بها جمال عبد الناصر سنة ١٩٦٥ والتي كشفت عن تنظيم سيد قطب الجديد داخل الإخوان تسببت بظهور موجة جديدة من العنف والتكفير في السجن استهدفت المجتمع المصري نفسه، ولم تكتفِ بتكفير وقتال رأس السلطة وعساكره، وذلك بظهور فكر جماعة المسلمين على يد الشيخ علي إسماعيل ومن ثم شكري مصطفى، الذي تورط في عدد من العمليات الإرهابية كان أبرزها خطف وقتل الشيخ محمد حسين الذهبي وزير الأوقاف المصري.

فما هي تفاصيل ميلاد هذا الفكر؟ وما مساراته وتطوراته؟ وما هي الكوارث التي سبّبها للعمل الإسلامي؟

أصل الحكاية في السجن

في سنة ١٩٦٥ قام الأمن المصري ببضعة اعتقالات عشوائية في صفوف الإخوان المسلمين نتج عنها كشف تنظيم الإخوان الجديد الذي يقوده سيد قطب، ولم يكتفِ عسكر عبد الناصر باعتقال أعضاء التنظيم الجديد، بل قاموا باعتقالات طالت كل الإخوان المسلمين، الذين في التنظيم والذين خارج التنظيم وخارج السجن، حتى بلغ عدد المعتقلين عشرات

الآلاف[1] بينما كان أعضاء التنظيم الجديد حوالي ٣٠٠ شخص فقط!! ولم يقف الأمر عند ذلك بل طال الكثير من أعضاء الجماعات الإسلامية الأخرى كأنصار السنة النبوية وجماعة الدعوة والتبليغ والجمعية الشرعية، بل حتى بعض الشخصيات والرموز المستقلة مثل الأستاذ محمود شاكر وفؤاد سراج الدين[2]!

ومن ضمن المعتقلين كان الشيخ علي إسماعيل، خريج الأزهر وشقيق عبد الفتاح إسماعيل، الذي كان «دينامو» تنظيم ٦٥، والذي أعدم في القضية مع سيد قطب ومحمد هواش فقط دون بقية المعتقلين، حيث أعدم سيد قطب باعتباره المنظر لهذا الفكر ومحمد هواش باعتباره الرديف الفكري لسيد قطب وعبد الفتاح إسماعيل باعتباره محرك التنظيم.

ومن ضمن المعتقلين شاب صغير كان لا يزال في السنة الثالثة في كلية الزراعة اسمه شكري مصطفى، ويبدو أنه كان من الشباب الذين جذبتهم نشاطات الإخوان السرية في ذلك الوقت، أو كان من الشباب الذين انضموا لحلقات تنظيم ٦٥ دون أن يعرف عن ذلك، كما سيأتي في شهادة أحمد رائف.

وقد تعرض المعتقلون لتعذيب شديد وظلم كبير كعادة نظام عبد الناصر، وبعد انتهاء المحاكمات الهزلية وإعدام سيد قطب وهواش وعبدالفتاح في سنة ١٩٦٦، هدأت الأحوال قليلا في السجن، ولكن في عام ١٩٦٧م طُلب من المعتقلين إرسال برقيات تأييد لعبد الناصر عقب إغلاقه خليج العقبة أملا في الإفراج عنهم، وهو طلب تكرر عدة مرات من قبل في سجون عبد الناصر، فأرسل الجميع برقيات التأييد بسبب أجواء الحرب، إلا مجموعة صغيرة رفضت التأييد لأنها تعتقد كفرَ عبد الناصر وعمالته لليهود، وقد كانت بحدود ٣١ شخصا فقط، منهم محمد قطب ومأمون الهضيبي وأحمد نصير وعلي إسماعيل وشكري مصطفى، وبعد التحقيق معهم صدر قرار بإعدامهم، وتم عزلهم عن بقية المساجين[3].

١- تم اعتقال ٣٤ ألف شخص، منهم ٤٥٠ امرأة، انظر: اختلافات الإسلاميين، أحمد سالم، ص ١٣٤.
٢- التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين، علي العشماوي، ص ٢٤٠، البوابة السوداء، أحمد رائف، ص ٣٧٢.
٣- البوابة السوداء، ص ٣٩٤، ٤٠٣.

مِن بين هذه المجموعة خرج فكر تكفير المسلمين كما يقرر أحمد رائف، فيقول: «ومن الطريف أن فكرة تكفير المجتمع كانت قد ظهرت بين أصحاب زنازين شمال بعد ذلك الظلم الذي أصابهم، والقتل الذي كان ينتظرهم يوم خمسة يونيو، وسمعتُ بهذا وناديتهم من الفناء: أصحيح أنكم تكفّروننا؟

وردّ المرحوم أحمد نصير، وكان جاري في عنبر ١٢: نعم.

وامتلأتُ دهشة: أترونا كذلك؟ لسنا من أهل القبلة؟

وهل ترون أنفسكم من المسلمين؟ الإيمان والكفر كلمات تقال.

... وعدت شاردا واجما أفكّر فيما قاله المرحوم أحمد نصير، وأنا أعجب كل العجب. كيف يفكّرون على هذا النحو؟ ولا شك أن الحكومة هي التي غرست في رؤوسهم هذا التفكير بظلمها وانحرافها وجهلها»[١].

واللافت للنظر هنا أن أحمد نصير هو ابن أخت سيد قطب، والذي يفتخر ويعتز بفكر خاله سيد في تكفير عبد الناصر علنًا في ندوات السجن لغسيل عقول المساجين[٢]، وكان أحمد نصير وابن خالته عزمي بكر شافع مسجونين مع خالهم محمد قطب بعد إعدام سيد رحمه الله، وهذا يذكرنا مرة أخرى بأن بعض من اقتنع بفكر سيد قطب سنة ٦٢ من المساجين أخذ يصرح بتكفير الناس، وهذا يدلل على خطورة فكر سيد قطب، خاصة في مناخ الأزمات، وأنه في أقل أحواله قابل للتطرف والغلو والتكفير، حتى أن د. عبد المنعم أبو الفتوح يعتبر شكري مصطفى وجماعته وتنظيم صالح سرية من نتاج تنظيم [٣]٦٥.

وممن تبنى التكفير في السجن وكان له دور بارز في ذلك بحكم خلفيته الأزهرية علي

١- المرجع السابق، ص ٤٣٢.
٢- المرجع السابق، ص ٣٥٦.
٣- عبد المنعم أبو الفتوح، شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر، تحرير حسام تمام، ص ٦٣.

إسماعيل، والذي يروي لأحمد رائف أن التعذيب الرهيب والكفر الذي كان يتلفظ به الضباط من شتم الذات الإلهية كان السبب في دفعه لتكفيرهم وتعميم ذلك على الجميع، ولكنه عقب موت عبد الناصر سكنت نفسه واستطاع العقلاء، ومنهم المرشد الهضيبي، أن يصلحوا من حاله[1].

ونجد مزيدا من التوضيح لواقع التطرف والغلو والتكفير في السجون عقب سنة ١٩٦٥ وبداية تشكل فكر شكري مصطفى عند إبراهيم الزعفراني، وهو أحد قيادات الإخوان المسلمين السابقين، حيث ينقل عن الشيخ علي إسماعيل قصة بداية الغلو في فكر الغلو والتكفير الذي سيحمل رايته لاحقا شكري مصطفى، فيقول الزعفراني: «حكى فضيلة الشيخ علي عبده إسماعيل، وهو مؤسس فكر هذه الجماعة وأول أمير لها وهو شيخ أزهري سُجن مع الإخوان المسلمين في الستينيات، وهو أخ شقيق للشهيد الشيخ/ عبد الفتاح إسماعيل، نحسبه كذلك ولا نُزكّي على الله أحدا، وهو أحد قادة الإخوان الذين أعدمهم عبد الناصر، قال فضيلته:

خرجتُ ذات مرة أصلّي في السجن فرأيت بعض الإخوان يصلّون وحدهم دون الجماعة، فثارت ثائرتي لذلك وأنكرت عليهم ذلك، وجاءني كلا الطرفين لشرح الموقف واكتشفتُ أن الفريق الأعظم من الإخوان المسلمين لا يقولون بكفر الحاكم والنظام، ويعدّون عامة الناس مسلمين، فى حين أن عددا منهم –بسبب ما وقعوا فيه من تعذيب وتجرؤ المعذبين على دين الإسلام أثناء التعذيب–، هؤلاء يقولون إن الحاكم كافر وإن أعوانه كفرة وإن الناس –برضاهم وسكوتهم عن الحاكم– هم كفرة أيضا، فوقعتُ في حيرة من أمري حيال الرأيين!

١– سراديب الشيطان، ص ١١٤، تجربتي مع الإخوان من الدعوة إلى التنظيم السري، د. السيد عبد الستار، ص ١٣. لكن نجيب ابن عبد الفتاح إسماعيل وأخاه أنس وأختيهما، وهم أبناء شقيقه عبد الفتاح دينمو تنظيم ٦٥، سيصبحون لاحقا من رؤوس التكفير الغلاة لدرجة أن كفّروا أباهم عبد الفتاح الذي أعدم مع سيد قطب لكونه إماما وخطيبا بالأزهر! وكفّروا كثيرا من رؤوس التكفير حتى سميت جماعتهم بجماعة تكفير التكفير! نقلا عن بعض من سُجن معه في بداية الثمانينيات.

ثم ما لبثتُ أن خرجت برأي ثالث اعتقدتُ أنه وسط بين الرأيين، وهو أن من يسمي نفسه بأسماء المسلمين أو يحمل في بطاقته الديانة (مسلم) فلا نحكم عليه بالإسلام ولا بالكفر، ولكن نتوقف في الحكم عليه حتى نتبيّن إسلامه من كفره، ومن هنا نشأ مذهب (التوقف والتبيين).

ويستطرد قائلا: لقد حاروتُ كلا الفريقين في السجن وكنتُ مؤهلا بوصفي شيخا أزهريا أن أدافع عن آرائي، وتتلمذ على يدي كل من شكري مصطفى وعبد الله السماوي، وكانا شابّين في العشرينات، وكان شكري يسجل كل مناظراتي مع الخصوم ويرتّبها ويستعملها في مناظراته، وذات يوم جلستُ مع نفسي أراجع نظرية (التوقف والتبيين) فوجدتُ أن عليّ أن أنشئ فقهاً جديدا لم يسبقني به أحد من أهل الفقه الأولين هو فقه المتوقف فيهم، فمثلا (هل يجوز لزوجة المتوقف فيه أن تظل على ذمته؟ وإذا مات المتوقف فيه قبل تبيّن إسلامه يرثه أولاده أم لا؟ هل يُدفن في مدافن المسلمين أم ننشئ مدافن تسمى مدافن المتوقف فيهم؟) وغيرها من المسائل الفقهية التي تستلزم أن أخرج على الأمة الإسلامية بفقه جديد لم يسبقني إليه أحد من أهل السنة.

واستفقتُ على ما استدرجني الشيطان إليه ليجعل مني رأساً لبدعة ضالة مضلة، وفي صباح اليوم التالي جمعت الإخوان في السجن ووقفت وسطهم أعلن براءتي من نظرية (التوقف والتبيين). وما أن فعلت ذلك حتى صاح كل من شكري مصطفى وعبد الله السماوي واتهماني بالجبن، وأنهما سيظلان متمسكين بهذه النظرية رغم رجوعي»[1].

وفي هذه الرواية عدة فوائد مهمة لتاريخ التكفير والغلو، هي:

١ – هناك انقسام في صفوف جماعة الإخوان حول تكفير عبد الناصر والعسكر وعموم الناس، فالغالب على قدماء السجناء من الإخوان المسلمين الذين سجنوا في سنة ١٩٥٤

١– جماعة التكفير والهجرة، صفحة د. إبراهيم الزعفراني على الفيس بوك، ٢٠١٥/١١/١٢.

أنهم لا يرون تكفير عبد الناصر والمجتمع، بينما الذين تأثروا بسيد قطب سنة ٦٢ في السجن أو الذين تأثروا بسيد قطب عبر تنظيم ٦٥ يكفّرون عبدالناصر وعسكره وحكومته وبعضهم كفّر المجتمع الصامت عن جرائم عبد الناصر، وبعضهم كفر رفقاءه في السجن كما في قصة أحمد نصير.

ويؤيد هذا ما حكاه أحمد عبد المجيد، أحد القياديين الخمسة في تنظيم ٦٥، حيث ذكر انقسام سجناء الإخوان حول فكر سيد قطب فقال: «فعندما وصل (سجناء) إخوان ١٩٦٥ إلى (سجن) قنا، طلب منهم الإخوان القدامى المحكوم عليهم في عام ١٩٥٤ -بعد فترة من استقرارهم- كتابة بعض الأوراق الخاصة بآرائهم، وقالوا إننا نريد أن نسمع منكم بعد الزوبعة التي أثيرت حولكم، والكلام الذي قيل عنكم بأنكم تكفّرون الناس، وتصدرون الأحكام السريعة، وترمون الحاكم بالكفر، وقد ساهمت أجهزة الإعلام المختلفة في ذلك، وقد أوضح لهم إخوان ١٩٦٥ الأمر وأنهم لا يقولون بذلك، ولا نكفر أحدًا دون ضوابط شرعية، ثم إنه ليست قضيتنا هي إصدار الأحكام على الناس والانشغال بذلك، بل نحن ندعو الناس إلى الإسلام بصورته الواضحة الناصعة التي نزل بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع تبيان ما هم فيه من الانحراف عن منهج الله حتى يفيقوا ويرجعوا إلى الله.

وبعدها تم كتابة مذكرة تقع في أربع وثلاثين صفحة (فولسكاب) تشرح جوانب العقيدة، وما عليه أعضاء تنظيم ١٩٦٥، اشترك في كتابتها البعض أذكر منهم الشيخ فتحي رفاعي، مبارك عبد العظيم، وعبد المجيد الشاذلي. وبعد فترة من تسلّمهم هذه المذكرة، قالوا إنه سيحضر مذكرات في هذا الشأن تعالج القضايا والاستفسارات المثارة وستكون من الأستاذ المرشد وعلينا جميعًا أن ننتظر ذلك.

وبعد فترة وصل خطاب من فضيلة الأستاذ حسن الهضيبي – المرشد العام – كان مما جاء فيه: «... وما كنتُ أعلم أن صاحب الظلال قد غيّر في مفهوم الجماعة». وكانت

صدمة شديدة لأفراد قضية ١٩٦٥ بالذات، فهل سيد قطب بعد ما بذل وجاهد حتى قتله الطغاة، تكون هذه نظرة الجماعة إليه؟

وكان بعضهم يقول إننا نعلم أن سيدًا اقتفى أثر أهل السنة والجماعة فيما قال وكتب ولم يأتِ ببدع جديد ثم قال إنه غيّر في مفهوم الجماعة، وهل مفهوم الجماعة يخالف ما عليه السلف؟

وحدثت تساؤلات واستفسارات كثيرة، مع حيرة واضطراب ودوامة عاش فيها هؤلاء الشباب في تلك الأيام واستمر تأثيرها فيما بعد.

وكان بالإمكان التريث والتأكد قبل الوصول لإثارة النفوس ولكن لم يحدث ذلك، ولم تمضِ فترة طويلة حتى وصلت تلك المذكرات التي عارضها إخوان ١٩٦٥ جميعًا بلا استثناء وكذلك بعض إخوان ١٩٥٤، والبعض أبدى عليها بعض الملاحظات، أما بقية إخوان ١٩٥٤ فقد وافقوا عليها بلا تحفظ باعتبارها تتفق مع آرائهم، إلى جانب أنها صادرة من الأستاذ المرشد – رحمه الله – باستثناء البعض منهم كما ذكرت.

وأعيدت للأستاذ المرشد – في مزرعة طره – مع الملاحظات، والاعتراضات، وعلمنا أن كثيرًا من إخوان طره والمزرعة والقناطر أيضًا لهم اعتراضات واستفسارات كثيرة على ما ورد فيها. فجزاهم الله خيرًا على صبرهم الطويل وما لاقوه، بعد أن سجلوا صفحة ناصعة لموكب الدعاة، وما يلقونه في سبيل الله»[1]، ويؤيد هذه القصة د. السيد عبد الستار الذي يقول عن (كشكول) دعاة لا قضاة: «صارت عملية تمرير هذا الكشكول على مجموعة من المعتقلين الذين انفردوا بفكر خاص بهم، وكان على رأسهم الأستاذ محمد قطب وشكري مصطفى وعلي عبده إسماعيل، وكثير ممّن يسمون «بالقطبيين»، أصحاب الفكر الجديد في الإخوان المسلمين.

١- الإخوان وعبد الناصر: القصة الكاملة لتنظيم ١٩٦٥م، أحمد عبد المجيد، نسخة الكترونية على موقع الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الإخوان المسلمين.

وطلب محمد قطب ترتيب جلسة مع الأستاذ الهضيبي ليستفسر منه على بعض النقاط... في المسجد القديم.. وانتهى الاجتماع بين الاثنين على عدم وفاق واقتناع»[1].

ويصف أحمد رائف هذا الخلاف بالانشقاق فيقول: «وكان الانشقاق قد حدث بين الإخوان حول مفهوم الدعوة واستراتيجية الحركة، والأطروحات التي ينبغي طرحها للناس. وكانت مشكلة المستشار الهضيبي تتلخص في كلمات: لا نكفّر مسلما نطق بالشهادتين. ويضيف إليها شكري مصطفي ومِن قبله محمد قطب: وعمل بمقتضاها.

... وكانت ترتب الاجتماعات في المسجد المهجور القائم بجوار المستشفى في معتقل طرة السياسي في عز الظهيرة حيث لا يتجول إنسان.

وكان المرحوم الإمام الهضيبي -على مرضه وسنّه- ينتقل إلى هناك ليجلس إلى الأستاذ محمد قطب وتلاميذه ويحاورهم ويناقشهم ويحاول أن يردّهم إلى ساحة الجماعة»[2].

٢- من حكاية علي إسماعيل يتكرر استنتاج أن الفريق الذي يميل للتكفير والغلو فيه كان له صلة مباشرة أو غير مباشرة بسيد قطب، فعلي إسماعيل هو شقيق عبد الفتاح إسماعيل، الذي كان دينامو تنظيم ٦٥ وكان له مشاركة في التنظيم بحسب رواية علي العشماوي، ولذلك قُبض عليه، وبحسب رواية أحمد عبد المجيد أنه قبض على علي بسبب عدم القبض على شقيقه عبد الفتاح! وإن كان يمكن جمع الروايتين أن الهدف الأساسي كان هو عبد الفتاح لكن جرت عادة عسكر عبد الناصر القبض على أقرباء الهارب أو المختفي، فكيف إذا كان عضوا بالإخوان وشيخا أزهريا!

ويلزم التذكير هنا أن علي إسماعيل، بعد الإفراج عنه في عهد السادات، كان هو السبب في تعريف طلال الأنصاري ومجموعته التي تربت على كتب سيد قطب على زينب الغزالي

١- تجربتي مع الإخوان من الدعوة إلى التنظيم السري، ص ١٣.
٢- سراديب الشيطان، أحمد رائف، ص ٦٢.

والمرشد حسن الهضيبي ومن ثم انضموا لصالح سرية في تنظيمه، وهم يظنون أنهم لا زالوا مع جماعة الإخوان[١] كما أن علي إسماعيل وشكري مصطفى كانا مع محمد قطب في نفس العنبر بالسجن[٢].

ولذلك يمكن الإقرار بأن «كلام سيد قطب -بغضّ النظر عن مراده منه بالفعل- صار أحد البذور المهمة التي أثمرت الاتجاهات القطبية الجهادية والتكفيرية التي نشأت في مصر في الستينات والسبعينات»[٣].

٣- هذه القصة تبيّن لنا أن شكري مصطفى كان ضحية لفكر الغلو والتكفير وليس منشئا له، وهو ما سنَشرحه لاحقا، وقد يكون محاولة البعض تضخيم دور شكري مصطفى للتغطية على الدور السلبي لفكر سيد قطب، وذلك عوضا عن معالجة أخطاء سيد قطب بتنقيح كتبه وإزالة المواضع المبهمة فيها أو بيان تراجع سيد على الأقل، بل بقي الإصرار على طبعها كما هي برغم ما تولد عن ذلك من نتائج سلبية عبر هذه السنوات الطويلة، وهو العتب الذي صرح به القرضاوي تجاه سلبية محمد قطب في ذلك طيلة السنوات الطويلة![٤]

٤- نتج عن الظلم والتعذيب في السجن والفكر الغالي والتكفيري ظهور عدة جماعات تكفيرية في داخل السجن «الجماعات الإسلامية الجديدة بمعتقل طرة السياسي والتي تجاوزت الثلاثين، وعدد أفرادها مجتمعين لا يتعدى العشرين»!![٥]، ولاحقا بعد الإفراج عن المعتقلين زادت فرقة هذه الجماعات، ويحدثنا عنها د. إبراهيم الزعفراني: «استمر هذا الفكر التكفيري ينتشر داخل طبقة الشباب حتى أوائل السبعينيات حتى بعد السنوات

١- فصّلنا ذلك من قبل.
٢- البوابة السوداء، ص ٣٩٨، ٤٠٥.
٣- اختلاف الإسلاميين، ص ٤٧٣.
٤- سيد قطب والتكفير، ص ١٢٠ .
٥- سراديب الشيطان، ص ١٠٣. وغالب هؤلاء التكفيرين لم يكن يتجاوز سنه ٢٥ سنة، نفس المرجع ص ١١٦، وهي علامة من علامات الخوارج في السنّة النبوية.

الأولى لخروج عدد من الإخوان من السجون في عهد الرئيس السادات، وكان عددٌ قليل منهم يحملون الفكر التكفيري، مثلا في الإسكندرية أ. محمد سالم و أ. محمد عبد المجيد، وكانوا قيادات سابقة لإخوان الإسكندرية، بل وتكونت جماعات تحمل هذا الفكر أكبرها جماعة التكفير والهجرة التي كانت تسمي نفسها (جماعة المسلمين)، ولا أبالغ إن قلت أن عدد هذه الجماعات كان بالمئات وكل جماعة منهم تزعم أنها تمثل جماعة المسلمين وتكفّر الجماعات الأخرى، بل وكانت بعض الجماعات تكفّر الخارجين عليها وتعتدي عليهم بالضرب وأحيانا بالقتل»[1]، وهذه طبيعة الغلو والتكفير التشرذم والتفتت ومعاداة الاجتماع والوحدة، ومن ذلك ما نعيشه –لليوم– من انشقاقات جماعات العنف والتطرف على بعضها البعض ومن أبرزها في حاضرنا انشقاق داعش عن القاعدة، وانشقاق النصرة عن داعش وانتسابها للقاعدة، ثم تبرء النصرة من القاعدة!!

٥– تقدم لنا هذه القصة مثالا حيا ومعاصرا على كيفية تولّد البدع من بعضها البعض، وكيف تكبر وتتضخم بسبب الجهل، فعلي إسماعيل وجد فريقين الأول يكفّر بحق وبغير حق، والآخر يتهاون في تعظيم حرمات الله، فلم يكتف بذلك بل ابتدع قولا جديدا لا سند له شرعيا، ثم بدأ ينزل تطبيقات اجتماعية له، وبعد تراجعه أصر شكري مصطفى وعبد الله السماوي على المضي في الغلو مع جهلهما وصغر سنهما، ثم لم يكتفيا بغلو شيخهما المتراجع، بل زادا على ذلك كثيرا وخاصة شكري، وسوف نعرض ذلك بعد قليل.

٦– أيضا هذه القصة تقدم لنا دليلا على ضرورة نشر العلم والتزامه للوقاية من الفتن والغلو، فعلي إسماعيل تمكّن من التيقظ لخلل مساره وغلوه برحمة من الله عز وجل وتوفيقه أولا، ثم بما لديه من رصيد علمي أزهري تم استثماره للخروج من الفتنة.

١– مذكرات الزعفرانى.. الفهم الإسلامي في مواجهة الفكر التكفيرى (١) منشور على شبكة الإنترنت، اختلاف الإسلاميين، ص ٤٧٠.

شخصية شكري مصطفى وتدرجه في الغلو والتكفير

شكري مصطفي من مواليد سنة ١٩٤٢م، وحين قبض عليه سنة ١٩٦٥ كان عمره ٢٣ سنة، وفي السنة الثالثة من كلية الزراعة، وكان شابا عاديا من شباب الإخوان المسلمين ليس له أي معرفة أو شأن في العمل الإسلامي، ولكن قدّر الله له أن يُسجن مع الزعماء وخاصة مجموعة محمد قطب، ومن هنا بدأت مسيرته في الغلو والتطرف.

وسنعتمد شهادة رفيقه في رحلة السجن أحمد رائف حيث يقول: «ترجع معرفتي بشكري مصطفى إلى أيام التعذيب الأولى بالسجن الحربي، ثم رجعنا إلى معتقل أبي زعبل على قدر، وجمعنا عنبر الزعماء -هكذا كانوا يسمونه- ثم انفصل مع الآخرين إلى زنازين الشمال عندما رفضوا تأييد «الملهم»[١] «ثم غادرنا معتقل أبي زعبل السياسي وغادره معنا أهل زنازين شمال، وذهب الجميع إلى معتقل طرة السياسي»[٢].

أما نشأته الأسرية فيتحدث عنها أحمد رائف بقوله[٣]: «كانت ظروفه الأسرية شديدة فقد طلقت أمه، وتزوج أبوه امرأة أخرى وتزوجت أمه رجلا آخر، وهو لا يدري أين يذهب بعد الإفراج عنه، وكان كثيرا ما يتندر بهذه الحالة ويقول ضاحكا: هذا الاعتقال حلّ لي الكثير من المشكلات».

أما عن شخصيته وتكوينه الشرعي فيقول أحمد رائف: «قد جاء صدفة إلى السجن الحربي وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره[٤] وعذّب مثل الآخرين، ... وفوجئت به في عنبر الزعماء وهو الغلام الحدث، وفوجئت أنه لا يعرف الكثير أو القليل عن الإسلام، اللهم إلا الصلاة، ... كان يسكن في العنبر على مقربة مني، وكان هذا أدعى للأحاديث الكثيرة بيننا، كنتُ في أغلبها المتحدث الذي يجيب على أسئلته الكثيرة النهمة، فهو يريد

١- سراديب الشيطان، ص ٩٥.
٢- نفس المرجع، ص ٩٦.
٣- البوابة السوداء، ص ٣٩٩ وما بعدها.
٤- هذا خطأ لا يناسب تاريخ مولده ولا دراسته!

أن يعرف قصة الإخوان المسلمين وكيف اعتقلوا؟ ولماذا؟ وما هو الجهاد في سبيل الله؟ وكيف قامت دولة الإسلام في سالف عهدها؟ وما معنى دين ودولة؟ مصحف وسيف؟ كان يَسأل ويَسأل ولا يفعل أكثر من ذلك، وفيما عدا ذلك فهو مهرّج مع المهرّجين، ضاحك مع الضاحكين في مرح بالغ».

ثم بدأ بالتحول قليلا كما يقول رائف: «ثم انتابته حالة ... فهو يصمت ويستمر في الصمت حتى أنه لا يتبادل الحديث مع أحد بالمرّة، واقتربتُ منه أيامها وكنت الذي أجيب على أسئلته الكثيرة أسأله عن سبب صمته المريب فلا يجيب، ويكتفي بالقعود على بطّانيته محدقا في لا شيء، ويأكل في موعد الطعام ويصلي مع المصلّين، وإذا خرجنا إلى طابور الفسحة لا يخرج معنا ويكتفي بالجلوس وحيدا في العنبر متأملا محدقا حتى يعود الناس، وتطور الأمر معه فصار يصلي في الليل، وكان في العنبر كثير يفعلون هذا، وانضمّ إليهم وصار واحدا ممّن يقيمون الليل.

وكففت عن سؤاله عن سبب صمته واكتفيت بملاحظته عن كثب أحاول أن أدرك ما يفكر فيه بلا فائدة حتى جاء اليوم الذي رفض فيه التوقيع على التأييد، وانحلّت عقدة لسانه وصار مرحا ثرثارا كما كان من قبل.... وقال لي بشوشا: لعلك تعجب من عدم توقيعي على التأييد؟

في الحقيقة نعم.

تريد أن تعرف السبب؟ وقلت له ملحّا: لو سمحت.

وتنهّد شكري مصطفى تنهيدة طويلة ملأت عينيه بالحزن وفارقه مرحه وبدا جاداً صارما: قد رأيت ما حلّ بنا وما فعلته الحكومة معنا، استباحت أبناءها وضربتهم بالسياط وقتلتهم واغتصبت الفتيات والأطفال، قد رأيت بنفسك هذا هنا في هذا المكان، وفي السجن الحربي كنا سويّا، وصنّفوني من الزعماء ولست كذلك، قد عرفت هذا بنفسك.

لقد سمعت منك قصة الإسلام بالتفصيل لم أسمعها من قبل، وكلما ازددت معرفةً ازددت غيظا، والظن أنه إن لم تأتني هذه الفرصة للمعارضة وإعلانها لمتّ كمداً، أقل ما نفعله لحكومة مثل هذه التي تحكمنا أن نظهر لها احتقارنا لها، هذا أقل ما ينبغي علينا فعله، ولو استطعت أكثر من هذا ما ترددت»، وهو هنا يتحدث عن تأييد عبد الناصر في حرب ٦٧ وسبق الإشارة إليه، وواضح هنا تأثير الظلم بالسجن والتعذيب على شخصية شكري.

وفي قصة شكري خطيئة تتكرر كثيرا في السجون وهو خلط الشباب الصغار أو المساجين الجنائيين مع شخصيات فكرية أو رمزية في جماعات العنف مما يحوّل هؤلاء الشباب لمسار العنف والتطرف، فشكري قابع في محيط يعلن كفر الرئيس والحكومة ومعاونيه على لسان محمد قطب[١]، ثم يكفّر أحمد نصير بقية السجناء وهو ابن شقيقة محمد قطب[٢]، ثم كانت فتنة علي إسماعيل بابتداع التوقف والتبينّ والتي استمسك بها شكري ثم غلا فيها وزاد.

ويواصل أحمد رائف تسجيل تطور شخصية شكري مصطفى فيقول: «كان عنبر اثنين هو أعظم العنابر خطرا على الإدارة والحكومة، وكان في تسلسله يبدأ بغرفة اثنين حيث بها شكري مصطفى ومحمود حلمي والشيخ علي إسماعيل وعبدالله بن أحمد السماوي وآخرون يبلغ عددهم حوالي العشرين حيث الحدة في تناول الأمور من وطأة الاعتقال الرهيب والتعذيب البشع الذي كان.

ثم انتقل محمود حلمي وآخرون إلى غرفة ثلاثة حيث محمد قطب «والعشرات» وهي طبقة الذين قضوا عشر سنين كاملة في السجن دون تأييد، وهؤلاء أقل حدة»[٣]. «وكانت غرفة اثنين حيث شكري مصطفى ومن معه تضطرم بالثورة العارمة، شكري يريد أن يعلنها حربا على العالم أجمع، ومن ليس معه فهو من الكافرين، وعنبره هو سفينة نوح

١- البوابة السوداء، ص ٣٥٥.
٢- نفس المرجع، ص ٤٣٢.
٣- نفس المرجع، ص ٥٠٨.

والناجي من ركب فيها، ومن ليس معه فهو عليه، كانت نفسه تضطرم بالغضب والرغبة بالانتقام، ويعلن هذا في كل مكان ولكل شخص، وكلّمه العقلاء والحكماء بلا فائدة، وصار الغضب يغلي في صدره حتى جافاه النوم فهو يقطع الليل جيئة وذهابا في الممر الطويل صامتا متأملا يفكر كيف يبدأ ومتى يخرج»[1].

«وتغيرت أحوال شكري مصطفى داخل زنازين شمال. ومن داخل هذه الزنازين نضج فكر الرفض الذي بلغ مداه عندما قالوا بكفر الحكومة، وزادوا في هذا حتى اعتَبروا أن الأرض كلها دار حرب ليس فيها إسلام، وقد تم هذا كله على مراحل»[2].

وكان غضب شكري المعلن يواجَه بكثير من الحوارات بلا فائدة، منها هذا الحوار الذي نقله أحمد رائف على هامش لقاءات المرشد الهضيبي بمحمد قطب لمحاولة جمع الآراء لكن لم يتم ذلك، وبقي المرشد على رأي، ومحمد قطب على رأي[3] وشكري وبعض الشباب على رأي ثالث في غاية الغلو والتطرف، يقول أحمد رائف: «وكان شكري مصطفى يرى القتال الضروس والإرهاب، وقتْل كل من اشترك في تعذيب المعتقلين ليكونوا عبرة لغيرهم، ويجب تعليم الشباب معنى الشهادة والتضحية، وأنه لو قتل ضابط واحد فلن يفكر آخر بتعذيب معتقل واحد بعد ذلك... ويقول إنه من العار على المسلمين أن يمسك بهم كالدجاج دون مقاومة ... فلماذا لا نستشهد عندما يفكرون بالقبض علينا ... ولماذا لا نبدؤهم بالحرب؟ .. وكان يقول إننا نستطيع تصفية هذه الحرب لصالحنا بقتل بضع مئات من الضباط قبل أن ينتبهوا.

ويسأله عاقل: وما نتيجة ذلك في نظرك؟

١- نفس المرجع، ص ٥٠٩.

٢- سراديب الشيطان، ص ٩٥.

٣- «كان محمد قطب نسيج وحده ... والفرق بينه وبين أصحاب العنف أنه يدعو إلى الثبات والمواجهة بكلمة الإسلام... وإن كان لا بد من شهداء فليسقطوا تحت هذا الشعار، ويوما سوف ينتصرون ويتبين الشعب إلى أي شيء يدعون الناس»، سراديب الشيطان، ص ٨٢.

... سوف نخلق جيلا جديدا من الضباط المؤمنين سيخافون من القتل، وينتبهون لكلمة الإسلام، ولن ينفذ واحد منهم الأوامر، نحن نسلب الظالم سيفه الذي يضرب به الناس.

ويهز الشيوخ رؤوسهم أسفا ... ويقول حكيم: أنت تدعو إلى فتنة تأكل الأخضر واليابس»[1]، هكذا كان يفكر شكري في السجن، لكنه حين خرج من السجن هدأ قليلا ووجّه طاقته وغلوّه نحو المجتمع بدلا من النظام ورجالات التعذيب، فهل كان هذا بسبب الغلو في الغلو أم بسبب توجيه خبيث ذكي؟!

يقول رائف إن شكري واجَه حسن طلعت مدير مباحث أمن الدولة حين زارهم في السجن وقال له: «أنت كافر ورئيس جمهوريتك كافر، ولئن أحياني الله وخرجت من المعتقل لأقاتلنّكم قتالا شديداً، ولئن متّ فسوف يأتي من بعدنا من يقضي عليكم ويزيل دولتكم.... وبطبيعة الحال تحركت الرشاشات والتفّ الجند حول شكري مصطفى، وبإشارة يسيرة من مدير المباحث تركوه...

وقام الرجل –حسن طلعت– إلى مبنى الإدارة وصحب معه شكري مصطفى الذي غاب ساعات»!![2]، ومن يَعرف وحشية أجهزة أمن عبد الناصر يوقن أن ترك شكري حياً لم يكن عبثاً، هذا الاستخدام من الأمن لشكري مصطفى لن يتوقف بل سيصبح نهجا علنيا بعد أن يقيم تنظيمه عقب الإفراج عنه.

واستقلّ شكري بغلوّه عن بقية الإخوان ومجموعة محمد قطب[3] وبعد عام ٦٨ أصبح

١– سراديب الشيطان، ص ٦٢.

٢– البوابة السوداء، ص ٥٧٤،٥٨٣،٥٨٤، وسبق الإشارة لتلاعب إدارة السجن بشكري في ص ٥٠٩، حيث قال أحمد رائف: «واستثمرت الإدارة هذه الروح –الغاضبة– في إجراء التدريبات السمجة» والتدريبات تعني الترويض للمساجين.

٣– يقول د. عبد الله أبو عزة: «تميزت المجموعة القطبية التي تزعمها الأستاذ محمد قطب، شقيق سيد، وهي التي حملت لواء التطرف. ثم انشق عن هذه المجموعة فئة تزعمها شكري مصطفى، وتوالت الانشقاقات بعد ذلك، فقد انسحب من فريق شكري مصطفى شخصان كوّنا من نفسيهما مجموعة منفصلة عن الآخرين، تتبرأ منهم وتكفرهم»! كتابه (الإخوان المسلمون الحركة الأم دراسة نقدية)، ص ٢٠٨. ورصد انشطارات جماعة شكري مصطفى في السجن ثم تطورها باسم التوقف والتبين محمد سرور في مقدمة كتابه (الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو) الجزء الثاني التوقف والتبين.

شكري يخلو في سجن طرة بالمسجد المهجور الذي شهد اجتماعات الهضيبي ومحمد قطب، فقد كان «شكري عنيفا غضوبا متنائيا عن الناس يمهّد لأمر عظيم سوف يكون بعد الإفراج»[1]، ولم يكن يوافقه إلا شخص واحد ثم انشق عنه وأسس جماعة تبعه فيها شخص واحد أيضًا[2]، وفي سنة ٧٠ كان شكري منبوذا في السجن من الإخوان[3].

يعلق أحمد رائف بعد سرده لحوار طويل مع شكري مصطفى بقوله: «كان شكري مصطفى مشروعا خطيرا يوشك أن يكون، قد قام المعتقل بإعداده إعدادا جيدا، وأشرف عبد الناصر وضباطه على صناعته، ولم يغفلوا تفصيلة صغيرة فيه»[4]، وفي نبوءة صادقة عن أثر سياسات الظلم الرسمية التي انتهجتها الأنظمة القمعية على شاكلة نظام عبد الناصر اليساري قال أحمد رائف: «وتركتُه ... وأنا أفكر في جريمة عبد الناصر التي ارتكبها في حق هذه الجماهير الممتدة في ذلك الجسد الهائل الممتد من المحيط إلى الخليج، فقد صنع نظاما إرهابيا صار قدوة لكل البلاد المجاورة وهم يقلّدونه، ومن ثم سوف يكون في كل بلد شكري مصطفى آخر بملابس مختلفة ولهجة أخرى، ولكنه سيكون بنفس هذه الروح المدمّرة التي ترفض العلم وتلقي بنفسها في مجهول الخرافة ... عالما قد ملئ بالفتية والفتيات وقد ملئت أخيلتهم بأحلام الشهادة وضباب التضحية من أجل غاية لا يفهمونها ومُثل لا وعي لهم بها، ومن خلال طريق مخوفة مجهولة قد فَرض الوهم نفسه عليها..»[5]، وكم ينطبق هذا الكلام على فتنة داعش في واقعنا المعاصر التي عصفت بآلاف الشباب والشابات.

وينقل أحمد رائف عن محمد قطب توقعه الذي تحقق بانتفاش هذه الجماعات التكفيرية الصغيرة، فينقل عن محمد قطب: «قد ترى واحدا ممّن نراهم رائحين وغادين هنا وهناك يبحثون عن نصير لهم أو تابع فلا يجدون، ولكنهم خارج هذا المعتقل سوف يتبعهم الكثيرون، أكثر مما يظن أي أحد، ربما عشرات الألوف أو قل مئات الألوف»[6]، وفعلا

١- سراديب الشيطان، ص ١٣٤.
٢- سراديب الشيطان، ص ٧٦، ٩٦، ١٠٣.
٣- ذكرياتي مع جماعة المسلمين، عبد الرحمن أبو الخير، نقلا عن موسوعة العنف، مختار نوح، ص ٥٢٥.
٤- سراديب الشيطان، ص ١١٢، ١٢٣.
٥- نفس المرجع، ص ١١٤.
١- نفس المرجع، ص ١٤٦.

سرعان ما تبع شكري مصطفى عدة آلاف وانتشر فكره في عدة دول، واليوم داعش تجد من يصدق أكاذيبها في مختلف دول العالم!

وينبّه أحمد رائف لقضية مهمة وهي غفلة الجماعات الإسلامية، وخاصة جماعة الإخوان المسلمين، عن مثل هذه الحالات وكيف سيكون مستقبلها خطيرا بسبب إغفالها فحص العقائد والأفكار ومراعاة دروس وتجارب التاريخ، يقول رائف لشكري مصطفى: «مشكلة الإخوان أنهم لا يدركون خطورتك، ولا يفكّرون فيك، ولا يتناولونك تناولا جادا، أما أنا فأرى المستقبل لأني قرأت الماضي وفهمتُه، وأكاد أتخيل ما سوف تفعله عندما تغادر هذا المكان»[1]، ويؤيد مختار نوح أن جماعة الإخوان قصّرت في معالجة التطرف فيقول: «إنها أيضاً لم تشارك بصورة جادة أو حقيقية في مواجهة هذه الأفكار بالقول أو بالعمل على الأقل»[2]، وهو الأمر الذي ما يزال يتكرر من الجماعة بالاستخفاف بكثير من بؤر التطرف حتى تتضخم وتجلب الكوارث التي كان يمكن علاجها بقليل من العلم والفطنة وسلامة المنهج والتفكير!

الخلاصة؛ إن شكري مصطفى الشاب الغر المهرج تحت ضغط السجن والتعذيب والكفر الذي لم يكن يتورع عنه عسكر عبد الناصر وبسبب سجنه مع مجموعة محمد قطب تشرب فكر سيد قطب[3]. ويبدو أنه فقد توازنه في تلقي فكر سيد كبعض من سبق لهم تكفير الناس وتبرأ منهم سيد- فتحول إلى وحش فكري يعتقد كفر كلّ الناس حتى من علّمه الغلو والتكفير إلا نفسه ومن تبعه! ويتوعد السلطة بتكوين جماعة تحاربها!

كل هذا وهو جاهل بالشريعة وسنه آنذاك لم تتجاوز ٣٠ سنة، وتم إطلاق سراحه للمجتمع ليتحول إلى وحش فكري يطبق نظرياته على خصومه قتلا وعدواناً.

٢- نفس المرجع، ص ٩٩.

٣- موسوعة العنف، ص ١٩٩.

٤- الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو، محمد سرور، ج ١ ص ٣٠٠، والعجيب أن المؤلف يورد نص كلام شكري في اعتماده كلام سيد، ثم ينفى صلة شكري بسيد قطب! قد يصلح أن يقول إن شكري غلا في فكر سيد أو تجاوزه أو انحرف به عن مراد سيد، لكن القول بأنه لا يربطه رابط بسيد قطب فهذه مجازفة!

شكري مصطفى خارج السجن

أفرج عن شكري عقب وفاة عبد الناصر وقيام السادات بتفريغ السجون سنة ١٩٧١، فأكمل دراسته الجامعية وأخذ شكري يطور من أفكاره ويضع لها كتبا يشرحها فيها، وأخذ يدعو الناس لفكره، والأصوب لبدعته وضلاله، ليشكل منهم جماعة لتعبيد الناس لله وإعادة الإسلام في الأرض كلّها!

يقول عبد الرحمن أبو خير عن شخصية شكري في هذه المرحلة: «وكنتُ كلما استمعت إلى الأخ شكري ازددت يقينا في أنه تغير، فلم يعد شكري ذلك الفتى العصبي الذي لا يؤبه بشأنه كما شاهدته آخر مرة في معتقل طره السياسي، لقد كان حينئذ شكري الداعية المكتمل لعناصر الإمامة لولا بقية من الهياج العصبي الذي يدفعه لتجريح محدّثه إن لمس فيه أدنى من ذرة من الخلاف في الرأي»[1].

فكره:

فكر شكري مصطفى لا قيمة له لأنه فكر رجل جاهل أصلا بالعلوم الشرعية فهو خريج زراعة، ثانيا أخذ فكره بطريقة مشوهة من خلال علي إسماعيل، حين انحرف نحو التكفير وأعاد إحياء فكر الخوارج واخترع بدعة التوقف في الحكم على المسلمين، ولذلك جاء فكر شكري متناقضا ويحوي الأعاجيب، ولم ينطبق فكره على واقعه هو، وهو مثال ساطع على خطورة امتزاج الجهل والبدعة وكيفية تصاعدها لتصبح بدعة ضخمة قد تصل لحد الكفر والخروج من الإسلام!

فهو يكفّر كل الحكام ويكفّر كل أعوانهم في الحكومة والأمن والجيش، ثم يكفّر من لم

١- ذكرياتي مع جماعة المسلمين، ص ١٨، بواسطة الحكم بغير ما أنزل الله ج١، ص ٣٠٥.

يكفّرهم من العلماء والناس، ويكفّر العامة بطاعة الحكومات الكافرة، ويكفّر بارتكاب الكبيرة، ومع ذلك يتعاون مع الأمن ضد الحركات الإسلامية الأخرى باسم نصرة الجماعة الحقة ويكذب على خصومه![1]

ومدّ شكري حكم الكفر على كل تاريخ الإسلام من القرن الرابع الهجري بحجة أن التقليد في الإسلام كفر لا يجوز، وأن الاجتهاد واجب على كل مسلم! وأن التقليد كان أول كفر وقع بين المسلمين، والحقيقة إن شكري نفسه كان مقلدا في ذلك للمعتزلة ولابن حزم والشوكاني، وكان أتباعه مقلدين له!![2]

وقد اضطرته هذه الضلالات لرمي الصحابة بالجهل، وإنكار الإجماع والقياس، والزعم بأنه وجماعته أفضل من جيل الصحابة[3]، ورأى بعض أتباع شكري أن الصحابة وقعت منهم أخطاء، ولو كانوا في عصرنا وعُرض عليهم فهم شكري وجماعته ثم رفضوه لكفروا![4]

واعتقدوا أن شكروا هو المهدي وأمير المؤمنين الواجب الطاعة والاتباع، برغم أن شكري لا يطابق اسمُه اسمَ النبي صلى الله عليه وسلم، وليس من أهل البيت كما تخبر الأحاديث! وهذا الاعتقاد جعله لا يأبه لأحد من العلماء على جهله وقلة فهمه وبضاعته.

ومن خلال أجوبة شكري لأسئلة المحكمة يلخص مختار نوح فكر شكري بـ: «أن الأصل في أمة الإسلام أنها أمة أميّة لا تقرأ ولا تكتب، ويَحرم عليها تعلم الكتابة، ويفر من أمام إسرائيل ويعتبر أن الأصل هو الفرار من العدو – وهو شخص لم يقرأ الدستور ولا يعرفه، والخلافة عنده هي سلطة مطلقة للإمام على المحكومين-»[5]

١- الحكم وقضية تكفير المسلم، سالم البهنساوي، ص ٣٠٥، نقلا عن الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو، ج ١ ص ٣٢٠.

٢- الحكم بغير ما أنزل الله، ج ١، ص ٤٩.

٣- نفس المرجع السابق، ج ١، ص ٧١، ٩٦، ١٠١، ٣١١، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ١/ ٣٣٨.

٤- التكفير والهجرة وجها لوجه، رجب مدكور، ص ٧٩، نقلا عن الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة، د. سعد الدين صالح، ص ٢١٠.

٥- موسوعة العنف، ص ٢٣٧.

وطوام شكري وأتباعه كثيرة وقد سطروها في كتبهم المعروفة، وضلالهم يتطور مع الزمن إما بالغلو فيه أو بالانشقاق عنه وتكوين جماعة ضلال جديدة، أو بالتسلل لمجموعات أخرى وحرفها كما حدث في اختراق بعض أتباع شكري لجماعة جهيمان الذي احتل الكعبة المشرفة! في تدحرج من ضلال إلى ضلال أكبر[1].

استراتيجية شكري في الدعوة

كان السائد لدى مجموعات العنف السابقة لشكري مصطفى اعتماد أسلوب الانقلاب العسكري من داخل الجيش على الحاكم والاستيلاء على السلطة والحكم، وكان البعض يفضل خيار الثورة الشعبية وحرب العصابات، لأن صراعهم كان مع السلطة، لكن شكري مصطفى ساوى بين السلطة والمجتمع في التكفير ولم يعد مهتما بالمجتمع، ومن هنا تغيرت استراتيجيته في العمل لإقامة الجماعة المسلمة، حيث تم اختراق شكري وجماعته من السلطة أو جناح فيها لضرب المجتمع أو فئات منه لصالح السلطة أو جناح فيها!

«إن جماعة المسلمين كان لها استراتيجية مغامرة تتسم بالنفس الطويل لأن الحكم «بالكفر» لم يكن قاصرا على النظام... وبالتالي فإن الاستراتيجية الخاصة «بالانقلاب العسكري السريع» لم تكن هي الملائمة لأفكار شكري مصطفى.

وتقوم استراتيجية الجماعة على تحقيق أهدافها من خلال المراحل المختلفة التي تبدأ بتشكيل خلية للجماعة أو «مجتمع صغير من المؤمنين» يكون هو الخطوة الأولى في سبيل تنفيذ استراتيجية الجماعة، التي تجعلها الجماعة على ثلاث مراحل: الأولى هي التبليغ التي يتبعها التنظيم حتى يستطيع نشر أفكارها ودعوتها، تليها الهجرة وهي مرحلة ثانية، وفي هذه المرحلة تنشغل الجماعة ببناء المجتمع المسلم والتدريب على استخدام السلاح ...

١- الحكم بغير بما أنزل الله، ج ١ ص ٢٢٦، ٢٢٩.

وقد مارست الجماعة المرحلتين معا حيث هاجر جزء منها للإقامة بالمنيا منذ ١٩٧٣ في عزلة عن المجتمع، وتأتي المرحلة الأخيرة حين تخرج الجماعة من عزلتها لتفتح الأراضي «الكافرة»»[١].

مسيرة شكري

يلخص مختار نوح محطات حركة جماعة شكري بقوله: «تمثل في كف الأيدي خلال المرحلة الأولى، وفي الإعلان عن الجماعة في المرحلة الثانية، وأخيراً الجهاد من أجل التمكين في المرحلة الثالثة»[٢].

باشر شكري نشاطه ودعوته بمحافظته (أسيوط) ثم انتقل للقاهرة، وكان أول من قبل دعوته ابن اخته ماهر عبد العزيز بكري في عام [٣]١٩٧١، وتمكن شكري من استقطاب أتباع له، كان غالبهم من صغار السن والطلبة، والذين كانوا يوظفون في نشر الدعوة مباشرة.

فلم يكن شكري يكتفي من متابعيه بطاعته، بل كان يأمرهم بدعوة الناس لضلالهم، يقول د. السيد عبد الستار: «زارنا في مسجد الفرقان والسيدة عائشة بالنزهة بمصر الجديدة شاب نحيف عليه مظاهر البؤس والفاقة، وعرّفنا بنفسه عبد المحسن تاجر البيض، هكذا باقتضاب شديد، وقال إنه مكلف من أمير المؤمنين شكري مصطفى لإبلاغنا بالحق الذي هم عليه، وطلب أن نناظره، فإن كان على الحق فقد وجبت في أعناقنا بيعته، وبالفعل اجتمعنا في بيت الأخ محمد شريف الفخفاخ... غير أنه اتضح خلال المناقشة أن

١- الإسلام السياسي في مصر، هالة مصطفى، ص ١٤٨. وقريب منه الأصولية في العالم العربي، ريتشارد دكمجيان، ترجمة عبد الوارث سعيد، ص ١٤٢.
٢- موسوعة العنف، ص ١٩٨.
٣- نفس المرجع السابق، ص ٢٣٢.

تاجر البيض خالٍ تماما من المعرفة بالدين وأنه مجرد مردّد لمقولات شكري... خلال عام ١٩٧٦ بدأ شكري يفرض أفكاره على الناس بالقوة، وحدث هرج ومرج ومشاجرات وسالت دماء في أكثر من حي»[١].

وممن تحدث عن نشاط أتباع شكري مصطفى في الدعوة لضلالهم وتوزيع كراساتهم بين شباب الجماعة الإسلامية في جامعة القاهرة الذين رفضوا فكرهم القائم على تكفير المجتمع بالكلية د. عبد المنعم أبو الفتوح[٢].

هذه كانت الخطوة الأولى في نشر الدعوة/ الضلالة بين الناس، وعقبها جاء تنفيذ الخطوة التالية وهي العزلة والهجرة من المجتمعات الجاهلية للجبال، وفعلا هاجرت مجموعة من الطلبة لجبال المنيا والوجه القبلي في شهر ٩ من سنة ١٩٧٣ بعد أن تصرفوا بالبيع في ممتلكاتهم وزودوا أنفسهم بالمؤن اللازمة والسلاح الأبيض، وسرعان ما قبض عليهم وعلى شكري ولكن أفرج عنهم بعد ٦ شهور[٣].

عاود شكري -بعد الإفراج عنه- لنشاطه بقوة وتوسع في إرسال مبعوثين عنه للدول الأخرى للتبشير به وجلب الدعم المالي، فوسع انتشار ضلاله وبدعته لخارج مصر[٤]، حيث وصلت السعودية وأفغانستان وباكستان والجزائر[٥].

لقد استطاع ضلال شكري مصطفى أن يجد له قبولا وأتباعا، حيث «أن جماعة التكفير قد أحرزت تواجدا في الجامعة أيضا، وخاصة في بيوت الطلبة المغتربين بالقاهرة وفي المدن الجامعية بالأقاليم ... وفي خارج الجامعة كان تيار التكفير ينتشر انتشار النار في الهشيم لكنها كانت ومضة خاطفة كومض البرق سرعان ما خبت وزالت»[٦]، لقد ظهرت

١- تجربتي مع الإخوان، ص ١٨٤.
٢- في كتابه: شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر، ص ٦٤.
٣- الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة، ص ٣٥. والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، ص ١ / ٣٣٧.
٤- الموسوعة الميسرة، ص ١/ ٣٣٧.
٥- موسوعة العنف، ص ٣٠٨.
٦- الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة، د. كمال حبيب، ص ٣١.

«حركة التكفير والهجرة بصورة عملاقة أكبر من حجمها الواقعي أو السياسي وأكبر حتى من حجم المعرفة السياسية لدى مؤسسها»[١].

نعم زالت قوة تنظيم جماعة شكري لكن فكر التكفير لا يزال حي للآن في بؤر محدودة ومتعددة عبر الدول[٢] وإذا وجد مناخا مناسبا فسينفجر من جديد!

وفي أثناء هذه المسيرة للدعوة كانت تقع مشادات مع الرافضين لفكره من قبل الدعاة والجماعات الإسلامية ومن المنشقّين عنه أو التائبين عن غلوه وتكفيره ومن العلماء الرسميين الذين يفندون شبهاته وأباطيله، «وكان التيار السلفي (الجهادي والمدرسي) له الأثر الكبير في محاصرة أفكار شكري وجماعته»[٣].

ومن أبرز المناظرات التي تمت مع شكري وجماعته مناظرتهم مع حسن الهلاوي، الذي كان زعيم جناح القاهرة في تنظيم إسماعيل طنطاوي ومن ثم انضم لتنظيم صالح سرية لكنه لم يشارك في حادثة الكلية الفنية حيث كان معروفا بمرجعيته الفكرية التيمية، ولذلك «استطاع أن يدخل في مرحلة مبكرة في جدل مع شكري مصطفى لنقض مذهبه الفكري، ونجح في ذلك بحيث كان شريط المناظرة سببا في نهاية جماعة التكفير، فبرغم تماسك البناء الفكري للتكفير إلا أنه فكّكه عن طريق منهج أهل السنة، وكان ذلك سببا في اقتحام (الكتيبة الخضراء) لمنزله ومحاولة قتله»[٤].

ومن الذين حاول شكري وجماعته قتله رفعت أبو دلال بسبب انشقاقه عن الجماعة رغم أنه من مؤسسيها، والمهندس أحمد عرفة والمهندس محمد سعد الدين[٥].

١- موسوعة العنف، ص ٢٠١.

٢- الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو، ج ١، ص ١٢. وأنا شخصيا أعرف صديق تأثر بفكر شكري مصطفي في الأردن وذلك سنة ١٩٩٢ من خلال قراءته لبعض كتب شكري من أخ مصري يعمل في الأردن، وأرجو من الله أن يكون قد تبين له ضلال ذلك الفكر وتجاوزه لاتباع الحق.

٣- الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة، ص ٣٦.

٤- المرجع السابق، ص ٣٣. وانظر كلام حسن الهلاوي على الحادثة في موسوعة العنف، ص ٣٠٨.

٥- الحكم بغير ما أنزل الله، ص ٣١٥.

وهنا نجد أن شكري يخالف منهجه بالعزلة والهجرة للقيام بتصفية خصومه والانشغال بالاعتداء عليهم بينما يرى ترك المواجهة مع الدولة الكافرة! فهل كان هذا من وسوسة الشيطان أم من وسوسة شياطين الإنس الذين راقبوا أو رعوا هذه الغلو والتطرف والتكفير والإرهاب في السجن وعقب السجن؟

وقد أشار الشيخ محمد سرور لظاهرة تفتت جماعة الإخوان في السجن وأنها ظاهرة لم تلقَ حقها من العناية والدراسة والمراجعة، وتسببت بظهور كثير من الجماعات والشخصيات التي سببت أضرارا بالغة لمسار الدعوة والمجتمعات الإسلامية[1].

تلاعب أجهزة الأمن بشكري وجماعته:

ويبدو أن أجهزة الأمن التي تعرف شكري منذ كان في السجن وتعرف استقلاله عن بقية المساجين والجماعات عادت لاستثماره وجماعته، فيروي عضو الجماعة، عبد الرحمن أبو الخير، أن زملاءه في قيادة الجماعة أخبروه بوجود اتصالات مع الحكومة في بداية شهر ١٩٧٦/٩ حيث «عرضت الحكومة على الجماعة رغبتها في التعاون معها، على أساس أن جماعتنا تصرف الشباب عن المناهج الانقلابية، وتدعو إلى الهجرة، إن الحكومة في حاجة إلى جماعة إسلامية تستوعب الخاصة من الشباب، ثم إلى جماعة أخرى تستوعب العامة، ونحن إن شاء الله جماعة الخاصة، وقد قبلنا ذلك. وقد يقولون عنا عملاء، فليقولوا، المهم إن شاء الله نحقق تقدم الجماعة وستصبح إن شاء الله الجماعة الوحيدة في مصر.

وفي مقابل أي شيء يطلق الطاغوت أيدينا...؟ في مقابل صرف الشباب عن الانقلابات، فالحكومة قدمت هذا العرض وهي تعلم أن منهجنا لا يتصادم مع خطتهم حاليا، فهو منهج هجرة ويصرف الشباب عن التجمعات ذات المناهج الانقلابية ... إن الحكومة جادة في

١- المرجع السابق، ص ٢٩٤.

عرضها، وقد عرضت علينا أيضا تعويضنا عمّا لحق بنا من أضرار في الماضي كدعاية سيئة أو اعتقال، وطلبت منا رفع قضية ضد دور الصحف والأجهزة الأخرى للحصول على التعويض المناسب ... إننا في حاجة إلى المال لتقوية الجماعة»[1].

وهكذا تهادنت جماعة شكري مصطفى مع الحكومة والأمن، كما تهادنت داعش اليوم مع نظام بشار الأسد، وكما أطلقت يد تنظيم شكري ضد التيار الإسلامي أطلقت يد داعش ضد فصائل الجيش الحر والفصائل الإسلامية الأخرى!

وأيضا كشفت معلومات موثقة عن شراء نظام بشار النفط من داعش، وثبت استلام داعش والقاعدة الفدية والأموال من جهات تكفّرها بحجج شتى! وأنها تفاوضت مع «المرتدين والكفار» بينما كفّرت بقية الفصائل لأنها تحاورت وتفاوضت مع «المرتدين والكفّار»، لكنها التناقضات والضلال!!

لم يقتصر قبول جماعة شكري للتعاون مع نظام السادات، بل حين تلقوا عرضا ليبياً من القذافي بدعمهم للانقلاب على السادات، قرروا قبول الدعم المالي منه لكنهم رفضوا الانقلاب لأنهم لا يؤمنون به![2] مما يؤكد قابلية هذه الجماعات للتقاطع مع الأنظمة (الجاهلية) لتحقيق مصالحها، كما حدث من تنسيق تنظيم القاعدة مع إيران عقب تورا بورا وتنسيقهم مع نظام بشار عقب احتلال العراق ٢٠٠٣، وعقد جبهة النصرة وتحرير الشام لصفقات مع إيران وحزب الله تمت في قطر في مارس ٢٠١٧.

العجيب أن مستشار شكري مصطفى، السياسي الصحفي عبد الرحمن أبو الخير، كتب لشكري محذرا أكثر من مرة من فخ ينصب لهم قال فيه: «وإني أرى أننا مقبلون على محنة نقدم فيها من خلال أجهزة الإعلام للجمهور على أننا خوارج القرن العشرين وسوف نضرب بتفويض من مجلس الشعب»[3]، وهو ما حدث، إلا أن شكري لم يستفد

١- ذكرياتي مع جماعة المسلمين، ص ٥٨، نقلا عن الحكم بغير ما أنزل الله، ص ٣٢٢.
٢- موسوعة العنف، ص ٢٢٣، ٢٥٤.
٣- المرجع السابق، ص ٢٦٠.

من مستشاره الذي كان يشخص أزمة شكري وأمثاله بأنهم جهلة بسبيل المجرمين، وهو ما تكرر لاحقا مع عدة جماعات لم تتيقظ لما ينصب لها من فخاخ لتشويه الإسلام من خلالها وضرب مسيرة الدعوة الإسلامية، وآخرها ما حدث من إفساح المجال لداعش لتتمدد وتتوحش وتعلن بشاعتها بأعلى درجات الاحتراف الإعلامي، ومن ثم انطلقت صافرة النهاية!

وفعلا بدأت عمليات الاعتداء على المنشقين عنها والاعتداء على حسن الهلاوي الذي ناظرهم وهزمهم، وقامت الجماعة بتفجير عبوة ناسفة في سينما، وتفجير في معهد الموسيقى وتفجير في ميدان العتبة، ولكن الأمن لم يتحرك بجدية لردعها ومعاقبتها[1]، حتى حدثت قضية خطف وقتل الشيخ الذهبي من قبل جماعة شكري مصطفى في ١٩٧٧/٧/٣ هذه الحادثة التي يختلط فيها التطرف والإرهاب الناشئ عن الجهل والغلو مع الاختراق الأمني والسياسي والتوجيه للإرهاب واستثماره لصالح أجندات وتصفيات سياسية لصالح السلطة!

خطف وقتل الشيخ الذهبي:

هناك الكثير من التساؤلات عن سبب اختيار الجماعة لخطف الشيخ الذهبي: هل فعلا بسبب مواقفه من الجماعة وردّه عليهم أم كان بتوجيه خفي من الدولة لوجود خلافات بينه وبين الدولة؟

أم أن الجماعة هي التي اختارت خطف واغتيال الذهبي لكن الدولة استثمرت ذلك وتخلّصت من خصم لها ووجدت من يتحمل المسؤولية عنها وتصنع منها قصة تلهي الشارع عن استثمار الدولة للجريمة؟

١- موسوعة العنف، ص ٢٠٥، ٢٢٦، الحكم بغير ما أنزل الله، ج ١ ص ٣٤٠.

أم أن جناحا في جهاز الأمن أراد توريط السادات مع الجماعات الإسلامية التي أفسح لها المجال في وجه الناصريين والشيوعيين؟[١]

وسبب هذه التساؤلات التعامل البارد من أجهزة الأمن مع قضية بهذا الحجم، حيث يُخطف وزير من بيته بشكل بدائي، لكن لم تحضر قوى الأمن لمسرح الحدث إلا بعد ساعات! تمكن فيها الجيران من القبض على أحد الجناة! بعد أن قام أحد أفراد مجموعة المراقبة ودون مبرر في لفت الأنظار لجريمة الخطف من خلال تهديد أحد المارة بمسدسه بدون مناسبة مما دعاه للتوقف ليشاهد جريمة الخطف! ويصبح الشاهد الرئيسي في القضية[٢]، فهل السذاجة في التنظيم وصلت لهذا الحد أم أنها حركة متعمدة لِلفت النظر للعملية من أحد المخترقين في التنظيم؟

أيضا: أليس من السذاجة أن ترسل الجماعة ٣ من أفرادها لرئاسة الوزراء ووكالة الأنباء الفرنسية وصحيفة الجمهورية يحملون بيانا بتبني الاختطاف ومطالبهم ويقبض عليهم الأمن ثم لا يتم معرفة مكان الذهبي وتحريره[٣]!

هناك الكثير من الاتهامات في كون نظام السادات هو المستفيد من إزاحة الذهبي حيث يقال إنه كان معترضا على سرقة كبيرة من وزارة الأوقاف ورفع قضية ضد بعض المتنفذين في الأوقاف والمقربين من السادات، فجاء اختطافه وقتله للتغطية على القضية[٤]!

ومما يعزز هذه الشكوك عدم تحرك الشرطة لمحاصرة المكان إلا بعد ٣ ساعات، رغم تبليغهم بعد ٥ دقائق من حدوث الاختطاف! ورفض الداخلية دفع فدية للإفراج عنه[٥]، وأن السادات كان في زيارة لدولة الجابون لحضور القمة الأفريقية فلم يقطع زيارته بل واصل سفره لرومانيا والمغرب[٦].

١- موسوعة العنف، ٢٠٥، ٢٢٨.
٢- المرجع السابق، ص ٢١٢.
٣- المرجع السابق، ص ٢٢٠، ٢٢٣.
٤- الحكم بغير ما أنزل الله، ج١، ص ٣٣٣.
٥- المرجع السابق، ج١، ص ٣٣٩.
٦- الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة، د. سعد الدين صالح، ص ٢٠٥.

وفي النهاية تم قتل الذهبي برصاصة في عينه لتخرج من رأسه[١] في داعشية مبكرة، ولكن الغريب في الموضوع أن من تولى قتل الشيخ الذهبي هو ضابط سابق يدعى أحمد طارق، والذي كانت تحوم حوله الشكوك، فهل أحمد طارق هو عميل مزروع في الجماعة كما ثبتت زراعة الكثير من رجال الاستخبارات بين قادة داعش والقاعدة اللتين تعلنان كل فترة عن إعدام عدد من قادتهما بتهمة الخيانة والتجسس لأجهزة المخابرات[٢]!

وبعد قتل الذهبي تمكن الأمن المصري من القبض على الجناة وأعضاء الجماعة وزعيمها بالكامل وتعرضوا للتعذيب المعهود في السجون، وخلال شهور قليلة تمّت محاكمة أعضاء الجماعة، وفعلا نفذ حكم الإعدام بشكري وعدد من أعوانه في صبيحة يوم سفر السادات لتل أبيب في ١٩٧٨/٣/٣٠!

وبعد إعدام شكري الذي كان يعتقد أنه المهدي ولن يعدم! أصبح فكر الجماعة يعتمد على انتظار ظهور المهدى للانضمام إليه، وبقي بعض الأعضاء على أفكار الجماعة ونشروها في مصر وخارجها مثل تأثيرهم على جماعة جهيمان في المدينة المنورة التي ادعت ظهور المهدي!! وقسم أصبح مخبرا للأمن[٣] على جماعته والجماعات الأخرى وهي الظاهرة المنتشرة في غالب الجماعات الإسلامية مع الأسف، والتي يبدو أن الأمريكان وغيرهم اقتبسوها من الأمن المصري بدسّ جواسيس على الشخصيات الإسلامية في أمريكا والتي تطورت لاحقاً لتعرف باسم الأدلة السرية! وكما نجح الروس باغتيال القائد الكبير خطاب رحمه الله من خلال دس عميل لهم بين صفوف المجاهدين في الشيشان والذي سلم خطاب رسالة مسمومة قتله فور ملامسته لها.

من اللافت للنظر أن عبد الرحمن أبو الخير يلخص فشل شكري مصطفى بكونه تحاكم

١- موسوعة العنف، ص ٢٠٤.

٢- آخرها إعدام جيش خالد بن الوليد في درعا والتابع لداعش عددا من قادته منهم قائده السابق أبو عبيدة قحطان في ٢٠١٧/٦/٤.

٣- ذكرياتي مع جماعة المسلمين، ص ١٣٤، نقلا عن الحكم بغير ما أنزل الله، ج١ ص ٣١٨.

للطاغوت حين قبل بالتعاون معها وطلب تعويضات من محاكمها![1] وهو الذي زعم أنه أقام دعوته على محاربة الطاغوت حتى كفّر سائر المسلمين من القرن الرابع الهجري، وكيف أن الغلو ينعكس على أصحابه.

الخلاصة: تزاوُج الجهل والظلم من جديد لإنتاج نسخة أشد من الغلو والتكفير، وتقاعُس الإخوان المسلمين عن علاج أفكار الغلو وتواطؤ الأمن المصري في التلاعب بشكري وجماعته تسببت في ارتكاب عدة جرائم وتشويه صورة الإسلام وانتشار هذا الفكر لخارج مصر.

وللأسف لا تزال جهالات هذا الفكر حية بصورة مطورة ولا تزال سياسات شكري الخاطئة تتكرر عند كثير من جماعات العنف والتكفير المعاصرة، ولا يزال كثير من الشباب المتحمس يندفع للتورط في فكر الغلو والتكفير وسلوك الإرهاب والإجرام، وهو يظن أنه يجاهد في سبيل الله!

اختطاف الدكتور الذهبي وزير الأوقاف السابق

٩ من جماعة التكفير والهجرة يقتادونه بالقوة من منزله قبل الفجر

الجماعة تطالب بـ ٢٠٠ ألف جنيه والافراج عن عدد من زملائهم

محمد حسين الذهبي (19 أكتوبر 1915 - 1977) وزير الأوقاف المصري الأسبق.

١- موسوعة العنف، ٢٦٨.

4

عملية اغتيال السادات

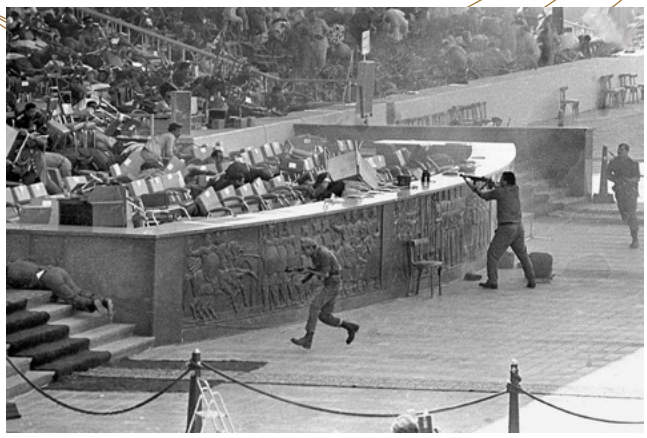

لحظة اغتيال الرئيس المصري محمد انور السادات على منصة الاستعراض العسكري يوم 6 أكتوبر 1981

٤- عملية اغتيال السادات

عقب الانتهاء من قضية اغتيال الشيخ الذهبي وصدور حكم الإعدام على شكري مصطفى ورفاقه وتنفيذه في يوم سفر السادات للقدس، لم تكن الساحة الإسلامية هادئة أو غائبة، بل كانت تمور وتموج بالكثير من الجماعات والأفراد الناقمين على الدولة، والذين يريدون إسقاطها لإقامة دولة الإسلام!

فعبْر مسيرة تيار العنف والقتال منذ سنة ١٩٥٨ تشكّلت مجموعات كثيرة تحمل هذا الفكر، وهي إما بقايا لتنظيمات سابقة لم يقبض على أفرادها، أو قبض عليهم وأفرج عنهم فيما بعد، أو لشباب جدد تأثروا بدعاة قريبين من هذا الفكر مثل الشيخ طه السماوي والشيخ رفاعي سرور[١]، وحكايات البطولة التي نسجت حول رموزه.

ورغم كل عمليات القبض والاعتقال للتيار الإسلامي في زمن عبد الناصر لم يتوقف المد الإسلامي، وعمليات الاعتقال والمحاكمة لتنظيم صالح سرية ومن بعده تنظيم شكري مصطفي وخطف سلاح حارس السفارة القبرصية لم يتوقف زحف ونمو جماعات العنف والتطرف بل زادتها ودفعتها للأمام، فهل كان ذلك بخطأ من السلطات، أم كان هذا بدعم وتوجيه خفي من السلطة أو جزء منها؟[٢].

ومن هنا كانت الساحة في نهاية السبعينيات من القرن الماضي تموج بعدد من التجمعات أو الروافد[٣] على حد تعبير د. محمد مورو، والتي تتبنى فكر العنف المتمثل في تكفير النظام على الأقل وضرورة محاربته بالسلاح، اعتمادا على أدبيات سيد قطب والمودودي وما

١- الإسلام السياسي، محمد مورو، ص ١٩٩.
٢- موسوعة العنف، ص ٣٢٣، ٣٤٨.
٣- الإسلام السياسي، ص ٢٠١، ويوافقه في ذلك ممدوح الشيخ في كتابه «الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة»، مكتبة مدبولي، ص ٣٠، ٣٤، وموسوعة العنف، ص ٣٤٨.

تفرع عنها ككتاب صالح سرية «رسالة الإيمان»، لتشكل هذه الروافد المتعددة تنظيم الجهاد الذي سينجح في اغتيال السادات ثم تدبّ بينه الخلافات فيتفتّت لمكوناته الأولى!

وتتمثل هذه الروافد في ثلاثة مكونات أساسية هي: تنظيم محمد عبد السلام فرج، وتنظيم سالم الرحال، وتنظيم الجماعة الإسلامية في الصعيد، وقد أكد ذلك أيمن الظواهري نفسه في حوار مع صحيفة الحياة اللندنية لكنها لم تنشره[1]، حيث لخّص تاريخه وتاريخ مسيرة تنظيم الجهاد فقال:

«كانت بدايتي في الحركة الإسلامية في هذه الجماعة التي أتشرف بالانتماء إليها، وكان ذلك في حوالي سنة ١٩٦٦م، عندما تكونت النواة الأولى لهذه الجماعة بعد مقتل الشهيد سيد قطب، رحمه الله، وكان من أعضاء هذه المجموعة الشهيد يحيى هاشم – الذي كان رئيساً للنيابة العامة – والأخ إسماعيل الطنطاوي والأخ نبيل برعي، ثم نمت هذه المجموعة إلى أن وصلت إلى الحجم الحالي للجماعة.

وانضم إلينا في فترة لاحقة الأخ عصام القمري، رحمه الله، وبدأ حينئذ في النشاط داخل الجيش، ثم مرت أحداث الفنية العسكرية واستشهاد الأخ يحيى هاشم، وقضايا الجهاد في عام ١٩٧٧ و١٩٧٨، واستطعنا بفضل الله تجنّب هذه الضربات.

وفي النصف الثاني من سنة ١٩٨٠م وأوائل ١٩٨١ قمت بالسفر إلى أفغانستان للاطلاع على الأوضاع من قرب هناك، واكتشفت الإمكانيات الهائلة التي يمكن أن تستفيد منها الحركة الإسلامية في ساحة الجهاد الأفغاني، وكل هذا والجماعة تنمو في صمت في الميدانين المدني والعسكري.

ثم جاءت سنة ١٩٨١م وتعرضنا في بدايتها لضربة أمنية، عرف على إثرها الأخ عصام القمري، وقبض على بعض رفاقه من الضباط، مثل الأخ عبد العزيز الجمل والأخ سيد موسى وغيرهم من الضباط، ولكننا استوعبنا هذه الضربة.

١- منشور في الإنترنت باسم (حوار الشيخ الظواهري مع جريدة «الحياة»، ١٤١٤هـ)، موقع منبر التوحيد والجهاد.

ومع نشاط «الجماعة الإسلامية» واتحادها مع الأخ عبد السلام فرج بدأ التعاون ينمو بيننا وبينهم عن طريق الدكتور عمر عبد الرحمن والأخ عبود الزمر إلى أن جاءت أحداث ١٩٨١م اغتيال السادات وأحداث أسيوط، وقبض على عدد من إخواننا بسبب الروابط المشتركة بيننا، وأمضينا في السجن ثلاث سنوات، حدث فيها تعارف عن قرب بيننا وبين إخواننا في الجماعات الجهادية، وكان من نتائج ذلك تلك الثقة العميقة بين الإخوة الذين عاشوا تلك الفترة سوياً، وبعد الخروج من السجن بدأنا في تجميع الإخوة من جديد، وقررنا استغلال الساحة الأفغانية لتدريب أعداد ضخمة من الشباب المسلم، وقد وفّقنا الله سبحانه وتعالى في ذلك توفيقاً كبيراً.‘‘

وسنتناول هذه الروافد بشيء من التفصيل.

١- تنظيم محمد عبد السلام فرج:

المهندس محمد فرج من مواليد ١٩٥١، وصاحب كتاب «الفريضة الغائبة»، وهو مهندس كان قد انضم لتنظيم جهاد اسكندرية المتبقي من تنظيم صالح سرية سنة ١٩٧٨ على يد محمد سلامة، ولما تورط بعض أعضاء تنظيم الاسكندرية في قضية القنصلية القبرصية سنة ١٩٧٧، فإن التحقيقات كشفت التنظيم وتمت تصفيته سنة ١٩٧٩، فقطع فرج صلته بالتنظيم ورحل إلى لقاهرة وبدأ العمل مستقلاً لتحقيق فكر الجهاد.

ويبدو أن فرج كان مقتنعا بفكر الجهاد بشكل عميق، حيث كتب رسالته الشهيرة «الفريضة الغائبة»، والتي أصبحت من أهم أدبيات فكر تيار العنف والقتال لوقت طويل، وبدأ بنشرها والدعوة لفكر الجهاد في مساجد منطقة بولاق الدكرور بالخطابة والتدريس والحوارات، واستجاب له عدد من الطلبة.

ثم امتد نشاطه لمناطق مجاورة واستجاب له طلبة آخرون، منهم طارق الزمر الطالب بكلية الزراعة والذي عرّف فرج على زوج شقيقته عبود الزمر، المقدم بالمخابرات الحربية سنة ١٩٨٠، واستطاع التواصل مع بعض المجموعات المتبعثرة من تنظيم جهاد القاهرة المتبقي من تنظيم صالح سرية، وخاصة بعد أن قام رئيس التنظيم مصطفى يسري بحل التنظيم بعد اختراقه أمنيا[١]، ومن هذه المجموعات مجموعة نبيل المغربي، الذي هو ضابط احتياط سابق بالمخابرات الحربية[٢]، وهكذا تجمعت هذه المجموعات التي تؤمن بفكر الجهاد والانقلاب العسكري لإقامة دولة الإسلام على يد فرج، ومارست التدريب العسكري لتلك الغاية[٣]، وقد أصبح للتنظيم في نهاية سنة ١٩٨٠ حضور كبير وانتشار واسع وأعضاء كثر تدربوا على السلاح وتحصل للتنظيم كميات جيدة من السلاح[٤].

ونلاحظ في تكوين هذا الرافد أنه امتداد وتطور للتنظيمات السابقة، وأغلب أعضائه طلبة (شباب صغار السن)، وبعض أعضائه عسكريون، ويهدف للانقلاب العسكري، أما فكر هذا التنظيم فوضعه شاب صغير السن (كان عمره آنذاك ٢٨ سنة) وليس متخصّصاً أو مؤهلا شرعياً وعلمياً لوضع فكر يقود الأمة!

وقد قام شيخ الأزهر آنذاك جاد الحق بالرد على هذا الكتاب وبيان ما فيه من أوهام، وكذلك فعل د. محمد عمارة، ويمكن تلخيص أهم التعقبات على فكر فرج فيما يلي:

أنه لا يفرق بين سعة مفهوم الجهاد، الذي يشمل جوانب عديدة ولا يقتصر على مفهوم القتال الضيق الذي ركز عليه فرج! ومنها تجنّيه على العلماء والمجاهدين بادعائه ضياع هذه الفريضة، ومنها سوء تعامله مع فتاوى ابن تيمية بالاجتزاء والتوجيه غير

١- دليل الحركات الإسلامية، عبد المنعم منيب، ص ٨٤، الإسلام السياسي، محمد مورو، ص ١٩٥.
٢- دليل الحركات الإسلامية، ص ٨٨. والذي نفّذ عملية مهاجمة محلات روما القبطية للمجوهرات سنة ١٩٨١، ثم كشف في عملية شراء أسلحة للتنظيم واعتقل قبل اغتيال السادات، الإسلام السياسي، ص ٢٠٦.
٣- الإسلام السياسي، ص ٢٠٣.
٤- الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة، ممدوح الشيخ، ص ٣٣.

السليم، وتعميمه الحكم بالردة على جميع حكام العصر، وهذه نتائج طبيعية لشاب مهندس متواضع المعرفة بالعلم الشرعي! وهذه الأمور ستكون عمدة تراجعات جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية بعد عقدين من الزمان سالت فيها دماء ألوف الأبرياء وأدخلت مصر في دوامة حرب أهلية بلا نتيجة سوى التضييق على الدعوة الإسلامية وتمكين العلمانية!

٢- تنظيم سالم الرحال:

محمد سالم الرحال من مواليد عام ١٩٥٦ وهو أردني من أصول فلسطينية ومتأثر بفكر حزب التحرير بتكفير الأنظمة السياسية والدعوة للانقلاب عليها، وكان درس في الأزهر بكلية أصول الدين بين سنتي ١٩٧٥,١٩٧٩، اعتقل لمدة ٦ شهور عقب هروب حسن الهلاوي من السجن، ثم أفرج عنه وتابع دراسة الماجستير، ولكن بعدها تم اعتقاله ثم ترحيله للأردن بسبب نشاطه في إعداد تنظيم جهادي، ولذلك تم الحكم عليه غيابيا فيما بعد بالأشغال الشاقة ١٥ سنة في قضية الجهاد[١].

وقد نجح الرحال في ضم أعضاء كثر، منهم كمال حبيب ونبيل نعيم عبد الفتاح لتنظيمه، وذلك بعد نشاط واسع للترويج لفكر التنظيم واستقطاب الكثير من مجموعات التنظيمات السابقة، وعقب ترحيله تولى كمال حبيب القيادة وأكمل بناء التنظيم، فاستقطب أعضاء جددا منهم مجموعة تنحدر من تنظيم إسماعيل طنطاوي الذي فرّ إلى هولندا بعد انكشاف تنظيم صالح سرية، وهي مجموعة أيمن الظواهري وعصام القمري، الضابط الذي تمكن من تشكيل خلية للتنظيم في الجيش[٢]. كان للرحال دور مركزي مع محمد عبد السلام فرج في جمع الكثير من المجموعات من عدة محافظات في تنظيم الجهاد[٣].

١- الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة، ص ٣٧.
٢- دليل الحركات الإسلامية، ص ٨٥، الإسلام السياسي، ص ٢٠٤.
٣- موسوعة العنف، ص ٣٥١.

ونلاحظ على هذا الرافد نفس الملاحظات تقريباً على رافد تنظيم فرج، فهو امتداد وتطور للتنظيمات السابقة، وأغلب أعضائه طلبة (شباب صغار السن)، وبعض أعضائه عسكريون، ويهدف للانقلاب العسكري، وقائد هذا التنظيم شاب صغير السن (كان عمره آنذاك ٢٣ سنة) ومتخرج جديد من الأزهر لكنه ليس مؤهلا شرعياً وعلمياً بهذا السن وهذا التحصيل العلمي لوضع فكر يقود الأمة!

٣- الجماعة الإسلامية:

نجح محمد عبد السلام فرج باستقطاب قادة الجماعة الإسلامية بجامعات الصعيد لفكره مثل كرم زهدي والذي كان مطاردا من قوات الأمن على خلفية أحداث المنيا الطائفية مع الأقباط[١]، ومن ثم انضم له ناجح إبراهيم وعاصم عبد الماجد وغيرهما[٢].

والجماعة الإسلامية كانت في البداية لجانا طلابية تتبع إدارة الجامعات باسم الجماعة الدينية ضمن سياسة السادات الرامية لمحاصرة التيار اليساري في الجامعات المصرية، ومن ثم برز بعض الطلبة الملتزمين من خلفيات متنوعة (أنصار السنة، الجمعية الشرعية، وغيرها) في أنشطة هذه الجماعة الدينية في جامعات مختلفة.

ويبدو أن البداية كانت مع المهندس صلاح هاشم الذي دخل جامعة أسيوط سنة ١٩٧٢، والذي تمكن لاحقا من قيادة الجماعة الدينية بدلاً من موظفي الجامعة، وحدث مثل ذلك في جامعات أخرى، ولكون سياسة السادات دعمت النشاط الإسلامي فقد تمددت هذه النشاطات بسرعة ولقيت الدعم من الإدارات الجامعية، سواء عبر توفير الدعم والإمكانات للمخيمات الدعوية والمهرجانات والمحاضرات وبقية الأنشطة، أو عبر قبول

١- الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة، ص ٢٥١.
٢- الإسلام السياسي في مصر، هالة مصطفى، ص ١٥٠.

مطالب الجماعة الإسلامية بمحاربة الاختلاط وفصل الطلبة في المدرجات والأماكن العامة وحظر الحفلات الغنائية ومنع عروض الأفلام السينمائية في الجامعات!

ومن ثم خاضت الجماعة الإسلامية بجامعة أسيوط الانتخابات الطلابية سنة ١٩٧٨ وفازت بجميع المقاعد، وكان قد تولى قيادة الجماعة خلفا لصلاح هاشم، ناجح إبراهيم، والذي انطلق بالجماعة لخارج أسوار الجامعة والاحتكاك بالمجتمع.

وأصبح هناك نوع من الرابطة بين هذه الجماعات الدينية في الجامعات، وسيكون لهم صلة بقيادات الإخوان الخارجة من السجون، والتي ستعمل في بعض الجامعات تحت اسم الجماعة الإسلامية، ومن ثم سيكون هناك انشقاق بين هذه الجماعات وقياداتها، وبعضها سيتحول لجماعة الإخوان مثل عصام العريان وعبد المنعم أبو الفتوح وحلمي الجزار وأبو العلا ماضي وغيرهم.

والبعض الآخر سيعرف لاحقا باسم الدعوة السلفية بالإسكندرية مثل محمد إسماعيل المقدم وأحمد فريد وسعيد عبد العظيم ومحمد عبد الفتاح وياسر برهامي وأحمد حطيبة.

وقسم ثالث سيحتفظ باسم الجماعة الإسلامية وسيتّحد مع تنظيم الجهاد (محمد فرج، وجماعة سالم الرحال بقيادة كمال حبيب) ويقوم بعملية اغتيال السادات، ولكن في السجن لاحقا سينفصلان عن بعضهما البعض، ويأخذ كلا منهما طريقه الخاص[١].

ومع أخذ الجماعة الإسلامية منحى التطرف والغلو وفكر العنف لجأت لتمويل أنشطتها من خلال مهاجمة محلات الذهب الخاصة بالأقباط، حيث قامت بعدد من هذه الهجمات سنة ١٩٨٠ والتي كشف دور الجماعة فيها لاحقا بعد اغتيال السادات[٢].

١- اختلاف الإسلاميين، أحمد سالم، ص ٢٦.

٢- الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة، ص ٤٥، الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة، ص ١٦، الجماعة الإسلامية في جامعات مصر، بدر محمد بدر، وهو يعبر عن رؤية جماعة الإخوان. تجربتي مع الإخوان، د. السيد عبد الستار، ص ١٢٤، وهو يقدم شهادة شخصية متوازنة.

وعلى غرار التنظيمين السابقين تتكون الجماعة من طلبة جامعيين وليسوا مؤهلين شرعياً لهذه المهام الكبرى، واتخاذ تنظيم الجهاد الشيخ عمر عبد الرحمن مفتيا له[1] لا يكفي، فهذه القضايا الكبرى التي تتحكم بمصير بلد وشعب بأكمله لا يقوم بها شخص لوحده، وقد كان الفاروق، رضي الله عنه، يجمع رؤوس الصحابة لمثل هذه القضايا.

ومراجعات أفراد الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد أو بعضها على الأقل بعد ربع قرن تؤكد أنهم لم يكونوا مؤهلين شرعاً للقيام بهذه الأنشطة والعمليات، ولذلك كان عمر عبد الرحمن أفتاهم بصيام شهرين عن حادثة أسيوط وقتل الأبرياء من الشرطة والمدنيين، ومن ثم عرضت الجماعة الإسلامية لدفع الدية لمن قتل بسبب عملياتها.

هيكل التنظيم الجديد وخطته:

ومن هذ الروافد تشكل التنظيم الجديد، حيث ضم مجلس الشوري: محمد فرج، عبود الزمر، كرم زهدي، ناجح إبراهيم، فؤاد حنفي، علي الشريف، عصام دربالة، عاصم عبد الماجد، حمدي عبد الرحمن، أسامة إبراهيم، طلعت فؤاد.

وكونت ثلاث لجان هي: لجنة العدة، لجنة الدعوة، اللجنة الاقتصادية.

وتم اعتماد خطة عبود الزمر من مجلس الشورى والتي تستغرق ٣ سنوات لإكمال البناء التنظيمي قبل التحرك، حيث هدفت الخطة إلى إعداد وتدريب عدد معين لمستوى معين مع توفير السلاح اللازم للقيام بعمليات ضد أهداف رئيسة واغتيال قيادات سياسية في الحكم والمعارضة وتفجير ثورة شعبية ثم اختيار مجلس علماء ومجلس شورى من العلماء ليقود البلد[2].

١- الإسلام السياسي في مصر، ص ١٥١، الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة، ص ٥٤، الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة، ص ١٨، ثم أصبح الشيخ عمر مفتيا للجماعة الإسلامية عقب الانفصال عن تنظيم الجهاد.
٢- الإسلام السياسي، محمد مورو، ص ٢٠٧.

مسيرة التنظيم الجديد

تلك هي مكونات وهيكلية وخطة تنظيم الجهاد الذي قام باغتيال السادات، ونتابع مجريات فكرة الاغتيال وخطواتها ونتائجها وتطوراتها على مكونات التنظيم.

مرّ معنا أن جماعة الجهاد المكونة من تنظيم محمد عبد السلام فرج وتنظيم سالم الرحال / كمال حبيب والجماعة الإسلامية والتي غالبيتها طلبة جامعات، وليس فيهم مَن هو مؤهل في العلم الشرعي باستثناء د. عمر عبد الرحمن، والذي التحق بالتنظيم متأخراً، وكانت قد اعتمدت خطة المقدم عبود الزمر التي طرحها في ١٩٨١/٢ والتي كانت تهدف لإعداد مدنيين عسكريا لاغتيال بعض الشخصيات والرموز السياسية ومهاجمة بعض المفاصل الرئيسية وقيادة ثورة شعبية وتسليم السلطة لمجلس من العلماء، وقدرت مدة ٣ سنوات حتى تكون الخطة جاهزة لبداية التحرك.

لكن وقعت بعض الأحداث التي جعلت التنظيم يتجاوز خطته بعد عدة أشهر ويصبح اغتيال الرئيس السادات هو الغرض الأول! هل كان ذلك عفوياً أم كانت هناك خطة أمنية أخرى تدخلت لفرض رؤيتها على خطة التنظيم؟

لا نملك إجابة حاسمة لكن هناك الكثير من الشكوك والمؤشرات التي تدفع بوجود مثل هذه الخطة الأمنية للتلاعب بخطة جماعة الجهاد لمصالحها الذاتية! فالقناعة التي توصل إليها الأستاذ مختار نوح، وهو محامي كثير من جماعات القتال أنه «ما مِن تنظيم إلا وقد اخترقه أمن الدولة سواء بالسيطرة عليه تماماً أو بتجنيد أحد أعضائه»[1]، ويؤيد ذلك سذاجة الاحتياطات الأمنية في هذه التنظيمات كما تخبرنا الوقائع.

وقد حاول التنظيم استصدار فتوى بجواز قتل السادات فلم يجدوا من يفتي لهم بذلك إلا الشيخ عمر عبد الرحمن، بينما حين استفتوا الشيخ الألباني (وهو الرمز السلفي الكبير)

١- موسوعة العنف، ص ٤٨٧، وانظر شكوكه حول تورط جهات بالأمن في ذلك، ص ٣٢٧.

رفض ذلك وحذرهم منه[١]، وهذا يشير إلى ابتعاد هذه الجماعات عن منهج السلفيين وعلمائهم وأنهم يخالفونهم ويتمردون على فتاواهم، وفي نفس السياق صرح سالم الرحال بأنه لا يتبع الشيخ الألباني بعد أن أشاع البعض ذلك[٢].

والآن دعونا نستعرض مسيرة التنظيم وبعض الحوادث التي حرفته عن غايته خلال بضعة شهور وورّطته في اغتيال الرئيس السادات بحسب ما توصل له قادة الجماعة الإسلامية مثل كرم زهدي وناجح إبراهيم وعبود الزمر لاحقا في مراجعاتهم حيث اعتذروا للشعب المصري عن قتله[٣] واعتبروا السادات شهيداً قُتل في فتنة[٤]!! وهذا يؤكد لنا مقدار التخبط والجهل الذي تنطلق منه جماعات العنف والقتال، والتي تتكون دوما من شباب صغار في السن والعلم الشرعي والتجربة الحياتية والسياسية.

اعتقال وترحيل سالم الرحال:

أثناء تكون التنظيم واستكمال هيكلته اشتبه الأمن المصري بركن أساسي فيه وهو محمد سالم الرحال فتم اعتقاله في سنة ١٩٨٠ ومن ثم ترحيله للأردن في ١٩٨١/٧/٢٩ قبل اغتيال السادات بـ ٦٩ يوماً، وفي خلال فترة اعتقاله تم انضمام خليفته كمال حبيب لتنظيم عبد السلام فرج[٥].

ويؤكد الرحال أنه لا يعرف بالضبط ماذا حدث بعده، لكنه فكّر في قتل السادات ضمن انقلاب عسكري فهل تحول الانقلاب لاغتيال فقط بسبب يأسهم من نجاح الانقلاب[٦]؟

١- استمع لكرم زهدي يروي القصة عند الدقيقة ٦:٥٠:
https://www.youtube.com/watch?v=IWjJie9W2e8
٢- الجماعات المصرية المتشددة، ص ٤٤.
٣- html.١٣٥٤٠٢/٠٨/١٠/٢٠١١/http://islammemo.cc/akhbar/arab
٤- انظر تصريحات كرم زهدي لوسائل الإعلام المختلفة في شبكة الإنترنت.
٥- الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة، ص ٣٧، ٤١، ٤٤.
٦- المصدر السابق، ص ٤٤.

وهذا يطرح سؤالا مهما هو: لقد سبق للأمن أن اعتقل الرحال ٦ أشهر في عام ١٩٧٩ ثم أطلق سراحه وهم يعرفون ميوله العنيفة، ثم تم القبض عليه والتحقيق معه مرة أخرى وترحيله، فهل كان هذا بسبب معرفة الأمن أنه يخطط لانقلاب وثورة شاملة واغتيال للرئيس، فتم القبض عليه من الدولة العميقة وترحيله لتنفيذ الاغتيال فقط دون الانقلاب؟ فالذي حدث هو اغتيال نظيف للسادات فقط دون أي مسؤول آخر بجواره، ولم يكن هناك ثورة أو انقلاب، فهل كان ذلك مصادفة وعفوياً؟

مطاردة عدد من قيادات التنظيم ومأزق التنظيم:

بعدها وقعت أحداث الزاوية الحمراء بين المسلمين والأقباط وأعقبها صدور قرارات التحفظ والتي اعتقل على إثرها أكثر من ١٥٠٠ شخصية إسلامية كان منهم عدد من قيادات التنظيم، مما جعل التنظيم في مهب الريح إذ تم اعتقال عدد لا بأس به من قيادته[١]!

هذا المأزق فرض نفسه على التنظيم فإما أن يكشف التنظيم ويضرب ثم يسجن أفراده وقد يقتلوا ويضيع جهدهم وتصورهم ويكرروا -في نظرهم- كارثة الإخوان الذين اعتقلهم عبد الناصر دون أي ردة فعل منهم، أو القيام بأي حركة استباقية طالما أن احتمالية انكشاف التنظيم وضربه عالية جداً.

ومن ثم تباينت الآراء بين الاكتفاء بقتل السادات لوحده، أو المضي قدما في فكرة الثورة الشاملة برغم عدم اكتمال الترتيبات بعد! لم يكن هناك حسم للخيارات مع سعي التنظيم لتنفيذ الخيارين، حيث درس عبود الزمر إمكانية اغتيال السادات في استراحة القناطر وطرحت أفكار أخرى للاغتيال لكن تبين صعوبة ذلك[٢].

١- الإسلام السياسي، محمد مورو، ص ٢٠٨.
٢- المصدر السابق، ص ٢١١.

القبض على نبيل المغربي:

قبل مقتل السادات بعشرة أيام تم القبض على نبيل المغربي بعد مراقبة ومتابعة لعدة أسابيع من قبل الأمن حيث قبض عليه متلبسا بشراء رشاشين، وهو المكلف بالتدريب العسكري للتنظيم! وذلك بعد أن وشى به سائق التاكسي الذي يذهب به لمنطقة التدريب في الصحراء، والذي طلب منه المغربي البحث عن أسلحة للبيع، ولكنه خاف وذهب للأمن وأبلغهم بالقصة فطلبوا منه تصوير عملية التدريب ودبروا له رشاشين ورتبوا معه استدراج نبيل للقبض عليه[1]، وبحسب ما سجل له السائق لحساب الأمن فقد سأله عن هدفه من شراء السلاح فأجابه: هذا السلاح مخصص لقتل السادات!![2] ومع ذلك لم يكن هناك أي تدابير احتياطية لحماية الرئيس من الاغتيال! فهل نبيل لم يعترف؟ أم أن هناك إهمالا من قبل الشرطة؟ أم أن هناك تواطؤا من قبل الأمن أو الدولة العميقة لغاية مقصودة[3]؟

عندها خشي عبود الزمر من انكشاف التنظيم وانكشافه فغادر منزله واختفى عن الأنظار لأن نبيل المغربي كان يتردد عليه وفعلا هاجم الأمن منزله، وكذلك فعل عدد من قيادات التنظيم[4]، وقد ذكَر السادات عبود الزمر في خطاب له بعد اختفائه كما يقول محمد حسنين هيكل في كتابه «خريف الغضب»، فقال: «وفي خطاب تلفزيوني ألقاه السادات يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٨١ وجّه كلامه لعبود الزمر قائلا: ‹إنني أعرف أن هناك ضابطا منهم هاربا وربما يكون يسمعني الآن، لقد اعتقلنا كل الآخرين في خمس دقائق وإذا كان هو قد تمكن من الفرار فإني أقول له إننا وراءه هو الآخر›».

وكان وزير الداخلية آنذاك النبوي إسماعيل قد أرسل للسادات قبل اغتياله بأسابيع

١- موسوعة العنف، ص ٤٦٢.
٢- المصدر السابق، ص ٥٠٢، ٥٠٦.
٣- المصدر السابق، ص ٥٠٩.
٤- الإسلام السياسي، ص ٢٠٩.

شريط فيديو بالصوت والصورة لتدريبات مجموعة نبيل المغربي وجوابه عن الرصاصة الأولى لمن ستوجه؟ فأجابه بأنها ستكون في صدر السادات!

وقال وزير الداخلية إنه عشية حادث المنصة في ٥ أكتوبر ١٩٨١، اتصل بالسادات وحذره من عملية اغتياله، وأن أحد مصادره السريين التقى عبود الزمر، وعلم منه نية تنظيم الجهاد في القيام بعمل كبير بعد اكتشاف أمرهم، وأن عبود الزمر لم يتم ضبطه حتى الآن، لكن السادات لم يهتم كثيراً، وكان يعتقد أنهم يختبئون بعد أن كشفهم في خطابه[١].

مبادرة خالد الإسلامبولي لاغتيال السادات:

بقيت الأمور غائمة في التنظيم ولم يستقر لهم قرار بعد: هل يغتالون السادات فقط، وكيف ينفذون ذلك؟ وكيف يقومون بثورة وانقلاب شامل وهم لم يتجهزوا بعد؟

هكذا كانت الحالة حتى كلف أحد أعضاء التنظيم من العسكريين وهو الملازم خالد الإسلامبولي بالمشاركة في العرض العسكري الذي سيحضره الرئيس السادات، وقد كان التحاق الإسلامبولى بالتنظيم قد تم في منتصف سنة ١٩٨٠ حيث التقى كرم زهدي بالضابط خالد الإسلامبولي، الذي كان يعرفه من قبل في دروس الشيخ طه السماوي، وعرّفه على محمد فرج، الذي أقنعه بالتنظيم لأنه مقتنع أصلا بفكر التطرف والعنف، ومن هنا تبدأ حكاية عملية اغتيال السادات[٢].

إذ بادر خالد في ١٩٨١/٩/٢٥ بالالتقاء بمحمد عبد السلام فرج وعرض عليه إمكانية

١- على الرابط التالي http://cutt.us/71Kr

٢- الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة، ص ٢٥٢، الإسلام السياسي، ص ٢١١، الأصولية في العالم العربي، ريتشارد دكمجيان، ص ١٤٦، ويشير المؤلف فيه إلى دور محمد الإسلامبولي في تكوين فكر العنف عند أخيه خالد، حيث يرى دكمجيان أن محمد الإسلامبولي أحضر معه من الحج رسائل جهيمان وأعطاها لشقيقه خالد!. وكان جهيمان قد تأثر ببعض أتباع شكري مصطفى!!

قيامه باغتيال السادات لعلمه بأن التنظيم يفكر في ذلك، وتفاعل مع الاقتراح محمد فرج، وبعد ٣ أيام اجتمع مجلس الشورى وطرحت الفكرة وتوسع فرج لطرح فكرة انقلاب وإطاحة بالنظام عبر مهاجمة الإذاعة والتلفزيون وقيادة الجيش والداخلية والاتصالات، وأن يقوم الأعضاء بالوجه القبلي بالسيطرة على مدينة أسيوط، ووافق الحاضرون على الخطة باستثناء عبود الزمر الذي لم يحضر الاجتماع[١]، وتقرر التعجيل بالاستعدادات وبذل قصارى الجهد لنجاح الخطة[٢].

حين أُخبر عبود بالخطة اعترض عليها خوفا من انكشاف التنظيم، ولما بلغه إصرار خالد عليها واعتقاد أنهم لن ينجوا من العملية مما لن يكشف التنظيم وافق[٣]، ثم وضعت خطة للاستيلاء على الإذاعة والتلفزيون ومخزن أسلحة ولكنها فشلت، وهنا تقرر الاكتفاء بالاغتيال فقط، وحاولوا إبلاغ الأعضاء في أسيوط لكن لم يصلهم البلاغ وبقوا على خطتهم![٤]

عملية الاغتيال وملابساتها والشكوك المحيطة بها:

في البداية تم تكليف خالد الإسلامبولي بالمشاركة في العرض العسكري بشكل استثنائي لمرض الضابط الأصلي حيث ينقل هيكل في «خريف الغضب» عن تحقيقات النيابة قول خالد: «لقد ترددت في الاشتراك في العرض العسكري ثم وافقت بعد إلحاح الرائد مكرم عبد العال، لقد خطرت في ذهني فجأة أن إرادة الله شاءت أن تتيح لي أنا هذه الفرصة لتنفيذ هذه المهمة المقدسة»، وهذا يؤكد كلام بعض الإعلاميين كعادل حمودة وأنيس الدغيدي من أن خالد كان ممنوعاً من الاستخبارات العسكرية من المشاركة في هذه

١- الإسلام السياسي، ص ٢١٢.
٢- موسوعة العنف، ص ٤٩٥.
٣- الإسلام السياسي، ص ٢١٤.
٤- المصدر السابق، ص ٢١٥.

العروض العسكرية بسبب علاقاته مع الشيخ عبد الله السماوي، وهو أحد قيادات فكر العنف والتكفير، وبرغم أن أخاه الحبيب محمد شوقي معتقل لدى الأمن على خلفية أفكار التكفيرية، فهل الاستخبارات تجهل ذلك، بحيث فجأة يصدر قرار من مدير الاستخبارات العسكرية بمشاركته في العرض، أم هي فرصة لاستغلال الغضب الإسلامي وتوجيهه نحو السادات لمعرفتهم بِنية تنظيم الجهاد اغتيال السادات وعلاقة خالد بالتنظيم؟!

وهنا يطرح هؤلاء وغيرهم: هل كان إشراك خالد بالعرض العسكري لتسهيل عملية الاغتيال من قبل الدولة العميقة واستغلال تنظيم الجهاد الذي كشفته واخترقته الأجهزة الأمنية بعد القبض على نبيل المغربي ومن وصول معلومات عن الزمر وتحركاته للأمن!

بدأ خالد وفرج بالترتيب لتنفيذ خطة الاغتيال عبر توفير عناصر عسكرية سابقة في التنظيم للمشاركة في العملية وتوفير العتاد لذلك، وفعلاً قام المقدم ممدوح أبو جبل العضو بالتنظيم بتوفير إبر ضرب النار للرشاشات المستخدمة في العملية إذ جرت العادة نزع إبر ضرب النار من كل الرشاشات في العرض[1]، والغريب أنه قد تم التجاوز عن دوره في عملية الاغتيال برغم مركزية دوره في اغتيال السادات بتحويله لشاهد نيابة وإخراجه من التهمة لكونه بادر بنفسه وأبلغ الجهات المختصة عن المعلومات التي لديه، وهذه الجهات كانت حينها في مأزق وتحتاج إلى دليل ومصدر معلومات، وتم تعيينه لاحقاً في إحدى السفارات بالخارج[2]!

كما وفر محمد فرج لخالد بقية الأسلحة و٣ أعضاء عسكريين من التنظيم، أدخلهم خالد بدلاً من جنوده في السرية الذين منحهم إجازة، وزوّد رفاقه بكتاب مزور بالتحاقهم بالعرض لكن حتى هذا الكتاب لم يسألهم عنه أحد عند دخولهم لمكان العرض، هكذا بكل بساطة إذ لم يهتم أحد، ولم يدقق أحد عليهم، أم أن خالد كان تحت الرقابة والعناية لتسهيل مهمته!

١- المصدر السابق، ص ٢١٥.
٢- مقابلة العربية نت مع منتصر الزيات، http://cutt.us/yzBlB

ثم أدخل خالد الذخيرة والقنابل في حقيبة يد لساحة العرض دون تفتيش، وقد جرت العادة أن يكون هناك تفتيش نهائي على كافة الأسلحة صباح يوم العرض من قبل عدة جهات أمنية هي: أمن الجيش، والمخابرات الحربية، وأمن رئاسة الجمهورية، لكن في ذلك العرض لم يحدث ذلك[1]!

نشرت صفحة الجماعة الإسلامية على شبكة الإنترنت مذكرات لخالد الإسلامبولي جاء فيها عن واقعة التفتيش ما يلي: «وفجأة توتر الموقف وذلك عندما أخذت مجموعة من ضباط الحرس الجمهوري تمرّ على العربات الواقفة للتفتيش على السلاح ووصل التوتر أقصاه عندما وقف الضباط أمام عربتي وصاحوا آمرين أحد الجنود «هات بندقيتك» وسحبوا الأجزاء المتحركة للخلف ونظروا داخلها للتأكد من نزع إبرة ضرب النار منها وخلو الخزنة من الطلقات، وسرعان ما عاد الهدوء من جديد عندما اكتفى الضباط بالتفتيش على هذه البندقية فقط والتي لم تكن من بنادق الجنود الملحقين»، حيث تم استدعاء المفتشين لحظتها، فهل هذه كلها صدف محضة[2]!!

هناك من يقول إنه بشكل مفاجئ وأثناء العرض تم استبعاد الحراسة من أمام المنصة وإرسالهم لخلف المنصة خوفا من عملية اقتحام يقودها الزمر على المنصة من الخارج، وأنه بسبب ذلك لم يتحقق تخوف خالد من أنه سيكون عرضة لإطلاق النار فور خروجه من العربة لاستهداف السادات!

وتظهر مقاطع الفيديو المنشورة مؤخرا لعملية الاغتيال أن السادات بقي ملقى على الأرض تحت الكراسي والتي ألقى أحدها عليه نائبه حسني مبارك نفسه دون إسعافه لمدة طويلة رغم أن السادات كان يحاول النهوض! ويظهر المقطع تصرفا غريبا لحارس السادات الشخصي، وهو العميد أحمد حتاتة، إذ أنه يصل للسادات لكنه لا يسعفه ولا يُبعد عنه

١- الإسلام السياسي، ص ٢١٧.
٢- ومضمون القصة يطابق ما جاء في كتاب الإسلام السياسي، ص ٢١٨.

الكراسي، وهو يحاول القيام بل يتحسس ساعته أو معصمه ويمر من فوقه تقريبا لخارج المنصة، ولذلك البعض يتهمه بأنه أطلق غاز الأعصاب على السادات! ويبقى السادات ملقى على الأرض تحت الكراسي والكل يتفرج عليه لمدة ربع ساعة تقريباً، يغادر خلالها مبارك المنصة وعليه يحمّل البعض مبارك مسؤولية اغتيال السادات! لكن هل هذه المقاطع سليمة أم تم التلاعب بها؟

ويأتي تشريح الجثة ليُظهر وجود عيارات نارية من حجم أصغر من حجم طلقات رشاشات خالد ورفاقه! وليظهر وجود رصاصات دخلت من أسفل لأعلى وهذا يكاد يكون مستحيلا أن يكون من طلقات خالد ورفاقه التي كانت طلقاتهم من أعلى لأسفل! كما أن التقرير يشير إلى إصابة السادات بصدمة عصبية، مما يعيدنا لاتهام حتاتة برش غاز الأعصاب![1]

من الغريب أن غالبية مَن كتب عن مقتل السادات يؤكدون أنه قُتل بسبب رصاصة استقرت في عنقه أطلقها حسين عباس، الذي كان قناصاً بالقوات المسلحة، بينما صور جثة السادات لا يوجد فيها طلقة في الرقبة وإنما في ترقوته اليسرى، لكن تشريح جثة السادات وبعض القتلى في المنصة أثبت أن رصاص الحرس هو الذي تسبب في مقتله، مما يدعم مزاعم قتل السادات برصاصٍ من داخل المنصة ومن الخلف ربما!!

وعقب نشر صورة جثة السادات في عهد مبارك قبل بضعة أعوام، يقال إن مبارك غضب جدا وأمر بمعاقبة الصحفي المسؤول عن نشرها، وفعلا تم فورا إقالة رئيس تحرير صحيفة الميدان سعيد عبد الخالق!

من الأشياء التي لم تفهم بشكل واضح للآن سبب اقتصار خالد الإسلامبولي على قتل

١- انظر مقال توحيد مجدى من قتل السادات على الرابط: https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2011/10/09/200039.html، والفيلم الوثائقى عن مقتل السادات على الرابط https://www.youtube.com/watch?v=OBpZw1I9xEQ

السادات فقط دون بقية المسؤولين كنائبه مبارك ووزيري الدفاع والداخلية، بل لقد صرخ خالد في وزير الدفاع أنه لا يقصد إلا السادات، وكذلك زميله عبد الحميد الذي خاطب حسني مبارك: «أنا مش عايزك، إحنا عايزين فرعون»، وهو ما يتعارض مع نية التنظيم عمل انقلاب وثورة شاملة، ولذلك حاول عبود الزمر القيام بذلك لكنه فشل ولذلك تحرك التنظيم في أسيوط لاحقاً!

لكن منتصر الزيات يفسر ذلك بأن الإسلامبولي لم يكن مهتما بموضوع الانقلاب على عكس محمد عبد السلام فرج، وأنه قال لفرج ورفاقه: أنا لا علاقة لي بهذا وإنما فقط «أقتل فرعون مصر أنور السادات»[١]، بينما د. محمد مورو يرى أن التنظيم في القاهرة وصل لقناعة بفشل الثورة فاكتفى باغتيال السادات وحاول إبلاغ جماعة أسيوط لكن تعذر ذلك، وهذا سبب اضطراب موعد حركة تنظيم أسيوط[٢]!!

كان قتل السادات سهلا جدا لدرجة أنه لم يُقتل أحد من المهاجمين! بل تمكن أحدهم وهو حسين عباس من الهرب مشياً على أقدامه ولم يُقبض عليه إلا بعد يومين، فبرغم كل أطواق الحراسة على السادات وحراسه المنتخبين والبالغ عددهم ١٥٠ تمكن خالد وعبد الحميد من الوصول للمنصة وقتل السادات! والعجيب أن خالد قال لرفاقه في السجن قبل إعدامه إنه لم يضع خطة لكيفية الانسحاب بعد تنفيذ المهمة ورفض أن يصطحب معه ذخيرة للانسحاب لأنه لم يتصور نجاته، وأن خطته مبنية على موتهم في العملية[٣]، بل إن خالد ورفيقيه توقفوا عن إطلاق النار واستسلموا برغم توفر الذخيرة معهم![٤]

الأعجب من هذا أن التحقيق مع خالد في البداية قبل أحداث أسيوط لم يتطرق لوجود تنظيم خلف العملية، وحقق معه على أنه اغتيال فردي، برغم معرفة الأمن بِنية تنظيم الجهاد اغتيال السادات[٥]، فهل كان هذا عفويا أيضا من أجهزة الأمن؟

١- مقابلة العربية نت مع منتصر الزيات، http://cutt.us/yzBlB
٢- الإسلام السياسي، ص ٢١٦، ٢٢٢.
٣- مذكرات خالد، على شبكة الإنترنت.
٤- الإسلام السياسي، ص ٢٢٠.
٥- المصدر السابق، ص ٢١٦.

تمرد أسيوط:

العجيب أن أعضاء التنظيم في أسيوط انقطعت الصلة بينهم وبين أعضاء التنظيم في القاهرة يوم ١٩٨١/١٠/٥، وظنوا أن عملية الاغتيال لن تتم يوم ١٩٨١/١٠/٦ بسبب أنهم لم يعطوا خالد الإسلامبولي بعض القنابل التي اشترط عليهم إحضارها للقيام بالعملية، وهنا قررت جماعة أسيوط المضي بالخطة منفردين بالتحرك للاستيلاء على أسيوط يوم ١٩٨١/١٠/١٠ ورتبوا أمورهم على ذلك، ولسذاجتهم وجهلهم وقلة عقلهم وعلمهم لم يكلفوا أحدا أن يتصل هاتفيا بالقاهرة يستطلع الأخبار ولا حتى تابعوا الأخبار عبر الراديو، بل الأدهى من ذلك أن بعض قيادة أسيوط سافرت للقاهرة بالسيارة حيث وصلوا حوالي المغرب ولم يكونوا يعلمون أن العملية قد تمت وأن السادات قُتل وأن المنفذين نجوا من القتل، وعندها قرروا الرجوع لأسيوط التي وصلوها فجر يوم ١٠/٧ حيث اجتمعوا وقرروا تنفيذ خطتهم يوم ١٠/٨[١]، والذي يصادف يوم عيد الأضحى وذلك لاستغلال تجمع الناس ومناصرة ثورتهم، حيث هاجموا عددا من مقرات الأمن وسيطروا على المدينة، ولكن بعد يومين استعادت الشرطة السيطرة وفر المهاجمون للجبال.

وهذا يبين أن القرارات تتخذ بشكل غير مدروس وعفوي وبسذاجة منقطعة النظير، برغم أنها قرارات تمس قيادة دولة، بل أكبر دولة عربية، مما يدلنا على خطورة أفكار هذه الجماعات الشبابية المتهورة، ولعل تراجعات قادة الجماعة الإسلامية ونقدهم لأنفسهم بعد سنوات في السجن أكبر دليل على انحراف هذه المجموعات شرعياً وواقعياً.

وبعد اغتيال السادات وفشل الثورة في القاهرة وأسيوط تم الاتفاق على المقاومة وعدم الاستسلام، وأقنعوا أنفسهم أنهم نجحوا بتحقيق هدف لمختلف الفصائل الإسلامية ألا وهو إزاحة السادات[٢]، ولكن هل تغيرت الأحوال بإزاحة السادات؟ نفس من قَتلوا السادات

١- موسوعة العنف، ص ٤٩٦.
٢- الإسلام السياسي، ص ٢٢٢.

عادوا يقولون إن السادات كان خيرا من خلفه مبارك! وبعد قيام الثورة المصرية وإزاحة حسني مبارك عقب ٣٠ سنة لم تتحسن الأمور ولم تتبدّل! لأن إزاحة رأس الحكم لا تبدل كثيرا في منظومة الحكم، ولأن الشعب لم يتطور إيجابيا، وهذا هو الأهم.

ما بعد اغتيال السادات:

خالد أحمد شوقي الإسلامبولي

بعد انكشاف التنظيم والقبض على ٣٠٢ عضو وتقديمهم للمحاكمة تبين أن معظمهم تتراوح أعمارهم بين ٢٠-٣٠ سنة، وأنهم خليط من طلبة وموظفين[١]، ولم يكن فيهم مَن هو مؤهل شرعيا إلا الشيخ عمر عبد الرحمن لكنه لم يكن مؤسس التنظيم وواضع أفكاره أصلاً [٢]!

وتم اعتقال ٧ آلاف شخص تعرضوا للتعذيب، خرج بعضهم بعد عدة سنوات وبقي قسم لمدد طويلة، ولكن هذا الفكر بقي يتمدد في السجن وخارج السجن، فوقعت عدة عمليات لنصرة المساجين ومحاولة الإفراج عنهم، وتم القيام بعدة عمليات ضد رجال الشرطة، وأعاد بعض القادة والأعضاء إحياء تنظيمي الجهاد والجماعة الإسلامية خارج السجن بعد فراقهما في داخل السجن! وتكونت تنظيمات جديدة، وتتكرر المأساة من جديد في عمليات عنف كارثية لا فائدة منها.

١- المصدر السابق، ص ٢٦٠.
٢- المصدر السابق، ص ٢٤٤.

خلاصة:

الخلاصة التي أظنها الصواب أن تنظيم الجهاد تشكل بغرض ثورة شعبية شاملة يتم الإعداد لها بنفَس طويل يستغرق ٣ سنوات، لكن تسارع الأحداث السياسية فرض على التنظيم تجاوز خطته وهذا ملحظ متكرر لدى تجارب هذه التنظيمات.

وحين قرر التنظيم اغتيال السادات درس عدة احتمالات، والتنظيم غالباً كان معلوماً للأمن ومخترقا، وإن ليس بشكل كامل، وحادثة القبض على نبيل المغربي أكدت نية التنظيم قتل السادات.

قد يكون هناك جهة أمنية (الدولة العميقة) سعت للاستفادة من نية التنظيم اغتيال السادات بتسهيل ذلك عبر عضو التنظيم خالد الإسلامبولي، حيث فتح له المجال مع التحكم للقيام فقط باغتيال السادات دون غيره! وأنهم كانوا جاهزين لإكمال المهمة التي يبدأ بها خالد!

ولذلك لا أستبعد أن تظهر في المستقبل دلائل على مثل هذا التورط وأن يكون للموساد أو غيره دور في ذلك بسبب استعادة السادات لسيناء من اليهود، كما سبق أن هوجم السادات من تنظيم صالح سرية عقب انتصاره بمعركة ٧٣ على اليهود بعدة أشهر!

ولذلك فإن هذه التجارب الشبابية المتهورة والتي تجلب الكوارث والتي تقوم بعيدا عن العلماء السلفيين وبعكس آرائهم ستبقى تتكرر ما لم يكن هناك توعية صحيحة للشباب في المكان والزمان المناسبين.

ولعل مما يلخص كارثية هذه التجارب الشبابية المتهورة هذه الكلمة العجيبة لأحدِ مَن قاموا باغتيال السادات والذي قال: « لقد كانت أكبر خسائر عملية اغتيال السادات هو نجاحها، ذلك أن النجاح يصور لصاحبه أنه على صواب»![1] ولذلك مضت الجماعة الإسلامية وجماعة العنف في مسار العنف ردحا من الزمن قبل أن تتوصل لخطأ مسارها وتتراجع عنه وهو ما سنعرض له بتوسع.

١- صفحة حزب البناء والتنمية، أمانة الفيوم، وهو حزب الجماعة الإسلامية، http://cutt.us/o6G4E

5

الجماعة الإسلامية بين العنف والمراجعات

الجماعة الاسلامية

٥- الجماعة الإسلامية بين العنف والمراجعات

مرّ معنا أن الجماعة الإسلامية بدأت كلجان طلابية تتبع إدارة الجامعات باسم الجماعة الدينية، ضمن سياسة الرئيس السادات الرامية لمحاصرة التيار اليساري في الجامعات المصرية، وقد كان أفراد جماعة الإخوان في السجون، وكان هؤلاء الشباب ثمرة الجهود الدعوية للعلماء المستقلين ومن الأزهر أو للجمعيات الإسلامية كأنصار السنة، والجمعية الشرعية، وغيرها.

ويبدو أن البداية كانت مع المهندس صلاح هاشم، الذي دخل جامعة أسيوط سنة ١٩٧٢، والذي تمكّن لاحقا من قيادة الجماعة الدينية بدلاً من موظفي الجامعة[١]، وحدث مثل ذلك في جامعات أخرى، ولكون سياسة السادات دعمت النشاط الإسلامي فقد تمددت هذه النشاطات بسرعة ولقيت الدعم من الإدارات الجامعية، سواء عبر توفير الدعم والإمكانات للمخيمات الدعوية والمهرجانات والمحاضرات وبقية الأنشطة، أو عبر قبول مطالب الجماعة الإسلامية بمحاربة الاختلاط وفصل الطلبة في المدرجات والأماكن العامة وحظر الحفلات الغنائية ومنع عرض الأفلام السينمائية في الجامعات!

ومن ثم خاضت الجماعة الإسلامية بجامعة أسيوط الانتخابات الطلابية سنة ١٩٧٨ وفازت بجميع المقاعد، وكان قد تولى قيادة الجماعة خلفا لصلاح هاشم، ناجح إبراهيم، الذي انطلق بالجماعة لخارج أسوار الجامعة والاحتكاك بالمجتمع.

وأصبح هناك رابطة بين هذه الجماعات الدينية المتعددة في الجامعات، وسيكون لهم صلة بقيادات الإخوان الخارجة من السجون، والتي ستعمل في بعض الجامعات تحت اسم الجماعة الإسلامية، ومن ثم سيكون هناك انشقاق بين هذه الجماعات وقياداتها، وبعضها سيتحول إلى جماعة الإخوان مثل عصام العريان وعبد المنعم أبو الفتوح وحلمي الجزار وأبو

١- انظر شهادة صلاح هاشم في كتاب شاهد على وقف العنف، عبد اللطيف المناوي، أطلس للنشر، ص ٢٧.

العلا ماضي وغيرهم، وسيستخدمون اسم الجماعة الإسلامية مدة من الزمن، لكن سيكون شعار الإخوان «الله أكبر والحمد لله» موجودا على بياناتهم، بينما القسم الثالث سيستخدم شعار «لا إله إلا الله محمد رسول الله»[١].

والبعض الآخر بجامعة الإسكندرية سيُعرف لاحقا باسم الدعوة السلفية مثل محمد إسماعيل المقدم وأحمد فريد وسعيد عبد العظيم ومحمد عبد الفتاح وياسر برهامي وأحمد حطيبة.

وقسم ثالث سيحتفظ باسم الجماعة الإسلامية، وهم مجموعة أسيوط والمنيا ككرم زهدي وناجح إبراهيم وعاصم عبد الماجد وسيتّحدون مع تنظيم الجهاد (محمد فرج، وجماعة سالم الرحال بقيادة كمال حبيب) ويقوم بعملية اغتيال السادات، ولكن في السجن لاحقا سينفصلان عن بعضهما البعض، ويأخذ كل منهما طريقه الخاص[٢].

ومع أخذ الجماعة منحى التطرف والغلو وفكر العنف لجأت لتمويل أنشطتها من خلال مهاجمة محلات الذهب الخاصة بالأقباط، حيث قامت بعدد من هذه الهجمات سنة ١٩٨٠ والتي كُشف دور الجماعة فيها لاحقا بعد اغتيال السادات[٣].

وعلى غرار ما سبق من تنظيمات سابقة تكونت الجماعة من طلبة جامعيين غير مؤهلين شرعياً للتصدر لقيادة المجتمع فاتخذت الجماعة الشيخ عمر عبد الرحمن مفتيا لها[٤].

وبعد أن تورطت الجماعة في العنف وشاركت في اغتيال السادات ومن ثم التمرد في

١- الإسلام السياسي، ص ١٩٧.

٢- اختلاف الإسلاميين، أحمد سالم، ص ٢٦.

٣- الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة، ص ٤٥، الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة، ص ١٦، الجماعة الإسلامية في جامعات مصر، بدر محمد بدر، وهو يعبر عن رؤية جماعة الإخوان لها. تجربتي مع الإخوان، د. السيد عبد الستار، ص ١٢٤، وهو يقدم شهادة شخصية متوازنة. الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة، د. سعد الدين صالح، ص ٢٧٢، وفيه يعرض ٤ مراحل مرت بها الجماعة الإسلامية.

٤- الإسلام السياسي في مصر، ص ١٥١، الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة، ص ٥٤، الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة، ص ١٨، ثم أصبح الشيخ عمر مفتيا للجماعة الإسلامية عقب الانفصال عن تنظيم الجهاد.

أسيوط، وسُجنت قياداتها دخلت الجماعة مرحلة جديدة تمثلت في الخلاف والصدام مع تنظيم الجهاد، فتم الانفصال بينهما! وبعدها تورطت الجماعة بأعمال عنف وإرهاب استهدفت فيها رجال الأمن والسياسة وضرب السياحة وكان لجماعة الجهاد أيضا وبعض الجماعات الأخرى مشاركة في دائرة الفوضى والتفجيرات والاغتيالات، فدخلت مصر في دوامة رهيبة من العنف والفوضى.

وبعد ذلك بعدة سنوات تمت مراجعة فكر ومنهج الجماعة ومسارها العملي وخلصت لمراجعة شاملة تخلت فيها الجماعة عن العنف وأعلنت ندمها وخطأها، وبعد الثورة المصرية خرجت القيادات من السجون وشاركت في العملية السياسية السلمية، ولا تزال الجماعة تتبنى هذا الخط والخيار، هذه المحطات هي ما سنستعرضه بشيء من التفصيل.

الصراع في السجن مع الشركاء بتنظيم الجهاد:

كانت الجماعة الإسلامية قد تفاهمت مع تنظيم الجهاد قبل اغتيال السادات على بقاء كل جهة تعمل على طريقتها في الدعوة، فالجماعة الإسلامية تنتهج الدعوة العلنية، بينما يعتمد تنظيم الجهاد العمل السري، وبعد القبض عليهم وبدء محاكمتهم التي استمرت ٣ سنوات كانت فرصة للقيادات في الجماعة الإسلامية للاجتماع والتفرغ لكتابة أفكارهم ومنطلقاتهم، إذ لم يكن للجماعة هيكل تنظيمي محدد ولا فكر مدوّن ومحدد قبل اغتيال السادات.

فصدرت من السجن -كما حدث مع سيد قطب!- كتبهم المعتمدة: ميثاق العمل الإسلامي، حكم قتال الطائفة الممتنعة عن شرائع الإسلام، حتمية المواجهة، وهي من إنتاج شباب جامعي غير مؤهل علمياً!! والتي تم التراجع عن كثير مما فيها لاحقا في مرحلة المراجعات. وصدر كتاب أصناف الحكم والحكام، وكلمة حق للشيخ عمر عبد الرحمن مفتي الجماعة بعد الانفصال عن تنظيم الجهاد[1].

١- الإسلام السياسي في مصر، هالة مصطفى، ص ١٦٢.

ومما دفع هذه القيادات الشبابية لتدوين فكرها اعتقادهم بأنهم سيُعدمون وأنّ عليهم ترك فكرهم للجيل التالي من الجماعة! وتمحور فكرهم في ما دوّنوه من كتب على تكفير الحاكم الذي يحكم بالقوانين الوضعية باعتباره مبدلا للشريعة، وعدم جواز دخول البرلمانات على اعتبار أن ذلك يعدّ نوعا من الشرك والتشريع من دون الله عز وجل، ووجوب قتال الطائفة / السلطة الممتنعة عن تطبيق الشريعة، وتغيير المنكر باليد (بالعنف) لعامة الناس، وعذر الناس بالجهل من الوقوع في الكفر بخلاف الغلاة الذين لا يعذرون بالجهل[1].

وقد تصدى السلفيون لفكرهم المنحرف والذي ثبت انحرافه عن صحيح الدين وثبت تسببه بمظالم ومفاسد كثيرة على الإسلام والمسلمين والدولة، باعترافهم هم أنفسهم في مراجعاتهم، وقد عبّر أحد رموز تيار الجهاد عن قوة تأثير السلفيين في التصدي للعنف والتطرف في تلك المرحلة فقال: «ولكن العامل الأخطر في تعويق الإسلام الثوري هو اختراقه بواسطة السلفيين المدرسيين»[2].

بعد صدور الأحكام وتبرئة بعض الشخصيات مثل الشيخ عمر عبد الرحمن، وخروجه من السجن، وخروج أصحاب الأحكام القصيرة التي انتهت مع انتهاء المحاكمة التي استمرت ٣ سنوات، وقع جدل حول من يقود التنظيم الآن؟ فانحاز قادة الجماعة الإسلامية للشيخ عمر عبد الرحمن بينما انحازت جماعة الجهاد لعبّود الزمر، وذلك بعد إعدام محمد عبد السلام فرج، ونشأ خلاف عُرف باسم ولاية الضرير والأسير! وعلى قضية العذر بالجهل، حيث كانت الجماعة تعذر بالجهل ولا تكفّر المعين، بينما لا يعذر تنظيم الجهاد بالجهل، وانفصل التحالف وسار كل منهما في طريقه، وكانت الأكثرية مع الجماعة الإسلامية[3].

١- المصدر السابق، ص ١٦٢.

٢- المصدر السابق، ص ١٧٨. ومن نماذج الرد السلفي على هذه الأفكار مقال للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق نشره في صحيفة الوطن الكويتية في ثمانينيات القرن الماضي بعنوان: «المفهوم الجديد للجهاد عند بعض الشباب المسلم»، وهو منشور في مجموع أعمال الشيخ ٤/ ٣٦٩.

٣- اختلاف الإسلاميين، أحمد سالم، ص ١٠٦، الإسلام السياسي، ص ٢٧٤، الجماعات الإسلامية والعنف، سعود المولى، مركز المسبار، ص ٦٣٦.

مسيرة الجماعة بعد محاكمة قتلة السادات

الشيخ عمر عبد الرحمن

يبدو أن الجماعة في السجن خططت للمستقبل من خلال توجيه الأفراد الذين تم الإفراج عنهم على دفعات على النحو التالي: من حُكم عليه بالسجن بثلاث سنوات وخرج في سنة ١٩٨٤ كُلّف بنشر فكر الجماعة الذي كُتب في السجن، والأفراد الذين حُكم عليهم بخمس سنوات كُلّفوا ببناء هيكل تنظيمي للجماعة، والأفراد الذين حكموا بسبع سنوات كُلّفوا بتأسيس جناح عسكري للجماعة، بحيث في عام ١٩٨٨ تمتلك الجماعة قوة عسكرية[١]!

وفعلا بعد خروج الشيخ عمر عبد الرحمن سنة ١٩٨٤ والذي اتخذته الجماعة أميراً لها قام بجهد كبير في نشر فكر الجماعة والدعوة لها في ربوع مصر، وقد مال لعدم المصادمة مع الأمن برغم مضايقات الأمن له ولشباب الجماعة، ثم سُمح له بأداء العمرة، ومن هناك سافر لباكستان وأفغانستان والتقى بقادة الجماعات المتطرفة والقائمة على العنف، وسافر للسودان ومن هناك استخرج تأشيرة لدخول أمريكا سنة ١٩٩٠م فأقام فيها مدة ثم لُفقت له تهم إرهابية، سُجن على إثرها هناك من سنة [٢]١٩٩٣ وحتى وفاته سنة ٢٠١٧، وقد سمح بدفنه في مصر.

وقد كان لرفاعي طه دور كبير في البناء الثاني للجماعة من عام ١٩٨٤ وكان يلقب بالناظر كناية عن دوره المركزي[٣]، وفي هذه المرحلة شاركت الجماعة في الانتخابات الطلابية، وعَقدت العديد من المؤتمرات السياسية في الجامعات والنقابات وركزت على تقوية جهازها الإعلامي، لكنها رفضت دخول انتخابات البرلمان سنتي ١٩٨٧ و١٩٩٠

١- الجماعات الإسلامية والعنف، سعود المولى، ص ٦٥٥، وهو ينقل ذلك فيما يبدو عن سلوى العوا في كتابها: الجماعة الإسلامية المسلحة، وكتاب محمد أبو عطية وهو من الجماعة الإسلامية وأنجز عنها رسالة ماجستير.
٢- دليل الحركات الإسلامية المصرية، عبد المنعم منيب، ص ٢٠٦.
٣- مراجعات الجهاديين، عبد المنعم منيب، مكتبة مدبولي، ص ٩.

لأنها اعتبرته مخالفا للشريعة وتصادمت مع جماعة الإخوان بسبب ذلك[1].

من اللافت أن عبود الزمر وطارق الزمر وبعض أتباعهم انفصلوا بعد عدة سنوات عن جماعة الجهاد في السجن وخارج السجن وانضموا للجماعة الإسلامية، وأصبح عبود في مجلس شورى الجماعة وهم في السجن[2].

بدء العنف المسلح عند الجماعة من جديد

أخذت طريقة الجماعة بتغيير المنكر باليد تتطور لدى بعض قيادات الخارج والشباب نحو العنف شيئاً فشيئاً، فالإطار النظري متوفر وجاهز وممارسات النظام تغذي هذا العنف من خلال اعتماد التعذيب والظلم والتعدي، وكذلك ساهمت طبيعة أعضاء التنظيم في محافظات الصعيد وأسيوط الميالة بطبيعتها للصدام والعراك، وكان للسماح لعدد من قادتها بالسفر لأفغانستان دور في رفع اعتمادية العنف لدى الجماعة حيث أعادت بعض الروابط مع تنظيم الجهاد والتعرف على تنظيمات أخرى هناك وأصدرت من هناك مجلة (المرابطون)، ومنذ سنة ١٩٨٦ بدأت تتصاعد الصدامات بين شباب الجماعة وقوات الشرطة وبقيت حتى إعلان وقف العمليات العسكرية من قيادة السجون سنة ١٩٩٧، وقد سقط في هذه العمليات كثير من الأبرياء من المارّة بخلاف رجال الشرطة والساسة والسياح الذين استهدفتهم العمليات[3].

ومن أبرز عمليات العنف المسلح التي قامت بها الجماعة محاولة اغتيال وزير الداخلية زكي بدر سنة ١٩٨٩، وقد قامت الشرطة باغتيال الناطق الإعلامي للجماعة د. علاء محيي الدين سنة ١٩٩٠ مما رفع وتيرة العنف، حيث أصدرت الجماعة بيانا بعنوان «آن الأوان ليسكت الكلام ويتكلم الرصاص»[4]، وقد رافق ذلك عودة بعض القادة من

٤- الإسلام السياسي، ص ٢٧٥.

١- دليل الحركات الإسلامية المصرية، عبد المنعم منيب، ص ١٨٠.

٢- المصدر السابق، ص ١٤٦، الإسلام السياسي، ص ٢٦٧.

٣- اختلاف الإسلاميين، ص ١٠٦.

أفغانستان حيث تولى طلعت فؤاد قيادة الجماعة[1]، وهنا تصاعد عنفها، فحاولت اغتيال الرئيس حسني مبارك عدة مرات أهمها في أثيوبيا سنة ١٩٩٥[2]، واستهدفت عددا من قادة الأمن ورموز النظام بعملياتها، كما هاجمت عدة مرات السياح الأجانب في مصر، ويبدو أن عنف قيادة الخارج لم يكن برضا قيادة السجون، ولما وقعت أخطاء ضخمة في هذه العمليات الإرهابية قام قادة الجماعة في السجن باستنكارها في رسائل علنية، بل قام القادة في السجن بعقد محاكمة لأحد قادة الجماعة الذين تسببوا في تنفيذ عملية إرهابية متطرفة لِما وقع فيها من أخطاء فادحة[3].

في نفس الوقت ثمة عمليات إرهابية وقعت لكن كانت من تنفيذ جماعة الجهاد، أو تنظيم التوقف والتبيّن والمشتهر إعلاميا بـ (الناجون من النار) وهم انشقاق عن تنظيم الجهاد[4]، أو الشوقيين، وهم شطحة عن جماعة التوقف والتبين[5]، ويلزم الباحث عدم خلط عمليات كل تنظيم بغيره وإن كانت الحصة الأكبر للجماعة الإسلامية[6].

وقد تسببت العمليات الإرهابية للجماعة الإسلامية بأضرار كبيرة تمثلت بقتل العشرات من الأبرياء، والإضرار بالاقتصاد المصري وزعزعة أمنه واستقراره، كما أنها تسبّبت باعتقال ما يقرب من ٣٠ ألفا من شباب الجماعة الإسلامية والشباب الملتزم والتضييق على الدعوة الإسلامية بعامة[7]، لقد كانت هذه العمليات من الكثافة والكثرة حتى وصلت لدرجة أن متوسط نسبة العمليات الإرهابية هو وقوع عمل إرهابي ينتج عنه قتيل وجريح واحد يومياً مما أدى لنفور شعبي تجاه الجماعة[8].

٤- الجماعات الإسلامية والعنف، ص ٦٥٤.

٢- بحسب محامي مصطفى حمزة القيادي العسكري للجماعة تمت ١٢ محاولة اغتيال لمبارك، http://www.elwatannews.com/news/details/53926

٢- الجماعات الإسلامية والعنف، ص ٦٥٦.

٣- دليل الحركات الإسلامية المصرية، ص ١٥٨.

٤- المصدر السابق، ص ١٦١.

٥- الإسلام السياسي في مصر، ص ١٦٧، شاهد على وقف العنف، ص ٧٨.

٦- الجماعات الإسلامية والعنف، ص ٦٦٢.

٨- شاهد على وقف العنف، ص ٤٢.

إعادة الجماعة النظر بمسار العنف

في هذه المرحلة كانت الجماعة تسير في مسارين متناقضين، ففي السجن كانت هناك عملية مراجعة وإعادة تقييم لمسيرة الجماعة ومستقبلها، وقد كانت نظرة القيادة في السجن تتوجه باتجاه التصالح مع النظام، ولذلك بعد تيقنها من فشل خيار الصدام قامت قيادة الجماعة عبر ٢٠ سنة بتقديم ١٥ مبادرة للتصالح مع النظام تم رفضها جميعاً[١]، آخرها كان البيان الذي تلاه أحد القيادات أمام الصحفيين في قاعة المحكمة في ١٩٩٧/٧/٥ وأعلن فيه وقف جميع العمليات المسلحة داخل مصر وخارجها[٢]، لأن قيادة السجن كانت مصرّة على ضرورة وقف العنف وتغيير مسار الجماعة نحو السلمية بعد تفاقم الأذى على الجماعة وأفرادها دون نتيجة أو مؤشر على ضعف النظام! وأيضاً بسبب معارضتها لمسار العنف الذي يتعمق لدى قيادة الخارج.

وردا على هذا التوجه لقيادة السجون قام جناح من قيادة الخارج رافضٌ لمسار المراجعة ووقف العنف والتصالح بتنفيذ عملية إرهابية ضخمة عرفت باسم عملية الأقصر واستهدفت سياحا أجانب في الأقصر قُتل فيها ٥٨ سائحاً وذلك بعد ٤ شهور من مبادرة وقف العنف! وقد أصدر رفاعي طه رئيس شورى الخارج بيانا تبنّى فيه العملية، فردّ عليه أسامة رشدي الناطق باسم الجماعة في الخارج من هولندا بنفي مسؤولية الجماعة عنها وإدانتها وأنها تصرف ذاتي من منفذيها وليست بقرار مؤسسي[٣].

واشتعل الجدل والخلاف داخل الجماعة حتى توافق القادة جميعاً على دعم مبادرة وقف العنف: القادة التاريخيون في السجن والشيخ عمر عبد الرحمن من سجنه بأمريكا[٤] ومصطفى حمزة المسؤول العسكري المتواجد في إيران ورفاعي طه رئيس مجلس شورى الخارج.

١- المصدر السابق، ص ٨٣.
٢- الجماعات الإسلامية والعنف، ص ٦٦١. الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة، ص ٥٧.
٣- شاهد على وقف العنف، ص ٩٢.
٤- المصدر السابق، ص ١٢٢.

وعلى عكس توجه قيادة السجون كانت قيادة الخارج تتّجه للتعاون والتحالف مرة أخرى مع تنظيم الجهاد الذين التقوا به مرة أخرى في أفغانستان للانخراط في مزيد من العنف وقد تجسد ذلك في قبول رفاعي طه إعلان «الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين» حيث وقّع عن الجماعة انضمامها لها في ١٩٩٨/٢/١٨، لكن قيادة الجماعة طلبت منه التراجع عن ذلك، وفعلا تنصّل رفاعي طه من موافقته على الجبهة في موقع «المرابطون»[١]، وبعد عدة أشهر صدرت تصريحات من قادة السجون والشيخ عمر عبد الرحمن هاجموا الجبهة ودعوا لاعتماد جبهة سلمية في الدعوة والنشاط الإسلامي، وقد تسبب هذا الضغط على قيادة الخارج باستقالة كلّ من أسامة رشدي ورفاعي طه ومحمد شوقي الإسلامبولي من مجلس الشورى بالخارج[٢].

تطور مبادرة نبذ العنف

في حوار لكرم زهدي مع مكرّم محمد، رئيس تحرير مجلة المصور، لخّص تاريخ المراجعات لدى الجماعة فقال: لقد بدأنا التفكير فيها بعد أحداث ١٩٨١، وكنّا نريد الصلح مع مؤسسات الدولة، وكانت هناك محاولة منذ عام ١٩٨٨ بعدما عرض الشيخ الشعراوي رحمه الله التدخل، حيث استأذن كبار المسئولين في الدولة للحديث مع القادة، الذين وافقوا وسعِدوا بذلك ولكن إخوة في جماعات أخرى خالفوا وقطعوا الطريق على هذه الوساطة، بهروب عصام القمري الذي أجهض مبادرة الجماعة لإعلان وقف العنف.

وفي عام ١٩٩٣ بادرت الجماعة الإسلامية إلى مراسلة الحكماء والعقلاء والمفكرين الذين سارعوا لتشكيل لجنة الوساطة، ولكن هذه المحاولة فشلت لأن هناك من تحرك لإفسادها.

١- المصدر السابق، ص ٩٥.

٢- الجماعات الإسلامية والعنف، ص ٦٦٠. مراجعات الجهاديين، ص ٢٥، شاهد على وقف العنف، ص ٩٢.

وكانت هناك محاولات أخرى لأن الموقف عليه شبه إجماع، ولكنها لم تتم، فقررت الجماعة الإسلامية إعلان هذه المبادرة على الملأ في يوليو ٩٨. واستمرت الأمور ما بين شد وجذب بين الجماعة والحكومة المصرية، حتى صدرت المراجعات الأخيرة في شكل أربعة كتب. أ.هـ[١].

لقد كانت بداية المبادرة بالإعلان الذي تم في ١٩٩٧/٧/٥ من قيادة السجون، والتي لم تكترث لها الدولة في حينها، ثم بالضغط على مجلس شورى الخارج لتأييد ذلك ببيان جديد صدر في ١٩٩٩/٣/٢٨، وقد قوبلت المبادرة بتشكيك من الأمن وكثير من الساسة وأنها مناورة وخداع، ولكن ثبات القادة على مراجعتهم والتنديد بعملية الأقصر وغيرها، والصبر سنوات على رؤيتهم فتحت نافذة في جدار الرفض الرسمي للحوار مع الإرهاب، واليوم يؤكد ثبات القيادة التاريخية للجماعة على سلميتها برغم كل الصدامات في مصر جدية الجماعة في تحولها.

بينما اعتبرت بعض الجهات الإسلامية وبعض قيادات الجماعة مبادرة وقف العنف خيانة وعمالة للأمن وهزيمة نفسية ناتجة عن أزمة السجن وحبّ الدنيا[٢].

وفي المقابل، طلب القادة التاريخيون من الدولة التوقف عن التعذيب والتوقف عن تجديد التوقيف بحجة قانون الطوارئ والإفراج عمّن أنهى محكوميته، وعدم أخذ النساء رهائن للضغط على أفراد الجماعة، وعدم اقتحام المساجد، والسماح لهم بالدعوة[٣].

ولما بدأ الأمن يشعر بجدية الموضوع بعد عدة سنوات سمح للقيادات التاريخية في ٢٠٠٢ بجولات على السجون للقاء الشباب وأعضاء الجماعة لإقناعهم بالمبادرة ونبذ الغلو، وقد كانت نتائج ذلك إيجابية.

١- http://webcache.googleusercontent.com/c&+١٢٤٩٦/search?q=cache:rRktQhKUw١wJ:www.maghress.com/attajdid hl=en&ct=clnk&gl=jo &٦ =d

٢- شاهد على وقف العنف، ص ١٠١، مراجعات الجهاديين، ص ٣٣.

٣- الجماعات الإسلامية والعنف، ص ٦٦١، الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة، ص ٦١.

ثم قامت قيادة الجماعة في السجون بإصدار ٤ كتب تراجع فيها أفكارها السابقة وذلك في ٢٠٠٢ وعُرضت في معرض القاهرة للكتاب، حيث ناقشت فيها ضرورة التزام فقه الموازنات والمصالح والمفاسد تجاه نهجها في العمليات العسكرية وأنها لا تحقق المصالح المرجوة، وتراجعوا عن قضية إنكار المنكرات بالقوة، وتبيين ما وقع في «الجهاد» من أخطاء يجب الإقلاع عنها، وخطورة الغلو والتطرف والتكفير[١]. وصدرت بعدها عدة كتب أخرى، وبدأت بعدها عمليات الإفراج عمّن أتمّ محكوميته.

كان لعبود وطارق الزمر اعتراضات على طريقة وأسلوب التفاهم مع النظام بخصوص المبادرة إذ كانا يطمحان لرفع سقف مكاسب الجماعة منها وليس اعتراضا على أصل المبادرة، ولذلك قام الأمن بعزل عبود وطارق الزمر عن بقية القادة ونقلهم لسجن آخر وتأخير خروجهم عدة سنوات، ثم أصدر طارق الزمر كتابه «مراجعات لا تراجعات» والتي حاول فيه أن يصحح المفاهيم السابقة بخلاف القادة التاريخيين الذين أدانوا مفاهيمهم السابقة! ولكن طارق يعترف بخطأ قراءته وبقية القادة للواقع آنذاك مما تسبب بأضرار عبر اتخاذ وسائل وأساليب غير مناسبة وهي العنف[٢]!

خلاصة المراجعات

لخص كرم زهدي في مقابلة مع عبد اللطيف المناوي الخبرة الحركية من التجربة فقال: «بعد أن هدأت الأحداث وسكنت عاصفة عام ١٩٨١ أدركنا أنا وإخواني حقيقة المؤامرة التي حيكت لنا بمكر ودهاء شديدين، تمكن اليساريون من خلالها من ضرب الحركة الإسلامية من جهة، وضرب السادات خصمهم اللدود من جهة أخرى... وذلك بإيقاع الفتنة بين شباب الجماعة الإسلامية وبين قيادة الدولة ممثلة في الرئيس السادات،

١- مراجعات الجهاديين، ص ٢٦.
٢- التنظيم والتنظير تنظيم الجهاد وشبكة القاعدة، عبد المنعم منيب، ص ١٥٧.

وباستخدام أسلوب التحريض المستمر وإشعال النيران والنفخ فيها وتشويه سمعة السادات وعائلته بنشر الشائعات المتلاحقة ... استطاعوا بذلك الأسلوب الرخيص أن يوقعوا الفتنة التامة ويؤججوها حتى وقعت أحداث ٨١ ... الخلاصة أننا أدركنا تماماً ما كان من أمر تلك المؤامرة الخبيثة، ومما زاد من قناعتنا بهذا الأمر أنه بلغنا وقتها أن أحد المحامين اليساريين قال في اجتماع لهم: لقد تخلصنا الآن من السادات وبقي أن نسعى إلى إعدام أكبر عدد من الجماعات الإسلامية في هذه القضية حتى تشتعل النار من جديد بينهم وبين النظام الحاكم وبهذا نكون ضربنا عصفورين بحجر».

وبخصوص الخبرة عن المنهج الصحيح للعمل الإسلامي يقول في نفس المقابلة: «البديل الشرعي الصحيح لعمليات العنف التي كانت تحدث هو الدعوة السلمية وتقديم النصيحة لحكام المسلمين وقول الحق بطريقة سلمية وبأسلوب مقبول وطيب فإذا استجيب لمطالبنا فللّه الحمد والمنة، ونقدم لهم الشكر على ذلك وإن لم يستجيبوا فخيارنا الصبر على الأذى»[1].

مرحلة ما بعد السجن[2].

عاشت الجماعة بعد الخروج من السجن مرحلة كمون تقريباً، فلم يكن لهم كبير نشاط إلا بالتنسيق مع الأمن، وبقي الأمر على هذا الحال حتى قيام الثورة المصرية في ٢٠١١/٢/٢٥، حيث شارك بعض أفراد الجماعة لكن بشكل فردي حتى لا تتحمل الجماعة تبعات ذلك.

١- شاهد على وقف العنف، ص ٢٤٤، ٢٥٦.
٢- مصادر هذه المعلومات ممّا نشر عن الجماعة في شبكة الإنترنت.

ما بعد الثورة المصرية

ولما تمت تنحية مبارك قام المجلس العسكري بالإفراج عن عبود وطارق الزمر، وهنا أصبح هناك تمايز بين القادة التاريخيين ككرم زهدي وأسامة حافظ وناجح إبراهيم، الذين بقوا مصرّين على مبادرتهم السلمية والمبالغة فيها، وبين بعض القيادات العسكرية سابقا في الجماعة الذين لا تزال لديهم حماسة وتهور مثل عصام دربالة وصفوت عبد الغني وطارق الزمر، والذين يعتقدون أن قيادة الجماعة انحرفت!

فعقدت انتخابات مجلس شورى الجماعة بعد الثورة المصرية في ٢٠١١ وتم الإطاحة بكرم زهدي ورفاقه واعتلاء عصام دربالة قيادة الجماعة، مما أشعل الصراعات والخلافات داخل أروقة الجماعة واستقال على إثرها ناجح إبراهيم وكرم زهدي، وتكونت جبهة إصلاح الجماعة الإسلامية.

وقد ساعدت جماعة الإخوان الجماعة الإسلامية على تأسيس حزبها «حزب البناء والتنمية» في سنة ٢٠١١، وشارك في أول انتخابات لمجلس الشعب بعد الثورة وحصل على ١٩ مقعدا من خلال تحالفه مع حزب النور، بعد فشل تحالفه مع الإخوان المسلمين الذين عَرضوا عليهم مقعدا واحدا فقط!

ولما تم عزل الرئيس مرسي شاركت الجماعة الإسلامية وحزبها في تحالف الشرعية مع الإخوان، وكان لعاصم عبد الماجد وطارق الزمر تصريحات متطرفة على منصّة رابعة، وقد تسبب ذلك بوقوع بعض حوادث عنف من أعضاء بالجماعة، واتهمت جبهةُ إصلاح الجماعة طارق الزمر بالتخطيط لعمليات عنف في مصر، وقد هرب عاصم عبد الماجد وطارق الزمر من مصر وبقوا في تحالف مع الإخوان المسلمين، ثم انقلب عاصم عبد الماجد على الإخوان وإن بقي خارج مصر، وانقلاب عبد الماجد على الإخوان برّر بتعالي الإخوان الدائم على شركائهم وتحكمهم في تمويل ودعم الجماعة، ووجود مؤشرات

على نية الإخوان عقد صفقة مع النظام قد تكون على حساب شركائها، وقد كَشفت صراعاتُ الإخوان عن وجود مثل هذا التوجه وأصدرت الجماعة الإسلامية بيانا بخصوص ذلك وتأثيره على تحالف الشرعية!

بينما أعلن عبود الزمر عن تخطئته للإخوان المسلمين بإصرارهم على عودة مرسي، ودعاهم للمصالحة مع الدولة، كما أرسل رسالة تحذير لعصام دربالة أمير الجماعة الذي يصرّ على التحالف مع الإخوان، قال فيها: «إن إصراركم على الاستمرار في «التحالف» يهدم كيانا عمره أكثر من أربعين عاما ويقضي على طموح أبنائه، ولن تكون نتيجته إلا ضياع الحركة الإسلامية».

ولكن السلطات الأمنية قامت باعتقال عصام دربالة في ٢٠١٥/٥ مما دعا عبود الزمر لطلب الإفراج عنه مقابل انسحاب حزب الجماعة «البناء والتنمية»، من تحالف «دعم الشرعية» الذي يقوده الإخوان، وعدم ممارسة السياسة والاكتفاء بالعمل الدعوي للجماعة، لكن السلطات لم تستجب لذلك وبقي دربالة مسجونا حتى توفي بعد ٤ شهور في السجن بسبب مرضه وعدم معالجته، وتم تعيين أسامة حافظ رئيسا لمجلس الشورى مؤقتاً بصفته نائب الرئيس.

وقد حصل صراع على موقع الرئيس، فصفوت عبد الغني –من جناح التشدد والمسجون من ٢٠١٤ لكونه مؤيدا للرئيس مرسي[1]– طلب عدم إجراء انتخابات المجلس إلا بعد إطلاق سراحه لرغبته برئاسة الجماعة وعدم تركها للتيار الآخر، فيما كثير من أعضاء الجماعة يحثون كرم زهدي للعودة للقيادة حتى لا تتشدد الدولة تجاههم.

وقد رفض أسامة حافظ الانزلاق لمسار العنف من جديد، حيث حذر جماعة الإخوان عقب توليه قيادة مجلس الشورى من العنف ورفض (بيان نداء الكنانة) الذي أصدره عدد

١– تم الإفراج عنه في ٢٠١٧/٤/١٠.

من العلماء والهيئات من دول متعددة تأييدا للرئيس مرسي حيث علّق على البيان بقوله: ”مثل هذه البيانات تلقى هكذا بين الشباب المتحمس المندفع هو أمر خطير، يستمدون منها مشروعية القتل“.

وقد جاء مقتل رفاعي طه بغارة أمريكية في سوريا في ٢٠١٦/٤ حيث كان هناك لإتمام مصالحة بين تنظيم النصرة (القاعدة) وحركة أحرار الشام بحسب بيان الجماعة ليؤشر على وجود قيادات، خاصة العسكرية منها، في الجماعة لا يزال لها توجه نحو التطرف أو العنف. وعقب مهاجمة إبراهيم منير، أمين التنظيم الدولي لجماعة «الإخوان المسلمين»، الجماعة الإسلامية أمام مجلس العموم البريطاني في ٢٠١٦/٦ طالب عاصم عبد الماجد وعبود الزمر قيادة الجماعة بالانسحاب من تحالف دعم الشرعية الذي لم يبق فيه إلا الإخوان والجماعة الإسلامية فقط! وإن كان التحالف في حكم الميت لعدم وجود فعاليات مشتركة له.

وفي تحرك غريب لا تُعرف دوافعه هل هي جس نبض أو نوع من التحدي والعناد قام حزب الجماعة في ٢٠١٧/٨ بانتخاب طارق الزمر رئيسا له رغم تواجده خارج مصر، وردّت السلطات على ذلك باتهام طارق في التورط بعمليات إرهابية اضطرته لإعلان استقالته من الرئاسة والحزب نفسه لتجنيبه الحل والإغلاق وقد كان لأسامة حافظ دور في ذلك، وتم انتخاب محمد تيسير، أمين الحزب بالقاهرة، رئيسا للحزب.

خاتمة:

تراوحت المسيرة بين عاطفة الشباب ونقص العلم فتورطت في العنف ووقعت في مكيدة الأعداء، ولما أنضجت التجربة وزادت خبرتهم مالوا للمراجعات وكان غالبيتهم صادقين فيها.

وفي السجن كتبوا فكرهم المتطرف وفي السجن أيضا كتبوا مراجعاتهم، وفي الحالين كان نقص العلم وعدم التأهيل العلمي الشرعي يورطهم في بعض الأخطاء، لكن أخطاء التطرف كانت أكثر بكثير.

من هنا لما زادت مساحة الحرية القصيرة عقب إزاحة مبارك انقلب بعض القيادات على مراجعاته وتسبب مرة أخرى بكوارث وتضييقات على نفسه وإخوانه وجماعته.

وتبقى الخلاصة الثابتة في مسيرة الجماعة وغيرها من تنظيمات العنف: قلة العلم باب للتهور وجلب المصائب وهدم مسار الدعوة وبذل الخير.

طارق الزمر

6

تطور تنظيم الجهاد للذوبان في تنظيم القاعدة

أيمن الظواهري

٦- تطور تنظيم الجهاد للذوبان في تنظيم القاعدة

إن تنظيم الجهاد الذي يرأسه أيمن الظواهري وتم حلّه وذوبانه في تنظيم القاعدة في سنة ١٩٩٩ تقريباً هو تنظيم قديم الجذور، وتشكّل من مجموعات متفرقة ساهمت ظروفها وخسائر الصدامات مع السلطة على التقاء بقاياهم معًا.

البداية والنشأة:

الظواهري من مواليد سنة ١٩٥١، ونشأ قريباً من جماعة أنصار السنة المحمدية السلفية المعروفة[١]، لكنه تعرّف أيضاً على نبيل برعي مبكرا وهو لا يزال في سن الخامسة عشرة، والذي كان جارا له في حي المعادي، ودخل معه في تنظيم الجهاد الذي أسسه مع إسماعيل طنطاوي[٢]، فابتعد عن جماعة أنصار السنة وتبنى تكفير الدولة والانقلاب العسكري منذ عام ١٩٦٦م وكان عمره ستة عشر عاماً[٣]، وهذا سلوك تكرر كثيراً بانفصال وتباعد حملة فكر العنف والتطرف عن الجماعات والعلماء السلفيين، ولاحقاً يقومون بتكفيرهم، واغتيالهم أحياناً !!

ولعل أوضح من يبيّن بداية وتطورات تنظيم الجهاد هو أيمن الظواهري نفسه، والذي تحدث عن ذلك في حوار مع صحيفة الحياة اللندنية لكنها لم تنشره: «كانت بدايتي في الحركة الإسلامية في هذه الجماعة التي أتشرف بالانتماء إليها، وكان ذلك في حوالي سنة

١- الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة، د. كمال حبيب، ص ٣٣.
٢- التنظيم والتنظير: تنظيم الجهاد وشبكة القاعدة، عبد المنعم منيب، ص ٤٤.
٣- أيمن الظواهري كما عرفته، منتصر الزيات، ص ٣٦.

١٩٦٦م، عندما تكوّنت النواة الأولى لهذه الجماعة بعد مقتل الشهيد سيد قطب، رحمه الله، وكان من أعضاء هذه المجموعة الشهيد يحيى هاشم – الذي كان رئيساً للنيابة العامة – والأخ إسماعيل الطنطاوي والأخ نبيل برعي، ثم نمت هذه المجموعة إلى أن وصلت إلى الحجم الحالي للجماعة.

وانضم إلينا في فترة لاحقة الأخ عصام القمري، رحمه الله، وبدأ حينئذ في النشاط داخل الجيش، ثم مرت أحداث الفنية العسكرية واستشهاد الأخ يحيى هاشم، وقضايا الجهاد في عام ١٩٧٧ و١٩٧٨، واستطعنا بفضل الله تجنّب هذه الضربات...

ثم جاءت سنة ١٩٨١م وتعرضنا في بدايتها لضربة أمنية، عرف على إثرها الأخ عصام القمري، وقبض على بعض رفاقه من الضباط، مثل الأخ عبد العزيز الجمل والأخ سيد موسى وغيرهم من الضباط، ولكننا استوعبنا هذه الضربة.

ومع نشاط «الجماعة الإسلامية» واتحادها مع الأخ عبد السلام فرج بدأ التعاون ينمو بيننا وبينهم عن طريق الدكتور عمر عبد الرحمن والأخ عبود الزمر إلى أن جاءت أحداث ١٩٨١م اغتيال السادات وأحداث أسيوط، وقُبض على عدد من إخواننا بسبب الروابط المشتركة بيننا، وأمضينا في السجن ثلاث سنوات، حدث فيها تعارف عن قرب بيننا وبين إخواننا في الجماعات الجهادية، وكان من نتائج ذلك تلك الثقة العميقة بين الإخوة الذين عاشوا تلك الفترة سوياً، وبعد الخروج من السجن بدأنا في تجميع الإخوة من جديد، وقررنا استغلال الساحة الأفغانية لتدريب أعداد ضخمة من الشباب المسلم، وقد وفّقنا الله سبحانه وتعالى في ذلك توفيقاً كبيراً».[١]

وفي مقابلة لهاني السباعي مع صحيفة الحياة اللندنية[٢] نقل السباعي أنه سأل الظواهري

١- منشور في الإنترنت باسم (حوار الشيخ الظواهري مع جريدة الحياة، ١٤١٤هـ)، موقع منبر التوحيد والجهاد.
٢- نشرت على أربع حلقات ٢٠٠٢/٩/١,٤، ومنشورة على موقع المقريزي لهاني السباعي، على الرابط التالي:
http://ilmway.com/site/hansib/ar/news.php?readmore=34

عن نشأة الجماعة فقال: «سألتُ الدكتور أيمن كيف أسس جماعته، وقلت له إن الناس تحكي أن الذي أنشأها هو نبيل البرعي ومعه المهندس إسماعيل طنطاوي وبعض الإخوة الآخرين وأنت كنت بينهم. فردّ بالحرف الواحد: أنا الذي كنتُ أميراً على هذه المجموعة بمن فيهم الدكتور سيد إمام (صاحب كتاب طلب العلم). قال إن المجموعة التي تشكّلت في ناحية المعادي، ضمّت طلبة في الثانوية كانوا يذهبون إلى المسجد معاً كونهم يعرفون بعضهم بعضاً من المدرسة. في تلك الفترة اجتمعوا وكوّنوا أول خلية لنواة جماعة صغيرة واختاروه (الظواهري) أميراً للمجموعة الصغيرة التي ضمت الدكتور أيمن ونبيل البرعي وإسماعيل طنطاوي والدكتور سيد إمام وغيرهم»!!

وهذا يتعارض مع حواره مع صحيفة الحياة ومع اعتراف الظواهري في التحقيقات عقب اغتيال السادات حيث قال: «في عام ٦٦,٦٧ كنتُ منضماً في تنظيم ديني يرأسه إسماعيل طنطاوي، وكان معنا شخص يدعى سيد حنفي، وكنا نسعى من خلال هذا التنظيم إلى العمل على قلب نظام الحكم، وانضم إلينا بعد ذلك شخص يدعى علوي مصطفى عليوة، كما انضم إلينا شخص آخر اسمه محمد عبد الرحيم الشرقاوي، كما انضم أيضاً عصام الدين القمري»[1]، وهذا الكلام هو المتفق مع سير الأحداث وعدم بروز الظواهري على الساحة ولا حتى ورود ذكر له في كل الوقائع في ذلك الوقت المبكر، وأيضاً حين استقلت القيادة عن قيادة عبود الزمر اختير سيد إمام قائداً للتنظيم وليس الظواهري، بل وحتى لما ضغط التنظيم لعزل سيد إمام كان المرشح هو أبو عبيدة البنشيري، ولولا تنازله للظواهري لما أصبح أمير الجهاد[2]!

العجيب أن سيد إمام في حوار له مع صحيفة الحياة عن قصة تعرفه على الظواهري وانضمامه لتنظيم الجهاد يورد قصة مختلفة تماماً عن السائد في الدراسات عن جماعة الجهاد ورواية الظواهري نفسه! يقول سيد إمام: «تعرفت على أيمن الظواهري في ١٩٦٨ إذ كان زميل دراسة في كلية الطب، وكنا نتناقش مع زملاء آخرين في موضوعات إسلامية مختلفة، وكنتُ أعلم من زميل آخر أن أيمن مشترك في جماعة إسلامية حدثت بها

١- موسوعة العنف، مختار نوح، ص ٤٨٠.
٢- مقابلة هاني السباعي مع صحيفة الحياة.

انشقاقات، لكنه لم يفاتحني في الانضمام إلى الجماعة إلاّ عام ١٩٧٧، وقدّم نفسه لي على أنه مندوب من هذه الجماعة لدعوتي، فسألته: هل في جماعتهم علماء شريعة؟ فقال: نعم، فطلبتُ مقابلتهم لبحث بعض الأمور المتعلقة بذلك معهم، فظل يماطلني ويقابلني على فترات خاصة مع اختلاف أماكن العمل والسكن، وظل أمر انضمامي لجماعتهم معلقا على مقابلتي لمن معهم من المشايخ، ولم أكتشف إلا بعد قضية الجهاد ١٩٨١ أن أيمن كان مراوغا ويتعلل بالسرية، واكتشفت أنه كان هو أمير هذه المجموعة وأنه لم يكن معهم أحد من المشايخ، وأنه هو الذي تسبب في اعتقال أصحابه وشهد ضدهم»[١]، وهذا يطرح تساؤلات في مصداقية أخبار ومعلومات هذه القيادات من جهة، ومدى التزامهم بأخلاق الإسلام وتطبيق الشريعة إذا كان هذا سلوكهم مع بعضهم البعض عند الخلاف وستأتي بقية رواية سيد إمام بعد قليل.

وقد تعرف الظواهري في هذه السن المبكرة على فكر صالح سرية الذي يصفه الظواهري بأنه «كان متحدثاً جذاباً ومثقفاً على درجة واسعة من الاطلاع والمعرفة وكان حاصلاً على درجة الدكتوراه في التربية من جامعة عين شمس، كما كان متضلعاً في عدد من العلوم الشرعية ... وبمجرد استماعي له أدركت أن للكلام وقعاً آخر وأنه يحمل معاني أوسع في وجوب نصرة الإسلام وقررت أن أسعى للقاء هذا الزائر ولكن كل محاولاتي للقائه لم تفلح»[٢].

وبقي الظواهري ورفاقه في التنظيم يتدربون على السلاح ويعمّقون فكرهم المتطرف في سنوات السبعينات في القرن الماضي، وكان انضمام الملازم عصام القمري للتنظيم سنة ١٩٧٣ بداية اختراق الجيش[٣]، وبسبب انشقاق علوي مصطفى عنهم وتبعه عدد كبير وبسبب بدء محاكمات حادثة الكلية الفنية هرب إسماعيل طنطاوي لهولندا خشية القبض عليه مما شتت التنظيم[٤].

١- تجده على الرابط التالي: http://www.murajaat.com/dr_fadhel_01.php، ونقله عبد المنعم منيب في كتابه مراجعات الجهاديين، ص ١٤٣.
٢- أيمن الظواهري كتابه فرسان تحت راية النبي.
٣- الإسلام السياسي، محمد مورو، ص ١٨٥.
٤- التنظيم والتنظير، ص ٤٤. الإسلام السياسي، محمد مورو، ص ١٩٣.

التأسيس الثاني:

وبعد تجاوز أزمة محاكمة تنظيم صالح سرية أعاد ترتيب وبناء التنظيم من جديد كل من الظواهري وعصام القمري وسيد إمام وأمين الديمري[١]، وكعادة تنظيمات العنف فقد تكونت من شباب صغير في السن وغير مؤهل علمياً في الشريعة الإسلامية، فالظواهري وسيد طبيبان جراحان، والديمري صيدلي، والقمري ضابط عسكري! وكلهم في العشرينات من عمرهم آنذاك!

كانت قناعة هذه المجموعة أن الانقلاب العسكري من داخل الجيش هو السبيل الوحيد، ولذلك لم تشترك هذه المجموعة في ما تم من أحداث، سواء حادثة الفنية العسكرية أو محاولة يحيى هاشم تهريب مساجين حادثة الكلية الفنية، وركزت على فكرتها اختراق الجيش وتكوين تنظيم عسكري[٢].

ويبدو من أجل تنفيذ غايات التنظيم قام الظواهري بالسفر لأفغانستان مبكراً مرتين في عامي ٨٠-٨١ تحت غطاء مهام إغاثية قاربت مدتها سبعة أشهر، تحدث عنها الظواهري في كتابه «فرسان تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم» فقال: «باحتكاكي بساحة الجهاد الأفغاني تبيّن لي منذ عام ١٩٨٠ مدى ثراء هذه الساحة ومدى النفع الذي تقدمه للأمة المسلمة عامة، وللحركة الجهادية خاصة، وأدركت ضرورة الاستفادة من هذه الساحة»، ويضيف: «اتضحت لي حقائق في غاية الخطورة لا بد من تسجيلها أهمها أن الحركة الجهادية في حاجة إلى ساحة جهادية تكون لها بمثابة المحضن الذي تنمو فيه البذور النابتة وتكتسب فيها خبراتها العملية والقتالية والسياسية والتنظيمية»[٣]، وواضح هنا الرؤية المصلحية لحركته وليس لخدمة القضية الأفغانية.

١- التنظيم والتنظير، ص ٤٤، واعترافه في تحقيقات اغتيال السادات، انظر: موسوعة العنف، مختار نوح، ص ٤٨٠.
٢- مقابلة هاني السباعي مع صحيفة الحياة.
٣- نقلاً عن أيمن الظواهري كما عرفته، منتصر الزيات، ص٨١.

في هذه المرحلة نجح عصام القمري باستقطاب عدد من الضباط في الجيش للتنظيم ووضع خطط لعمل انقلاب عسكري، ولم تكن المجموعات الجهادية الأخرى تعرف عن ذلك، ولكن حين قَبض الأمن على بعض عناصره في مايو ١٩٨١ قبل مقتل السادات بخمسة شهور وحصل الأمن على حقيبة فيها وثائق التنظيم السرية فأصبح القمري والظواهري وسيد إمام مطلوبين للأمن ومطاردين[١].

الانضمام لتنظيم الجهاد الكبير:

أثناء مرحلة التخفي والمطاردة تواصلت هذه المجموعة مع مجموعة محمد عبد السلام فرج وقبلت الانضمام للتنظيم الكبير لكنها لم تشترك في عملية اغتيال السادات[٢]، وبقيت مجموعة الظواهري تؤمن بالانقلاب العسكري فقط كحل، واهتمت بتوفير الإمكانات كالمال والسلاح والمخابئ[٣]، ولذلك حين قابلوا عبود الزمر بعد اغتيال السادات لم يشجعوه على تنفيذ ثورة شعبية بل طرحوا عليه فكرة مساعدته في الهروب من مصر[٤]، ولذلك تمت تبرئة الظواهري من تهمة قتل السادات وإدانته بتهمة تخزين أسلحة لصالح القمري بعيادته وحكم عليه بالسجن لفترة قصيرة، وتبرئة سيد إمام غيابياً حيث كان تمكن من الفرار لخارج مصر، أما عصام فقد حكم عليه بـ ١٥ سنة بسبب تكوينه تنظيما عسكريا في الجيش!

بعد اغتيال السادات بأسبوعين قُبض على الظواهري وعندها حزم سيد إمام أمره وهرب للأردن ثم الإمارات ومنها إلى الباكستان سنة ١٩٨٣[٥]، وتحت التعذيب اعترف الظواهري على مكان عصام القمري فتم القبض عليه[٦].

١- دليل الحركات الإسلامية المصرية، عبد المنعم منيب، ص ٨٥. الإسلام السياسي، محمد مورو، ص ٢٧٨

٣- الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة، كمال حبيب، ٣٤.

٤- دليل الحركات الإسلامية المصرية، عبد المنعم منيب، ص ٩٠.

٥- المصدر السابق، ص ١٧٧، التنظيم والتنظير، عبد المنعم منيب، ص ٥٢.

٥- مقابلة مع إسماعيل سيد إمام بعنوان: مؤسس «الجهاد» بعيون ابنه، على الرابط: http://today.almasry-alyoum.com/article2.aspx?ArticleID=84250

٦- موسوعة العنف، مختار نوح، ص ٤٧٨.

في السجن توثقت العلاقة بين مجموعة الظواهري ومجموعة محمد فرج، وخاصة عبود الزمر، الذي أصبح القائد بعد إعدام محمد فرج والقمري نائبه، ولكن بقي لمجموعة الظواهري رابطها الخاص ضمن التنظيم الأكبر للجهاد الذي يضم مجموعة عبد السلام فرج ومجموعة سالم الرحال / كمال حبيب، ومجموعة الظواهري، ولما انفصلت الجماعة الإسلامية عن الجهاد في السجن عام ١٩٨٤ كان للظواهري دور في ذلك فقد كان أبرز المعارضين لتولي الشيخ عمر عبد الرحمن القيادة والتي أثارها أول مرة عصام القمري بعنوان ولاية الضرير[١].

سرعان ما تسببت مجموعة الظواهري بتفتت تنظيم الجهاد واستقلالها عن جماعة عبود الزمر التي قادها خارج السجن مجدي سالم وأحمد النجار وأحمد سلامة مبروك، حتى توج ذلك بمغادرة عبود الزمر تنظيم الجهاد لينضم للجماعة الإسلامية في [٢]١٩٩١، بينما قام كمال حبيب بمراجعة فردية مبكرة في السجن وتخلى عن أفكار العنف والتطرف وأكمل دراسته الجامعية في العلوم السياسية وأصبح من الشخصيات البارزة التي لها دور في نشر الوعي والمراجعات بين القيادات التاريخية[٣].

التأسيس الثالث:

عقب الإفراج عن الظواهري سنة ١٩٨٤ سافر إلى السعودية فترة ثم اتّجه إلى أفغانستان منتصف عام ١٩٨٦ حتى ١٩٩٠، وأعاد مع سيد إمام تشكيل التنظيم من جديد عام ١٩٨٦، واختير سيد إمام أميراً للتنظيم، لكنه كان شديد السرية حتى أن الناس كانت تظن أن أيمن الظواهري هو الأمير وأن أدبيات التنظيم المنشورة باسم عبد القادر عبد العزيز

٣- دليل الحركات الإسلامية المصرية، عبد المنعم منيب، ص ١٠٢. ومقابلة هاني السباعي مع صحيفة الحياة.

٤- دليل الحركات الإسلامية في العالم، مركز الأهرام، ص ١٣٧، ١٤٠، دليل الحركات الإسلامية المصرية، عبد المنعم منيب، ص ١٠٣، ١٧٨.

٥- الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة، ممدوح الشيخ، ص ٥٨.

هي من تأليف الظواهري، والذي ساعد على ذلك الظن رغبة سيد إمام بالسرية البالغة والانعزال تقليدا لسياسة بني العباس في إخفاء شخصية القائد، وكون الظواهري شخصية محروقة عند رجال الأمن[١]، وفي أفغانستان عام ١٩٨٨ تم إعادة توحيد مجموعة مجدي سالم ومجموعة الظواهري[٢].

بينما عصام القمري بقي مسجوناً حتى عام ١٩٨٨ حيث تمكن من الفرار من السجن لكن الأمن تمكن من العثور عليه واشتبك معه وقتله بعد أسبوع من هروبه[٣].

في أفغانستان هيمن فكر تنظيم الجهاد على الساحة بين الشباب العربي لعدة أسباب منها وصول سيد إمام مبكراً هناك ومن ثم أصبح أكبر شخصية علمية لهذا التيار وأصدر عدة دراسات أصبحت معتمدة لدى كل جماعات العنف والتطرف، ولكون الجهاد هو التنظيم الأول الذي تكون هناك وكان يملك رؤية وتصور واضح لتاريخه الطويل[٤].

بدأ سيد إمام في قيادة التنظيم من جديد، وضخّ فكره المتشدد والمتطرف بين أفراده، وأخذ بتجميع الأفراد والأنصار، والعمل على استقدامهم لأفغانستان للتثقيف والتدريب العسكري في معسكرات خاصة بهم، كان عبود الزمر يطلب من التنظيم تنفيذ عمليات مسلحة ضد النظام المصري تنافس عمليات الجماعة الإسلامية، لكن التنظيم كان يعتقد أن المهم هو استقطاب عسكريين يقومون بالمهمة ويكون هؤلاء الشباب رديفا جاهزا لمساعدتهم[٥]، وكان استمرار رفض القيادة لطلب الزمر قد دعاه للانتقال للجماعة الإسلامية سنة ١٩٩١ كما ذكرنا من قبل.

لكن بسبب قيام الجماعة الإسلامية نهاية سنة ١٩٩٠ بمحاولة اغتيال وزير الداخلية

١- دليل الحركات الإسلامية، مركز الأهرام، ص ١٣٩. ومقابلة هاني السباعي مع صحيفة الحياة.
٢- دليل الحركات الإسلامية المصرية، عبد المنعم منيب، ص ١٠٣.
٣- الإسلام السياسي، محمد مورو، ص ٢٧٩.
٤- القاعدة وأخواتها، كميل الطويل، ٤٦.
٥- المصدر السابق، ص ٦٠.

عبد الحليم موسى الذي تغيب عن خط سيره فقُتل بدلاً منه رئيس البرلمان المصري رفعت المحجوب، وبعد القبض على المنفذين تكشفت قصة تسلل شباب الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد لأفغانستان وتدربهم العسكري هناك، ومع توسع التحقيقات تم القبض على أكثر من ٨٠٠ من شباب جماعة الجهاد لم يكن يعلم عنهم الأمن المصري[١]، وتم تقديمهم للمحاكمة وعرفت القضية باسم قضية طلائع الفتح، وتسبب هذا بخلاف في تنظيم الجهاد انشق على إثره أحمد حسين العجوز وعدد من القادة وكونوا تنظيما مستقلا سموه «طلائع الفتح» على اسم القضية التي يحاكم عليها المعتقلون في مصر، معترضين على بقاء التنظيم بدون نشاط، واعتقال هذا العدد الكبير من دون أن تطلق رصاصة واحدة ولم يقبلوا بأن ذلك التزاما بإستراتيجية بعيدة المدى[٢].

وطالب الآخرون بعزل سيد إمام من القيادة برغم أن الظواهري هو الذي كان في الصورة غالباً، وفعلا قدّم سيد إمام استقالته سنة ١٩٩١ وتولى الظواهري الإمارة بعد تنازل أبي عبيدة له، وتسبب ذلك في انتقال الزمر للجماعة الإسلامية التي كانت تخوض معركة مع النظام المصري[٣].

لكن سيد إمام يقدم رواية مغايرة تماماً لذلك حيث يقول: «وصلتُ باكستان في ١٩٨٣، وحُكِمَ عليّ غيابياً بالبراءة عام ١٩٨٤ في قضيه الجهاد الكبرى، ولم يصل الظواهري إلى باكستان إلا عام ١٩٨٦. وقد كلمني في تكوين جماعة للجهاد في مصر من أجل تطبيق الشريعة، فرفضت وقلت له: الأمر في حاجة إلى دراسة شرعية مستفيضة وليس بالبساطة التي تتصورها، وكنت في هذه الفترة توسعت في دراستي الشرعية مستعيناً ببعض المشايخ الأفغان من أهل الحديث، فأصرّ الظواهري على أهمية استغلال الجهاد الأفغاني وأهمية إحضار شباب من مصر للمشاركة فيه، فقلت له: هذا شيء لا بأس

١- المصدر السابق، ص ١٣٩.

٣- مراجعات الجهاديين، عبد المنعم منيب، ص ١٦. ومقابلة هاني السباعي مع صحيفة الحياة، القاعدة وأخواتها، كميل الطويل، ص ١٧٤.

٤- دليل الحركات الإسلامية المصرية، ص ١٧٩.

به، ولكن لا دخل لي بهم لا إدارياً ولا في المعيشة، فطلب مني القيام بدور شرعي معهم فوافقت إذ كنت أقوم به مع غيرهم من الشباب العرب.

وشيئاً فشيئاً كثر عددهم ومشاكلهم، وبصفتي معلمهم الشرعي صارت المشاكل تأتيني بعدما يهرب الظواهري من حلّها على رغم اشتراطي عليه منذ البداية – التي لم يحضرها أحد إلا أنا وهو – ألاّ دخل لي بالإخوة ومشاكلهم، فطلبت عقد اجتماع لهم في ١٩٩١ وقلت لهم: لا تشغلوني بمشاكلكم وإلا فسأقطع صلتي بكم. فقال الظواهري: إن وجودك معنا رفَع عنا الحرج لأن الجماعة الإسلامية تقول إن معها عالماً هو الشيخ عمر عبد الرحمن وأنت كل الناس تشهد بعلمك، وفي الاجتماع نفسه قال الأخ مجدي كمال: تأكد يا دكتور أنك إذا قطعتَ صلتك بالإخوة فسينقسمون إلى جماعات.

ثم بعد عام في ١٩٩٢ طلب الإخوة الاجتماع بي وعرضوا مسألة قيامهم بعمليات قتالية في مصر كما تفعل الجماعة الإسلامية لأن الناس يعيّرونهم بذلك فقلت لهم: إننا قد جاهدنا في أفغانستان ودرّبنا الكثيرين ممن نعرف وممّن لا نعرف وعلّمناهم علوماً شرعية نافعة، بما لم يفعل أحد مثلنا، أما القتال في مصر فلن يأتي بمصلحة وفيه مفاسد جسيمة، وأما الجماعة الإسلامية فلن تصل إلاّ إلى طريق مسدود، ونصحتُ الإخوة ببذل مزيد من الجهد في شؤون الدعوة، فقال لي الأخ مجدي كمال: انتهى وقت الكلام وجاء وقت العمل، وهدّدتهم إن هم تكلموا في ذلك ثانية، وعقدت العزم على قطع صلتي بهم بعد تصفية أوضاعهم في باكستان، وكان ذلك في مطلع عام ١٩٩٣»[١]، وهذا التضارب في توصيف علاقتهم مع بعضهم البعض يدلّ على مدى الفساد الذي ينتشر في هذه التنظيمات ومدى عجزها وعدم كفاءتها لما تتصدى له من قيادة الأمة برغم جهلهم وتفرقهم وخلافاتهم وصراعاتهم!

العجيب أن الظواهري نفسه لم يستطع تحمل الغلو الذي ينشره الأمير أو المسؤول

١- تجده على الرابط التالي: http://www.murajaat.com/dr_fadhel_01.php، ونقله عبد المنعم منيب في كتابه مراجعات الجهاديين، ص ١٤٣.

الشرعي للتنظيم سيد إمام فقام بحذف فصول من كتاب «الجامع في طلب العلم الشريف» لما فيه من تشدد وغلو وطعن بالجماعات الأخرى، وهذا جعل سيد إمام يشن هجوما على الظواهري وهاجم جماعة الجهاد واعتبرها جماعة ضالة أكثر من الحكام![1] وهذا يعطينا مؤشرا على مدى سلامة فكر ومنهج هذه الجماعات التي يضلل بعضها البعض فلا تعرف المصيب منهم! وبرغم ذلك لا تزال كتب سيد إمام تعدّ عمدة للشباب المتطرف والمتهور في العالم!!

انفصال الأمير:

بعد استقالة الأمير أو انفصال سيد إمام اعتزل التنظيم وانشغل بكتاباته ورحل للسودان عام ١٩٩٣، وقطع علاقته بأسامة بن لادن في ١٩٩٤ لكونه لا يستمع إلا لنفسه! ثم رحل لليمن في نفس العام، وبعد عملية ٢٠٠١/٩/١١ تم اعتقاله في اليمن وبقي معتقلاً حتى سلّمه اليمن لمصر في ٢٠٠٤[2]، وبقي في السجن وأتم مراجعاته باسم وثيقة ترشيد العمل الجهادي، وأفرج عنه عقب ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١.

تكرار كارثة العنف والتطرف:

ومع تنفيذ الظواهري لعمليات عسكرية تحت ضغط أعضاء التنظيم[3] بعد سنة ١٩٩٣ ضد النظام المصري على غرار الجماعة الإسلامية إلا أن تنظيم الجهاد حرص على أن تكون عملياته ذات صبغة عسكرية أكثر احترافية من خلال اختيار نوعية الأهداف المستهدفة أو

١- التنظيم والتنظير، عبد المنعم منيب، ص ٥٤.
٢- الجماعات الجهادية المعاصرة، د. راشد الزهراني، ص ٢٠٩.
٣- القاعدة وأخواتها، كميل الطويل، ص ١٧٨.

طريقة التنفيذ (قنابل عبوات مفخخة وموقوتة وموجهة عن بعد وهجمات انتحارية)[1]، وأدى فشل بعض العمليات كعملية اغتيال وزير الداخلية حسن الألفي وعملية اغتيال رئيس الوزراء عاطف صدقي، وحملة الاعتقالات الواسعة للإعلان عن توقف عمليات الجهاد سنة ١٩٩٥ بمبرر الضعف وعدم الاستطاعة، «فالحصيلة التي تمت أسفرت عن اعتقال العديد من الشباب ومصادرة كثير من البيوت والشقق والأموال. وقُتل أيضاً العديد من القيادات الكبيرة مثل عادل عوض الذي كان من أحسن الشخصيات في جماعة الجهاد. فقررت جماعة الجهاد وقف العمليات. قالوا إن الله لا يكلّف نفساً إلا وسعها، والجهاد مناط القدرة، ونحن غير قادرين، فلن نستطيع. فانتظروا واجلسوا وتعلّموا. العملية صعبة ونحن نخسر كثيراً بتنفيذنا اليوم هذه العمليات. وهكذا أوقفت جماعة الجهاد عملياتها لعدم القدرة في العام ١٩٩٥»[2]، وهذه خبرة لا تصل إليها التنظيمات المتطرفة إلا بعد كوارث في الأرواح سواء من أفرادها أو المجتمع أو قوى الجيش، ولا تزال التنظيمات الجديدة لا تستفيد من تجارب وأخطاء من سبقها.

تطور علاقة الظواهري وابن لادن:

في أفغانستان التقى سيد إمام وأيمن الظواهري لاحقا بابن لادن، هما كانا يحملان فكرا جهادياً بينما ابن لادن يحمل فكرا أقرب لجماعة الإخوان والشيخ عبد الله عزام[3]، وقد حدث تنافر بينهما وبين الشيخ عزام أدى للقطيعة وانفصال بن لادن عن مكتب خدمات المجاهدين التابع لعزام وتأسيسه بيت الأنصار سنة ١٩٨٦، وتحول اسمه في ١٩٨٨ إلى القاعدة![4]

١- دليل الحركات الإسلامية في العالم، مركز الأهرام، ص ١٣٧.
٢- من مقابلة هاني السباعي مع صحيفة الحياة، والقاعدة وأخواتها، كميل الطويل، ص ١٨٥.
٣- مرحلة الجهاد في أفغانستان لم تدرس بشكل جيد بعد، فقد كانت محض لكثير من الأفكار والمجموعات التي تطورت بشكل سلبي، ومن الكتب المهمة في تفحص هذه المرحلة كتاب الأستاذ يوسف سمرين «ماذا قيل يوما في أفغانستان» وهو منشور على شبكة الإنترنت.
٤- القاعدة وأخواتها، كميل الطويل، ص ٤٨، ٢٩٥.

كانت رؤية التنظيم هي محاولة الاستفادة من إمكانيات قاعدة ابن لادن لصالح تنظيم الجهاد[١]، وبرغم أن الحلقة المحيطة بابن لادن أصبحت من قيادات الجهاد المصرية والتي بدأت تؤثر في أسامة بن لادن إلا أن علاقة الظواهري بابن لادن بقيت تنظيمياً منفصلة بل وفيها تباينات، فقد كتب الظواهري في أحد أعداد نشرة (كلمة حق): «جاد الشباب بأرواحهم وضنّ الأغنياء بأموالهم» في إشارة لابن لادن كما ينسب ذلك الزيّات لمقربين من الجهاد فترة عامي ٩٣,٩٥ [٢]، لكن في السودان حصل التقارب الذي مهّد لانضمام الظواهري للقاعدة لاحقاً.

الانتقال للسودان:

مع سوء أوضاع أفغانستان عقب انسحاب الروس ووقوع الصراع بين المجاهدين ودخول حركة طالبان وتشدد حكومة بناظير بوتو ضد المجاهدين العرب جاء عرض سوداني من حكومة البشير باستضافة الحركات الإسلامية في السودان والذي يعد موقعا استراتيجيا لابن لادن وجماعات متعددة مصرية وليبية وجزائرية، فبدأ انتقال القيادات بين عامي ١٩٩١ – ١٩٩٣، وتسارعت هذه الهجرة للسودان من اليمن خاصة، والتي كانت تحوي عددا من قيادات الجهاد خاصة بعد فشل اغتيال رئيس الوزراء عاطف صدقي سنة ١٩٩٣، حيث اكتشف الأمن وجود محطة لتنظيم الجهاد بصنعاء[٣].

في السودان توطدت العلاقة بين ابن لادن وتنظيم الجهاد وبقية الجماعات الأخرى، ولكن تنظيم الجهاد كان أكثرها نشاطاً، وقد وفر لهم ابن لادن مزرعة خاصة في شمال

١- دليل الحركات الإسلامية في العالم، مركز الأهرام، ص ١٤٣، الجماعات الجهادية المعاصرة وأبرز قياداتها الفكرية، د. راشد الزهراني، ص ٢٠٥.
٢- أيمن الظواهري كما عرفته، منتصر الزيات، ص ١٠١، القاعدة أخواتها، كميل الطويل، ص ٢٩٥.
٣- القاعدة وأخواتها، كميل الطويل، ص ١٣٤، ١٤٤، ١٧١.

السودان[1]، وهناك أصبح للتنظيم دولة داخل دولة السودان، فمِن هناك نظموا كثير من عملياتهم وشحنوا قوافل السلاح والمتفجرات لمصر، ولكن قيام التنظيم بقيادة الظواهري بقتل صبي ابن أحد أعضاء التنظيم بسبب عمالته للمخابرات المصرية أزعج السلطات السودانية فطلبت منهم مغادرة السودان فوراً في نهاية سنة ١٩٩٥، وكانت المخابرات المصرية قد استدرجت الصبي من خلال توريطه في فاحشة اللواط.

العودة لأفغانستان وذوبان تنظيم الجهاد في القاعدة:

تشتت أفراد التنظيم عقب خروجهم أو طردهم من السودان، عاد الظواهري وابن لادن لأفغانستان في سنة ١٩٩٦ وهناك تقارَب الظواهري أكثر مع ابن لادن لدرجة الانضمام «للجبهة الإسلامية العالمية» التي أسسها ابن لادن عام ١٩٩٨، ويلخص منتصر الزيات نهاية علاقة الظواهري بابن لادن بالتأثير المزدوج فـ «الظواهري استطاع أن يُحدث تحولات جذرية وإستراتيجية في فكر أسامة بن لادن بعدما التقيا معاً في أفغانستان منتصف عام ٨٦ بسبب العلاقة الإنسانية بينهما التي وصلت إلى الصداقة، واستطاع الظواهري أن يقنع ابن لادن بالفكر الجهادي الانقلابي، وحوّله من داعية سلفي يهتم بأمور الإغاثة إلى مقاتل جهادي معني بأحكام الجهاد ضد الطواغيت وضرورة إجلاء القوات الأمريكية عن بلاد العرب، وزرع الظواهري حول ابن لادن نخبة مِن أخلص خلصائه ممّن صاروا لاحقاً أبرز العناصر المعاونة لابن لادن وقادة تنظيم القاعدة، وهؤلاء كانوا يدينون بالولاء للظواهري شخصياً –وتاريخياً– مثل علي الرشيدي (أبو عبيدة البنشيري) وأبو حفص (محمد عاطف)، ... لكن ينبغي أن نقرر في الوقت نفسه أن تأثير الظواهري في فكر ابن لادن وخطته الحركية لم يكن أحادي الجانب وإنما الإنصاف يلزمنا أن نقرر أن أسامة بن لادن أثّر أيضاً في فكر ومنهج الظواهري –وجماعة الجهاد– حين وجّه النصح بضرورة

١– المصدر السابق، ص ١٣٥، ١٤٥، ١٥٠.

وقف العمليات المسلحة داخل مصر وأن يتحالف معه ضد عدو مشترك هو أمريكا وإسرائيل، وكان هذا بعد عودتهما إلى أفغانستان مع دخول طالبان كابول»[1].

هذا الانضمام المنفرد أربك قيادة تنظيم الجهاد التي لم تُستشر أغلبها في ذلك[2]، فانقسمت الجماعة: قسم ذهب مع الظواهري في تحالفه مع ابن لادن، وقسم رفض ذلك، فتنازل الظواهري عن إمارة التنظيم في منتصف ١٩٩٩، ولكنهم فشلوا في اختيار أمير بديل عن الظواهري وعاد بعضهم للتعاون معه وتلاشى تنظيم الجهاد وذاب في القاعدة، وبقي أفراد في السجون وفي المهاجر ملتزمون بوقف العنف[3].

نتائج فكر تنظيم الجهاد:

كان سيد إمام أبرز منظري تنظيم الجهاد، ورغم انفصاله عن التنظيم وتضليله له، إلا أن كتبه بقيت هي المعتمدة في التنظيم وبقية التنظيمات كالقاعدة وداعش من بعدها، ورغم أن سيد قام ببعض المراجعات لكنه بقي يحمل فكراً متطرفاً غالياً.

وبرغم كل ذلك فقد أدان الكثيرَ مما تقوم به جماعات العنف كتنظيم الجهاد وغيره من التنظيمات، يقول ابنه إسماعيل: «والدي هو الذي قطع صلته بجماعة الجهاد عام ١٩٩٣ عندما أصروا على ضرورة المواجهة مع الدولة، كما أنه وخلال المجازر الدامية والبشعة التي ارتكبت في الجزائر في أواخر التسعينيات أبلغ والدي الإخوة أن يوصلوا رسالة منه إلى تلك الجماعات، عندما علم أنهم يستخدمون كتبه في التبرير للقتل والإجرام بحق الآمنين المسالمين، بأنه بريء من أعمالهم وأفعالهم، وأعتقد أنه ذكر ذلك في بيانه الذي صدر في مايو الماضي ونشرته كاملاً صحيفة الحياة يوم ٦ مايو ٢٠٠٧، عندما أشار إلى أن كتبه

١- الظواهرى كما عرفته، منتصر الزيات، ص ١٠٤، القاعدة وأخواتها، كميل الطويل، ص ٢٨٥، ٢٩٠.
٢- القاعدة وأخواتها، كميل الطويل، ص ٢٩٤.
٣- دليل الحركات الإسلامية في العالم، مركز الأهرام، ص ١٤٢.

استخدمت مرجعاً لأعمال العنف رغم أنها تخلو من التحريض على شيء من ذلك»[1]، ومع ذلك فهذا لا يعفيه من المسؤولية.

ويقول سيد إمام في مقدمة وثيقته «ترشيد العمل الجهادي»: «ونظراً إلى اتجاه كثير من الشباب هذه الأيام إلى الجهاد في سبيل الله وملاحظتنا لوقوعهم في بعض الأخطاء الشرعية فإننا كتبنا هذه النصيحة ترشيداً للعمل الجهادي وتنقيةً له من هذه الأخطاء»، فيرد عليه الظواهري: «الهدف من هذه الوثيقة هو كف جهاد المسلمين»[2]، وهكذا هو حال قادة (الجهاد) يمدحون بعضهم في البداية ثم ينظرون للجهاد ثم يتبرؤون من نتائج أفكارهم، ويتهم بعضهم بعضا بالعمالة والخيانة!!

وقد رد هاني السباعي على حوارٍ لسيد إمام مع صحيفة الحياة يكشف فيها تناقض سيد إمام علميا وعمليا، وهو أمر سائد عن قادة التطرف والعنف، لكنه لا يظهر إلا بعد الخلاف والصدام وليس من أجل اتباع الحق!

يقول السباعي عن موقف سيد إمام من وجوب إذن الوالدين في الجهاد: «يقول د. فضل في حواره في «الحياة» – الحلقة الثانية: «لا يجوز الخروج إلى الجهاد إلا بإذن الوالدين وإذن الدائن، لأن بر الوالدين فرض عين ولهما حق في ابنهما فلا يخرج إلى الجهاد إلا بإذنهما».

لكن إذا رجعنا إلى كتابه «العمدة» نراه يقول: «قلت: هذا إذا كان الجهاد فرض كفاية، فإذا تعين الجهاد تسقط أربعة شروط من هذه التسعة وهي: الحرية والذكورية وإذن الوالدين وإذن الدائن، وتكون شروط وجوب الجهاد العيني خمسة فقط وهي: الإسلام والبلوغ والعقل والسلامة من الضرر ووجود النفقة، ويسقط كذلك شرط وجود

١- مؤسس «الجهاد» بعيون ابنه «٣ – ٣»، http://today.almasryalyoum.com/article2.aspx-?ArticleID=84441

٢- التنظيم والتنظير، عبد المنعم منيب، ص ١٣٧، ١٦٨.

النفقة وتصير الشروط أربعة فقط إذا دهم العدو بلاد المسلمين ولم يكن هناك خروج إليه، وهذا أحد مواضع الجهاد العيني».

وقوله في حوار «الحياة» مخالف لرأي جمهور العلماء الذين قالوا إن اشتراط إذن الوالدين في الجهاد الكفائي وليس في جهاد الدفع! يعني: هل يجب أن تستأذن والديك إذا أردت الصلاة؟ بالطبع لا، وإن رفض أبوك ذلك لأن الصلاة فرض عين. وهكذا الجهاد إذا تعين، أي صار فرض عين!

ولعل سائلاً يسأل سيد إمام: عندما كنتَ أميراً لجماعة الجهاد هل كان الشباب الذين يذهبون إلى أفغانستان يستأذنون آباءهم وأمهاتهم أم لا؟ الحقيقة المرّة أن معظم هؤلاء الشباب المصريين، إن لم يكن كلّهم، لم يستأذنوا ذويهم، لأنهم يعلمون أن أهلهم سيرفضون ذهابهم إلى أفغانستان! وبعض هؤلاء الشباب استشهد في معارك جلال آباد وخوست وقندهار، فهل أخطأوا وخالفوا الشرع لأنهم لم يستأذنوا آباءهم، أم أنهم شهداء أتقياء بررة؟ لأن الدكتور فضل اشترط إذن الوالدين في جهاد الدفع! فإذا قال الدكتور فضل إن الجهاد في أفغانستان كان جهاداً كفائياً فجمهور العلماء متفقون على اشتراط إذن الوالدين! وفي هذه الحالة يعتبر الدكتور سيد إمام مغرراً بالشباب عندما كان أميراً وحرّضهم على الذهاب إلى أفغانستان من دون إذن ذويهم! وأما إذا قال إن الجهاد في أفغانستان عندما كان أميراً لجماعة الجهاد كان جهاداً عينياً، أي فرض عين! فقد وقع أيضاً في خطأ جسيم، لأنه الآن اشترط إذن الوالدين وهو ما لم يقل به جمهور العلماء؟! إذاً فدم هؤلاء الشباب مرهون في عنقه لأنه غرّر بهم، ومن حق ذويهم أن يحاكِموه على تغريره بأبنائهم!»[1]

هذا هو حال أهم شخصية علمية في تيار العنف والتطرف، والتي حقيقتها كما يقول

١- على الرابط التالي: http://islamists2day-a.blogspot.com/2007/12/blog-post_8756.html

د. راشد الزهراني: «واسع الاطلاع لديه معلومات وفيرة لكنه يفتقد للتأصيل العلمي... وقد ظهر لي أحد أسباب الخلل العلمي في شخصيته وهو أنه حاول أن يتفقه في كتب السلف بفهمه الخاص، دون التلقي عن العلماء والرجوع إليهم»[1].

أما تقييم سيد إمام لابن لادن فيجمله بقوله: «عام ١٩٩٠ لاحظ بعض مَن بايع بن لادن من ذوي الخبرة في العمل الإسلامي أن بن لادن يغير أهدافه وخططه سريعاً ... فطالبه بعض أتباعه أن يكون للقاعدة منهج (دستور) يحدد أسس قيامها وأهدافها، والتي بناءً عليها يأخذ بن لادن البيعة من الشباب، فرفض بن لادن ... وطَرد مَن طالبه بمنهج... فإنني أقول ليس للقاعدة منهج ولا فكر ولا منظّر ولا مفتٍ إلا ما يراه بن لادن برأيه الشخصي و(من اعترض تم طرده)»[2]، هذه هي رؤية القيادات لبعضها البعض، فإن كانوا صادقين في ذلك فلا يصلحون لقيادة الجهاد ولا الأمة، وإن كانوا كاذبين وأصحاب أهواء فالحال أدهى وأمرّ.

١- الجماعات الجهادية المعاصرة، د. راشد الزهراني، ص ١٩٩.
٢- مراجعات الجهاديين، عبد المنعم منيب، ص ١٥٢.

7

تنظيم الشوقيين وتنظيم الناجين من النار

حلمي هاشم

٧- تنظيم الشوقيين وتنظيم الناجين من النار

هوامش على تاريخ التطرف والعنف

من عادة تنظيمات العنف والتطرف والغلو الانقسام والتشرذم منذ ظهور الخوارج الأوّلين في مطلع الإسلام، وزيادة الغلو مع كل انشقاق وتشرذم، وأن اللاحق -وهو أكثر جهلاً- يصبح أكثر عنفاً!

ولم تكن الساحة المصرية بمنأى عن ذلك، فقد ظهرت تنظيمات العنف بشكل متشرذم في الأصل، ثم تجمعت قبيل مقتل السادات ثم عادت للانشطار بسبب قضية ولاية الضرير والأسير، وبعدها حدثت عدة تشرذمات هنا وهناك، لكن أبرزها كان: تنظيم الشوقيين وتنظيم «الناجون من النار».

تنظيم الشوقيين[1]:

ينسب لمؤسسه شوقي الشيخ، وهو مهندس مدني، بدأ انحرافه في مسار الغلو والتطرف على يد طارق الزمر، فبعد أن كان من تلاميذ الشيخ يوسف البدري أيام دراسته للهندسة في سبعينيات القرن المنصرم، تعرّف على طارق الزمر، الذي ضمّه لتنظيم الجهاد، ومن هنا بدأت الكارثة.

ثم سُجن شوقي في سبتمبر ١٩٨١ عقب اغتيال السادات لعدة شهور ثم أفرج عنه، ولكنه بقي منتميا للتنظيم، ولما خرج من السجن ذهب يبحث عن بقاياه في منطقة الهرم حيث تعرف على الزمر أول مرة، لكنه لم يوفق بالعثور على بقايا للتنظيم!

١- المرجع الرئيس عن الشوقيين هو دليل الحركات الإسلامية المصرية، عبد المنعم منيب، ص ١٦١.

فلم يستسلم شوقي وانضم في سنة ١٩٨٦ لتنظيم آخر يحمل نفس التوجّه، لكن سرعان ما انكشف هذا التنظيم وألقي القبض مجدداً على شوقي وعاد لسجن طرة!

هناك في السجن –وهو البيئة المثالية لنمو التطرف والغلو وتمدّده– التقى ببعض قادة تيار التوقف والتبين[١] ودخل معهم في نقاشات متعددة أفضت به إلى اعتناق رؤية «التوقف والتبين» لكنه زاد عليها أن لا يتوقف ولا يتبين بل يحكم بكفر كل من يخالفه، وهذه طبيعة الغلو أنها تتزايد وتتعاظم مع الزمن، خاصة مع وجود عامل السجن والتعذيب من السلطة، والجهل وقلة العلم الشرعي لدى الأفراد فإن النتيجة دوما هي تشكل أنواع جديدة أكثر تطرفا في التكفير وعنفاً في القتل!!

تكوّنت لشوقي الشيخ خبرة تنظيمية اكتسبها من تنظيم الجهاد سابقاً مكّنته من تجنيد حوالي ألف شاب من قرى منطقته بمركز أبشواي بمحافظة الفيوم، وقد جمع شوقي في فكرِه وتنظيمه الجديد بين تكفير المخالفين له بتأثير تيار التوقف والتبين، وبين حمل السلاح ضد الدولة الكافرة بتأثير فكر الجهاد القديم، ولذلك ورّط نفسه وأتباعه في صراعات دموية مع السلطات الرسمية بدأت بقتل شوقي لخفير نظامي وسلبه سلاحه، وأسفرت في النهاية عن قتل شوقي شخصياً عام ١٩٩٠.

وفتح مقتله المزيد من دوامة العنف لدى أتباعه خاصة أن بعض قادة جماعة الجهاد رأوا في ذلك فرصة لإضعاف النظام عبر صراع دموي مع الشوقيين، فأمّدهم بعض قادة الجهاد مثل نزيه راشد بالقنابل اليدوية مما ساهم في إطالة أمد صراع الشوقيين مع الدولة من سنة ١٩٩٠ إلى سنة ١٩٩٤م! وتركزت عمليات الشوقيين في (الجهاد) على سرقة محلات الذهب التي يملكها نصارى ثم بيعها لتجار نصارى آخرين والعيش من مال هذه الغنائم!

١– فكرة التوقف في الحكم على الشخص وتبيّن إسلامه ومعتقداته بدأت مع مجموعة القطبيين في السجون المصرية، وكانت قنطرة لشكري مصطفى لتبني فكر التكفير العام للناس، ثم اشتهر بها عبد المجيد الشاذلي وأصبح منظرها الأول. انظر: ثورة قلم: وقفة مع التيارات الصدامية، أحمد الشحات، الأمل للطبع والنشر، ص ١٣٩، دليل الحركات الإسلامية المصرية، عبد المنعم منيب، ص ١٥٧.

وكم من أرواح سلبت في حروب الوكالة هذه وغيرها بين الشباب والجيش والأمن ولم يستفد منها إلا الأعداء!

تمكنت السلطة المصرية من القبض على قادة الشوقيين وسجنهم فانطفأت نارهم، وبقي الحال على هذا حتى فاز الإخوان المسلمون بـ ٢٠٪ من مقاعد برلمان ٢٠٠٦ فأطلق سراحهم مما فسر بأنه تلاعب من السلطة بورقة الغلو والتطرف ضد فوز الإخوان، وكم جرّت مثل هذه السياسات البغيضة والرعناء من كوارث على أمتنا –لليوم– ولعل كوارث داعش من آخرها.

ويبدو أن الشوقيين لزموا الهدوء وتركوا الصدام مع الدولة منذ الإفراج عنهم، لكن في شهر إبريل ٢٠١٥ تحركت وزارة الأوقاف المصرية لتنزع منهم عدة مساجد يسيطرون عليها في منطقتهم أبشواي[١].

يتداول كلام عن علاقة الشوقيين بجماعات العنف بسيناء، خلاصته أنه حين تم قتل شوقي فرّ عدد من أتباعه إلى سيناء وكوّنوا هناك جماعة موسّعة استقطبت عناصر من تنظيمات أخرى، وأنه عقب ثورة يناير ٢٠١١ هرب بعض مساجين الشوقيين من السجون لسيناء[٢].

على هامش الشوقيين[٣]:

بعد إزاحة شوقي من المشهد برزت شخصية جديدة تسير على نهج شوقي وإن لم

١- اليوم السابع، http://cutt.us/DyHx

٢- دماء على رمال سيناء، القصة الكاملة للتنظيمات الجهادية الجديدة في مصر، ماهر فرغلي وصلاح الدين حسن، ص ٧١، ٧٨.

٣- بين فقهاء القاعدة وفقهاء داعش، حلمي هاشم نموذجا، ضياء يوسف العظمة، المكتب العربي للمعارف، دليل الحركات الإسلامية المصرية، عبد المنعم منيب، ص ١٦٥.

تلتقِ به، وهو حلمي هاشم، وهو رائد شرطة سابق في تنظيم الجهاد، تم تجنيده للتنظيم بواسطة المقدم عبد الرحمن شحاته، ولعله من مجموعة عصام القمري، ودور العسكريين في تنظيمات الغلو والتطرف –قديماً وحديثاً– بحاجة لدراسة عميقة، فكثير من إجرام داعش وإرهابه قام به قيادات عسكرية ذات جذور بعثية!!

وعلى غرار شوقي الشيخ في السجن التقى حلمي هاشم بمجموعة من سوهاج تعتنق أفكار شوقي رغم عدم صلتها المباشرة به! فاعتنق حلمي هذه الأفكار، ولما خرج من السجن أنشأ مكتبة لبيع الكتب وألّف هو ١٠ كتيبات تحت اسم شاكر نعمة الله، تشرح وتبين فكر شوقي فانتشرت كثيرا في تسعينيات القرن الماضي، وبذلك أعاد إحياء فكر شوقي ونشره لأن الأخير لم يترك خلفه منهجا مكتوبا.

وقد فاوض حلمي الأجهزة الأمنية بمنحه حرية الحركة والنشاط على أن ينبذ حمل السلاح ويعارض من يدعو لذلك من الشوقيين، وفعلا كانت السلطات تفرج عن أي شخص يعتقل ويتضح أنه مؤيد لحلمي هاشم، وبقي الحال على ذلك حتى عام ١٩٩٨، حيث كشف عن امتلاك عدد من أتباعه كميات من الأسلحة المتطورة، فاعتقل حلمي، لكن تم الإفراج عنه في ٢٠٠٨.

ويبدو أن حلمي استغل الفوضى بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ للتحرك والنشاط، ولذلك تم القبض عليه وتقديمه للمحاكمة في ٢٠١٥ بتهمة تكوين خلية إرهابية جديدة[١]، وصدر الحكم عليه بالسجن ٥ سنوات[٢]، وليس صحيحاً أنه سافر للعراق وسوريا والتحق بداعش، ولكن يبدو أن بعض كتبِه معتمدة عند داعش ويروّج لها كثير من منظري الغلو والتطرف ويوصون شبابهم بها.

١- موقع الأسبوع، http://cutt.us/m9xC8
٢- موقع مصراوي، http://cutt.us/ykobB

تنظيم «الناجون من النار»:

مرة أخرى يبرز في مسيرة وحكاية الغلو والتطرف في مصر هامش جديد يكون أكثر غلوا وتطرفا في الأفكار وأكثر عنفاً في الإرهاب، حيث التقى في منتصف الثمانينيات من القرن الماضي الطبيب مجدي الصفتي، عضو تنظيم الجهاد[١] في السبعينيات بأحد منظري فكر التوقف والتبين التكفيري وهو مصطفى الخضيري[٢]، والذي يعد من رموز المجموعة القطبية التي ساهمت في بروز عدة جماعات إرهابية كمجموعة مصطفى شكري وشوقي الشيخ، والآن مجموعة مجدي الصفتي أو تنظيم «الناجون من النار».

هذا الالتقاء المتكرر لطالب الطب بالخضيري تسبب في انتقال الصفتي من فكر الجهاد الذي يكفّر الحكام إلى فكر التوقف والتبين الذي يكفّر عموم الناس ولا يعذرهم بالجهل، ولكنه بقي على منهج تنظيم الجهاد باعتماد العمل العسكري للتغيير والعمل، وقد كان تعيير الجهاديين للقطبيين وأعضاء «التوقف والتبين» بأنهم يقتصرون على الكلام دون فعل أو جهد حقيقي على أرض الواقع لدفع مجدي الصفتي لإثبات خطأ هذا التعيير، فقام بتشكيل تنظيم عسكري ونفذ عدة عمليات ضخمة.

كانت الخطوة الأولى للصفتي هي تأسيس تنظيم خاص به في الجيش بعد بدئه خدمته الإلزامية عقب تخرجه من كلية الطب وسماه «تنظيم الفرقة الناجية» ولكن الإسم الإعلامي الذي راج هو «الناجون من النار» وهما يحملان نفس المعنى، وكان غالب أعضائه من أعضاء سابقين بتنظيم الجهاد!![٣].

تأسس التنظيم في سنة ١٩٨٣ واستكمل بناؤه في ١٩٨٦ فاستقطب الكوادر ودرّبهم

١- دليل الحركات الإسلامية المصرية، عبد المنعم منيب، ص ١٥٨.

٢- مقال «الصفتي.. الرجل الذي زرع التكفير في سيناء»، ماهر فرغلي، موقع البوابة.

٣- مقال «الصفتي».. الرجل الذي زرع التكفير في سيناء»، ماهر فرغلي، موقع البوابة، دماء على رمال سيناء، القصة الكاملة للتنظيمات الجهادية الجديدة في مصر، ماهر فرغلي وصلاح الدين حسن، ص ٢٣١.

على صنع القنابل[١]، ثم قام بثلاث عمليات إرهابية استهدفت اغتيال اللواء حسن أبو باشا في مايو ١٩٨٧، لكنه نجا مع إصابته إصابة خطيرة، وكانت العملية الثانية في يونيو ١٩٨٧ بمحاولة اغتيال مكرم محمد أحمد رئيس تحرير مجلة المصور، والثالثة في أغسطس ١٩٨٧ ضد وزير الداخلية الأسبق اللواء النبوي إسماعيل، لكن مكرم والنبوي لم يقتلا ولم يصابا في العملية[٢].

تسببت هذه العمليات في حملة اعتقالات وتعذيب لكثير من كوادر الجماعة الإسلامية لأن السلطات لم تكن تعلم عن وجود هذا التنظيم[٣]، لكن تمكنت قوات الأمن من تتبع منفذي العمليات والقبض على عدد من أعضاء التنظيم وقتل بعض المنفذين، وعندها فهموا وجود تنظيم جديد، إلا أن مجدي الصفتي تمكّن من الفرار من مصر إلى اليمن، وعاد لمصر بعد ٦ سنوات وتم رصد مكالمة له اعتقل على إثرها في سنة ١٩٩٣ وحكم عليه بـ ٢٥ عاما سجنا مع بقية رفاقه، في ثورة ٢٥ يناير هرب من المستشفى حيث كان يعالج، ثم قبض عليه في ٢٠١٥ ومات في [٤]٢٠٢٠.

في السجن تراجع أغلب رفاق مجدي عن فكر التوقف والتبين واستمروا على فكر الجهاد[٥]، بينما بقي مجدي على فكره المتطرف، وقد عوض عن خسارته لتأييد رفاقه له بنشر فكره بين شباب سيناء، إذ «بخطأ فادح، خشي وزير الداخلية الأسبق حبيب العادلي اعتقال شباب سيناء المتهمين في حادثي طابا وشرم الشيخ في عامي ٢٠٠٤ و٢٠٠٥، مع مسجوني الإخوان، أو مسجوني الجماعة الإسلامية، فوضعهم في زنازين التكفير مع مجدي الصفتي، الذي نقل لهم فكر التوقف والتبين حرفيًا، وخرج ما لا يقل عن ٤٠٠ منهم

١- دماء على رمال سيناء، القصة الكاملة للتنظيمات الجهادية الجديدة في مصر، ماهر فرغلي وصلاح الدين حسن، ص ٢٣٢.
٢- المصدر السابق، دليل الحركات الإسلامية المصرية، ص ١٥٩.
٣- الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة، ممدوح الشيخ، ص ٥٥.
٤- دليل الحركات الإسلامية المصرية، ص ١٦٠، ومقال: الصفتي الرجل الذي زرع التكفير في سيناء على شبكة الإنترنت.
٥- دليل الحركات الإسلامية المصرية، ص ١٦٠.

محملين بهذا الفكر، لينشئوا فيما بعد أكثر من ١٩ جماعة سيناوية، منها أنصار الإسلام، وأنصار الدين، وبيت المقدس، وجند الله، وجند الإسلام... إلخ»، وقامت جماعة بيت المقدس بمبايعة (داعش) وبدلت اسمها لـ «ولاية سيناء»[١]، هذا السلوك الأمني المتكرر بخلط بعض التكفيريين بسجناء عاديين من الصعب اعتباره غباء مستحكم، وغالبا هو سياسة مقصودة نعم هي سياسة غبية ومدمرة لكنها ليست اعتباطية، وقريب من ذلك ما فعله الكيان الصهيوني بإبعاد مئات من قادة حماس والجهاد في الضفة وغزة سنة ١٩٩٣ لمرج الزهور في جنوب لبنان، وكان من نتائج ذلك إنشاء صلة مباشرة بين قادة حماس والجهاد في فلسطين مع حزب الله الشيعي اللبناني وكيل إيران، واليوم بعد ربع قرن نشاهد عيانا إلى أي مدى توثقت العلاقات الحمساوية الإيرانية، فهل كان هذا غباء يهودي أو هو الخبث والكيد الكبار الذي يخدع به أغبياء وحمقى حماس وأنصارهم؟

بقي مجدي ورفاقه في السجن حتى قامت ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، فهرب ضمن من هرب من السجناء، ولكن تم إعادة القبض عليه لاحقاً[٢]، ويبدو أنه في مرحلة الثورة استعاد التنظيم بعض نشاطه في منطقة القناطر الخيرية، ويبدو أن بعض الأعضاء الذين تم الإفراج عنهم التحقوا بجماعتهم في سيناء[٣]، ولذلك فإن «الناجون من النار» لم ينتهوا، فبعضهم في سيناء وبعضهم في محافظات الدلتا لأن الامتداد واحد[٤].

ولا يزال فكر التوقف والتبين موجود في مصر لكنه لا يتبنى العمل المسلح كما كان حاله قبل «الناجون من النار» ويقدر عددهم في مصر بين ١٠٠٠-٢٠٠٠ شخص[٥].

١- مقال «الصفتي».. الرجل الذي زرع التكفير في سيناء»، ماهر فرغلي، موقع البوابة.

٢- الداخلية توجّه ضربة للجماعات المتطرفة ضبطت زعيم تنظيم «الناجون من النار»، محمود عبد الراضي، اليوم السابع.

٣- مقال «الصفتي».. الرجل الذي زرع التكفير في سيناء»، ماهر فرغلي، موقع البوابة.

٤- دماء على رمال سيناء، القصة الكاملة للتنظيمات الجهادية الجديدة في مصر، ماهر فرغلي وصلاح الدين حسن، ص ٢٣٤.

٥- دليل الحركات الإسلامية المصرية، ص ١٦٠.

نظرة تحليلية لواقع تنظيمات العنف وسماتها وأخطاؤها وتكرارها في التجارب اللاحقة في مناطق شتى من العالم

نظرة تحليلية لواقع تنظيمات العنف وسماتها وأخطاؤها وتكرارها في التجارب اللاحقة في مناطق شتى من العالم

هذا الفصل خلاصة للدروس والنتائج المطلوب استيعابها من وقائع جماعات وتنظيمات الغلو والتطرف والإرهاب التي تناولناها من الواقع المصري، والتي تكاد تنطبق وتكرر في غالب الجماعات والتنظيمات والعمليات المشابهة لها والتي وقعت بعدها في بقاع شتى من العالم الإسلامي وأفرزت نفس النتائج الكارثية والمدمرة[1].

والغاية من هذا الفصل هي المساهمة في بناء جدار الوعي المطلوب لدى الجيل الصاعد حتى يتجنب هذه الفخاخ والأخطاء والكوارث التي تهدر الطاقات وتهدم الإنجازات وتعيق مسيرة نهضة الأمة وتخدم العدو وتؤخر تحقق قدوم عصر الإسلام الزاهر.

وسوف أربط بين هذه الدروس في التجربة المصرية التي استعرضناها بمثيلها في التجارب الأخرى خارج مصر، حتى يكون الوعي شاملاً وعامًا ونرسخ مبدأ الاستفادة من دروس التاريخ والتجارب السابقة وضرورة المراكمة على الخبرات المكتسبة ومواصلة طريق الدعوة والتربية والبناء من حيث وصلنا وليس العودة لمربع البداية أو ما تحت الصفر كل مدة بسبب حماسة جاهلة وشجاعة متهورة وإقدام في غير محله أو غفلة عن فخاخ الأعداء ومخططاتهم ومؤامراتهم.

١ – من أراد معرفة كارثية أثر هذه الجماعات والتنظيمات على الواقع الإسلامي فليطالع كتاب «محاكمة أفكار الغلاة في ضوء أربعين عاما من الفشل»، سعيد بن حازم السويدي، مركز ثبات للبحوث والدراسات.

أولا: الظلم والطغيان والعداء للدين من السلطات الحاكمة أو قوى الاحتلال فضلا عن الفساد الإداري والسياسي والاقتصادي هي وقود تولد وانتشار ظاهرة الغلو والتطرف والإرهاب.

وغالباً ما يكون ذلك نتيجة سياسة مقصودة ومدروسة، والغاية منها إدخال البلاد والعباد في دوامة من الخوف والقلق للتغطية على الفساد الجاري أو الاحتلال القائم، وخلق حالة من الهلع في المجتمع بحثًا عن الأمن والاطمئنان على حساب تردي الأوضاع المعيشية وحالة القمع وانعدام المشاركة والحرية السياسية.

ومن جهة أخرى تنتج هذه السياسات الوحشية والعدوانية بؤرا جاذبة للمقهورين يسهل توجيهها لضرب القوى الإصلاحية الدينية والسياسية والاجتماعية التي تشكل تهديدا للمحتل أو النظام الفاسد، وبذلك يستمر المحتل والفاسد في سياستهما الخبيثة تحت ستار محاربة الغلو والتطرف والإرهاب!

ومن أمثلة ذلك من واقع التجربة المصرية ما قام به جمال عبد الناصر وزبانيته في السجون ضد خصومه مما أنتج فكر الغلو والتطرف والتكفير وفرخ تنظيمات العنف، فتنظيم الجهاد الذي تأسس على يد نبيل برعي كان ردة فعل على تنكيل عبد الناصر بالإخوان المسلمين وبقية الدعاة والجمعيات الإسلامية، ونتج عن طغيان عبد الناصر تأسس فكر التكفير الغالي في السجون، ومنه انطلق للخارج ثم تخطى مصر للعالم، وقد مر ذلك بعدة مراحل وطفرات بدأت بكتابات غاضبة غير منضبطة من سيد قطب، ثم تم تأويلها أو تطويرها عدة تأويلات وتطويرات يختلف فيها محبي سيد قطب، وهناك من اشتط في أفكار سيد قطب بعيدا فأنتج فكراً غالياً جديداً[1].

١ – يحاول البعض بكل طريقة نفي مسؤولية سيد قطب عن انتشار فكر الغلو والتكفير والعنف وذلك ردا على التجني الزائد عن العدل من تيار المداخلة على سيد قطب، والصواب تخطئة سيد قطب وبيان مسوؤليته عن ذلك مع رجائنا أن تشمله رحمة الله عز وجل وأن يكون مغفورا له لظني فيه أنه كان يريد الخير وكان يرجع عن خطئه إذا تبين له كما فعل بتنقيح بعض كتبه.

وقد أدرك العقلاء في جماعة الإخوان خطورة أفكار سيد قطب مبكرا، يقول د. عبد الله أبو عزة والذي كان بمثابة منسق للتنظيم الدولي لجماعة الإخوان عن هذه النزعة الغالية في كلام سيد قطب: «كنت قد تصديت لهذه الأفكار

وتكرر هذا الأمر في الجزائر وليبيا وسوريا والعراق، فقد صُب على السجناء صنوف بشعة من التعذيب والظلم لا يكاد يستوعبها عقل سجلت تفاصيل كثير منها مذكرات السجناء وبعض الروايات، وكان من أغراض ذلك إدامة جماعات العنف والغلو والتكفير لأنها تقدم مبررا لبقاء السياسات الآثمة للمحتل والظالم المحلي سادرة دون محاسبة.

وغالب رموز وشخصيات العنف وقادة التنظيمات المسلحة الذين شغلوا الناس بجرائمهم تمت صناعتهم في السجون تحت التعذيب وبشكل ممنهج، فشكري مصطفى، منظر التكفير والهجرة، هو نتيجة ذلك، وقادة داعش مثلا هم نتاج وحشية سجن بوكا وأبو غريب ببغداد والذي كان التعذيب فيه يتم من قبل الأمريكان!

وهذا يؤشر على أن إنتاج الغلاة والمتطرفين والإرهابيين هو محل اتفاق بين أعداء الإسلام لاستمرار تنفيذ الأعداء لمخططاتهم في سرقة ونهب خيرات المسلمين وإعاقة محاولات المخلصين لتجديد الأمة وقوتها بإشغالهم بمعارك جانبية مع الشباب المقهور بدلاً من هدم وتعرية الظلمة القاهرين المعتدين.

في وقت مبكر عندما عارضت إدخال كتاب (معالم في الطريق) في المناهج التربوية للإخوان سنة ١٩٦٨م، بل ودعوت إلى استبعاد (في ظلال القرآن) أيضا... ثم جاء رفضي العلني لهذه الأفكار في سلسلة من المقالات التي نشرتها تباعاً في مجلة الشهاب البيروتية ابتداء من أول كانون ١٩٧٢م وحتى بداية حزيران ١٩٧٣م»، (الإخوان المسلمون الحركة الأم دراسة نقدية، د. عبد الله أبو عزة، ص ٢١٢).

وفكر سيد قطب يعد هو مركز ومحور فكر جماعات التكفير والعنف المعاصرة باعترافهم، فها هو الظواهري يقول: «إن سيد قطب هو الذي وضع دستور الجهاديين في كتابه الديناميت (معالم في الطريق)... وإن فكره كان شرارة البدء في إشعال الثورة الإسلامية ضد أعداء الإسلام في الداخل والخارج والتي ما زالت فصولها الدامية تتجدد يوما بعد يوم»، (جريدة الشرق الأوسط ١٤٢٢/٩/١٠، نقلا عن القصة الكاملة لخوارج عصرنا، إبراهيم المحيميد، ص ٦٧).

ويقول أبو مصعب السوري: «جسّد كتاب (المعالم) وفكر سيد عموما فكر الحاكمية والتمايز والمفاصلة، وبالتالي الحكم بالكفر والردة على أنظمة الحكم القائمة والدعوة الصريحة لجهادها ورسم معالم طريق هذا الجهاد»، (مختصر مسار الصحوة الإسلامية، أبو مصعب السوري، ص ٣٨، بواسطة القصة الكاملة لخوارج عصرنا، ص ٦١).

ويؤكد المختصون بواقع العمل الإسلامي هذا التأثير السلبي العام لفكر وكتابات سيد قطب، فيقول د. جعفر شيخ إدريس: «إن سيد قطب علق الشباب بصورة مثالية عن الإسلام، لا يستطيعون أن يصلوا إليها، فكل ما ينقص عن هذه الصورة فهو ليس إسلاميا، وبذلك لا توجد حكومات إسلامية ولا مجتمع إسلامي منذ عهد الخلفاء الراشدين ... فقامت عندنا جماعات في السودان واليمن وغيرها – من غير اتصال بينهم ولا تعارف- وكان الجامع بينهم هذا الكتاب (معالم في الطريق)»، (ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر، ص ٥٧، بواسطة القصة الكاملة لخوارج عصرنا، ص ٦٥).

ولذلك فإن وعي العلماء والمصلحين بضرورة منع الظلم والعدوان في السجون خاصة، والبلاد عامة، ومحاربة ذلك وفضحه يعد لبنة أساسية في حماية مشروع نهضة الأمة واستعادة قوتها وعزتها، وقطع للطريق على مخططات الخبثاء في إدخال مجتمعاتنا في متاهة من الحروب الأهلية والداخلية كما حدث مثلا في الجزائر في العشرية السوداء[1].

وإن التركيز على معالجة الغلو والتطرف والعنف يكون بدايةً بنشر العلم الشرعي والفكر الصحيح واستحضار تجربة الأمة وتاريخها في محاربة الخوارج، بداية من مناظرات ابن عباس رضي الله عنه لهم، ومن ثم عمر بن عبد العزيز وبقية العلماء، ثم استخدام القوة من الدولة بشكل عادل وسليم وبناء.

ويجب اليقظة والحذر من الانزلاق بتصديق الحملات الإعلامية الغربية والعلمانية من أن الإسلام دين الغلو والإرهاب والتطرف بينما الحقيقة هي أن القوى الدولية والعلمانية وغيرها هي من ترعى قوى التطرف والإرهاب وتتبنى استراتيجيات خلق الإرهاب والإرهابيين.

وهذا الكتاب هو مساهمة في بناء جدار الوعي عند الجيل الصاعد بخطورة استراتيجية الأعداء بتوريط الشباب والفضلاء في متاهة الغلو والتطرف من خلال استعراض التجارب المرة وبيان النتائج المدمرة وكشف السياسات والاستراتيجيات الخبيثة.

١ – انظر مثلا كتاب (الإسلاميون والعسكر سنوات الدم في الجزائر)، لمحمد سمراوي، وهو ضابط مخابرات جزائري.

ثانيا: توظيف واستغلال واختراق هذه الجماعات والتنظيمات من كثير من أجهزة الأمن والاستخبارات المحلية والدولية لمصالحها وبما يؤذي المصالح الحقيقية للدول والشعوب الإسلامية

لقد تبين معنا في ما سبق كيف أن أجهزة الأمن المصرية الناصرية[1] تلاعبت بكثير من شخصيات وجماعات الغلو والعنف، ولعل البداية من حادثة المنشية حيث سيطر جمال عبد الناصر على منفذ العملية بحيث تحقق غاية عبد الناصر بضرب خصومه الإخوان المسلمين.

ومن ذلك شكري مصطفى الذي تم الاعتناء به في السجن ثم التحالف معه ضد الحركات الإسلامية بينما هو يكفّر عموم المسلمين لعدم تكفيرهم النظام الحاكم!! وكيف تم التلاعب بشكري مصطفى لقتل الشيخ الذهبي وعدم التحرك لإنقاذه بشكل متعمد، وشبيه من ذلك يقع في الجزائر بعد ١٧ عاماً حيث تقوم الجماعة الإسلامية المسلحة ومنظمة الشباب الجزائري الحر بتبني عملية اغتيال الشيخ محمد بوسليماني والذي عزف عن الانخراط في العمل السياسي وآثر البقاء في المجال الثقافي والدعوي، ومعلوم أن الجماعة الإسلامية المسلحة وتنظيم الشباب الحر هما تنظيمان مخترقان من قبل الأمن الجزائري وأن عملية الاغتيال لا تفيد إلا النظام القمعي المستبد[2]!

وأيضا كيف تغاضت أجهزة الأمن عن محاولة اغتيال السادات من قبل جماعة الكلية الفنية برغم إبلاغ أحد المنفذين عنها قبل وقوعها، لكن تم تجاهل ذلك حتى وقعت الواقعة!

وتكرر ذلك في حادثة اغتيال السادات حيث هناك تواطؤ واضح من قبل جهات أمنية من أجل التخلص من السادات فقط!

---

١ – بل لقد سبق لعبد ناصر أن تلاعب بالنظام الخاص لجماعة الإخوان المسلمين، وتلاعب بضباط الإخوان الأحرار في الجيش وتلاعب بالجماعة والمنشقين عنها، وقد دون كثير من قيادات الجماعة تفاصيل ذلك، انظر: الاخوان المسلمون الحركة الأم، ص ٣٧، ٦١، ١٤٧، ١٥٧.

٢ – الإسلاميون والعسكر سنوات الدم في الجزائر، ص ٨٧.

ولم يقتصر ذلك على العهد الناصري أو الأمن المصري، بل شهدنا في سوريا توظيف أبو القعقاع محمود قولا غاصى الخطيب المفوّه ليكون مصيدة لمئات أو آلاف الشباب حيث خدعهم بخطبه النارية ثم أهلكهم بإرسالهم للعراق للقتال مع تنظيمات الغلو والعنف كالزرقاوي وغيره وكل ذلك كان تنفيذا لاستراتيجية نظام بشار الأسد بتوريط الأمريكان بصراع مع التنظيمات المتطرفة في العراق بدلاً من تقدم الأمريكان لإسقاط نظام بشار!

وبعد اندلاع الثورة السورية لجأ نظام بشار للإفراج عن المسجونين بتهمة الإرهاب في سجن صيدنايا لينضموا للثورة السورية ويشعلوا فيها الصراعات والمعارك الداخلية ويحرفوا الثورة عن مسارها الوطني الإصلاحي إلى مسار الغلو والعنف والإرهاب!

وفي الجزائر رعت المخابرات الجزائرية فصائل إرهابية من منسوبيها وغيرهم قتلت آلاف الأبرياء من الجزائريين، بل وحتى بعض الرهبان والدبلوماسيين الفرنسيين.

وقبل ذلك استقبلت بريطانيا ودول أوروبا عشرات القادة والمنظرين لتنظيمات العنف والغلو ومنحتهم اللجوء وقدمت لهم معونات مالية واجتماعية بحجة حقوق الإنسان! ومؤخرا أفرجت عدة دول أوربية عن متهمين بالانتماء لداعش سلمتهم لهم تركيا بوصفهم مواطنين أوربيين لهم صلات بالإرهاب وداعش، لكن السلطات أفرجت عنهم ومن ثم تورط بعضهم في بعض التفجيرات الإرهابية في دول أوروبا!

ولم يتخلف ملالي الشيعة بطهران من احتضان كثير من جماعات الغلو والتطرف وقادتهم بحيث كانت طهران محل إقامتهم لسنوات طويلة ومنها خططوا لعملياتهم ضد دول إسلامية متعددة[1]، ومن آخر أمثلة هذا الاحتضان ما أعلن في نهاية ٢٠٢٠ من قتل الرجل الثاني لتنظيم القاعدة في طهران!

وفي مصر ثبت أن الأمن كان يقوم ببعض التفجيرات لخلق حالة رعب، ومن آخر تلك التفجيرات تفجير كنيسة القديسين بالإسكندرية قبل الثورة المصرية بأيام.

١ – راجع كتاب الجماعات المتطرفة وإيران علاقات متجددة .. أجندات متعايشة، لسعيد بن حازم السويدي.

وفي العراق كشف عن قيام الحكومة الشيعية الطائفية بتفجير مرقد العسكريين في سامراء لصالح خلق حالة طائفية لمصلحة الشيعة النافذين والمتحكمين في الأمور لاحتلال سامراء.

وأما داعش في العراق وسوريا فقد كانت مسرحا واسعا لكثير من تلاعب أجهزة الأمن بها وبقادتها، حتى وصفها البعض بأنها شركة مساهمة بين مخابرات دول المنطقة والعالم! وبدأ ذلك بعد مسرحية نوري المالكي بتسليم مدينة الموصل بكل سلاحها ومخازن العتاد وأموال البنك المركزي فيها لداعش دون إطلاق طلقة واحدة!

ورأينا في سوريا والعراق كيف يتم تأمين نقل أعضاء تنظيم داعش أو النصرة من منطقة لأخرى بحجة تحرير المناطق، بإشراف من الحكومة العراقية أو حزب الله الشيعي أو من قبل القوى الكردية المدعومة أمريكياً.

وهذا الاستغلال والتوظيف شيء طبيعي لهذه الجماعات والقيادات كما سيتبين معنا بسبب قلة السن والخبرة والتجربة مقارنة بعراقة أجهزة الأمن وتفوق إمكانياتها.

فليحذر الشباب من أن يكونوا ضحية تلاعب أجهزة الأمن بهم لتحقيق مآرب خبيثة وتتحقق فيهم المقولة المشهورة: طريق جهنم معبد بأصحاب النوايا الطيبة! ولا خلاص للشباب من ذلك إلا بالتعلق بالعلماء الربانيين والحرص على الاستزادة من العلم وتجنب التهور واتباع العواطف وردات الفعل غير المنضبطة.

ثالثاً: تسلل المجهولين والأشباح لقيادة كثير من هذه الجماعات مما يسهل حرفها عن مسارها وإضرارها بمصلحة الإسلام الذي قامت لتنصره كما تزعم.

تطور الاختراق في هذه الجماعات والتنظيمات المتطرفة والغالية ليصل إلى أن يصبح كثير من قادتها مجهولي العين والحال كما حدث قبل عقود طويلة مع التنظيمات الباطنية من أيام العبيديين مؤسسي الدولة الفاطمية، حيث تبين لاحقاً أن عبيد الله الفاطمي هو يهودي مستتر.

فقيادات كثير من الجماعات المسلحة والعنيفة هي شخصيات مجهولة كالأشباح تماماً، فهي موجودة لكن مجهولة، هل تريد الخير أو الشر لا يمكننا التأكد، هل هي مِن أصدقائنا أم مدسوسة من أعدائنا، الله أعلم!

وقد نبّه على هذه الملاحظة مؤلفو كتاب «تنظيم الدولة الإسلامية» بقولهم: «ينتمي أبو بكر ناجي إلى الجيل الأول من الجهاديين الافتراضيين، ولا يُعرف من هو في العالم الواقعي، وهي ظاهرة برزت مع الثورة الاتصالاتية على شبكة الإنترنت نهاية عقد التسعينيات من القرن الماضي، ولا أحد يعرف هوية الجهاديين الواقعية الحقيقية، وقد شهد العالم الافتراضي ظهور موجات من القيادات الجهادية الافتراضية، حيث اشتهر من الموجة الأولى من الجهاديين الافتراضيين التي ظهرت عام ٢٠٠٢: أبو بكر ناجي، وأبو عبيدة القرشي، ولويس عطية، ومن الموجة الثانية التي ظهرت عام ٢٠٠٦: حسين بن محمود وعطية الله، ومن الموجة الثالثة التي ظهرت عام ٢٠٠٩: عبدالرحمن الفقير ويمان مخضب وأسد الجهاد»[1].

وفي تعريفهم لأحد قادة داعش قالوا: «محمود الخضر، كنيته داخل التنظيم «أبو ناصر

١ – تنظيم الدولة الإسلامية، د. محمد أبو رمان وحسن أبو هنية، هامش ص ١٧٨.

الأمني»، أحد الأمنيين في الرقة، ويعمل خلف الكواليس، ولديه الوثائق المتعلقة بالاغتيالات والمعلومات الأمنية.

يلبس قناعاً، وعلى القناع قناع شفاف كي لا يُعرف مِن عيونه، دائم الحرص على عدم التكلم لكي لا يعرف من صوته، ويرتدى قفازات لكي لا يعرف من لون بشرته"!![1].

وهذا الواقع اليوم في جماعات العنف والغلو والتكفير هو صدى لتحذير أو توصيف أبرز منظري تيار العمل العسكري وهو أبو مصعب السوري الذي يقول: «ولما درست أجهزة الاستخبارات هذه الظاهرة التكفيرية اكتشفت المعادلة التي أشرت إليها في ميلاد التكفير، الذي يولد طبيعياً في الأجواء التي أشرت إليها، فعمدوا إلى توليد تيارات للتكفير بالاستنساخ الاصطناعي في الأوساط التي يتوقع أن الجهاد سيولد فيها بطبيعة الحال» ثم يقول: «وهذه الملاحظة من أهم ما يجب أن ينتبه إليه من التداخل بين التكفير والاستخبارات»[2].

وانتقلت ظاهرة الأشباح التي تقود بعض جماعات أو مجموعات العنف والتكفير -وبعض هؤلاء ضباط مخابرات محلية أو دولية- لتقود أيضا بعض جماعات ومجموعات التبديع (المداخلة) كما يتجسد ذلك في كثير من المعرفات على تويتر التي لا يعرف شخص صاحبها بالتحديد ولكنه ينفذ أجندات سياسية بامتياز لصالح أنظمة محددة ضاربا بعرض الحائط الكثير من الأصول والثوابت المنهجية التي طالما أقام (المداخلة) الدنيا من أجلها وما أقعدوها!!

والتيقظ والحذر والتبصر بحقيقة هوية الموجهين لجهود العنف والتكفير أو التبديع والتصنيف من أهم الواجبات على كل شاب وشابة يريدان خدمة الدين ونصرة الحق، وإلا سيكونان معرضين بقوة ليكونا ترساً في خدمة أجهزة المخابرات دون أن يشعرا.

١ - المصدر السابق، ص ٢٤٧.

٢- كتابه الكبير (دعوة المقاومة) الفصل الخامس، نسخة إلكترونية.

رابعاً: سيطرة العقلية العسكرية على كثير من هذه التنظيمات كون القيادات فيها من خلفيات عسكرية وأمنية!

مما يجب التوقف عنده في دراسة تجارب هذه الجماعات والتنظيمات على تنوع أماكنها واختلاف أوقاتها أن فكر الغلو والتكفير والصدام المسلح مع الدولة والمجتمع تبناه كثير من الشخصيات العسكرية والأمنية وسيطرت على تصوراتهم العقلية العسكرية والقتالية.

فمن التجربة المصرية التي تناولناها نجد الشخصيات العسكرية البارزة التالية:

يحيى هاشم.

عصام القمري.

صالح سرية.

كارم الأناضولى.

عبود الزمر.

خالد الإسلامبولي.

ومن نفذ قتل الشيخ الذهبي كان ضابط أمن سابقا وعضوا بجماعة شكري مصطفى.

نبيل المغربي.

حلمي هاشم.

وتنظيم القاعدة فيه قيادات مصرية من خلفية عسكرية مثل:

أبو حفص المصري.

سيف العدل.

محمد مكاوي أبو المنذر.

ولا يزال تصدر العسكريين للتنظيمات المسلحة ظاهرة قائمة لليوم، فها هو تنظيم بيت المقدس في سيناء رشحت الأخبار أن بعض الضباط المصريين السابقين هم من قياداته.

وأبو عمر البغدادي أمير دولة العراق الإسلامية كان ضابطا في الأمن العراقي، وأيضا داعش، فقيادات داعش مكوّنة من مئات العسكريين السابقين في الجيش والمخابرات العراقية البعثية، على رأسهم حجي بكر (سمير عبد محمد الخليفاوي)، أبو مسلم التركماني، أبو مارية القحطاني، ولعل هذا يفسر جانبا من الدموية والوحشية التي يتعامل بها التنظيم.

أيضا جهيمان صاحب جريمة اقتحام الحرم المكي كان ضابطاً بالحرس الوطني.

والعسكر بطبيعتهم لا يعرفون سوى القتال والقتل وهذا كان له دور في جر هؤلاء الشباب لمسار العنف بدلا عن مسار الدعوة والسلمية الذي ينتهجه العلماء، وهو النهج السلمي الذي توصل له قادة هذه الجماعات بعد سنوات طويلة في السجون ودماء كثيرة سالت بغير حق، ومثال ذلك مراجعات قادة الجماعة الإسلامية التي دوّنوها في كتبهم، وأيضاً مواقف عبود الزمر الأخيرة بعد أحداث رابعة والانقلاب على الرئيس محمد مرسي حيث رفض الصدام والتصعيد.

ومن تأمل التاريخ الإسلامي يجد أن القيادة العامة في الإسلام هي لأهل العلم والحكمة وليست للقادة العسكريين، وأن مجال العسكريين هو فيما يحسنون من إدارة المعارك، لكن قرار الحرب والسلم هو لأهل العلم والحكمة، بينما في هذه التنظيمات قلبت الأمور حيث نحّي العلماء وأبعدوا، وتصدر المشهد العسكر، ووقعت الأمة بين العسكريين في كلا المعسكرين السلطة الغاشمة والمعارضة المسلحة!!

خامساً: من السمات البارزة في تجربة جماعات العنف المصرية التي درسناها صغر سن قياداتها وقلة علمهم وخبرتهم وندرة أصحاب التخصص الشرعي بينهم، وهذه السمات لا تزال تتكرر في كثير من جماعات العنف والغلو في كثير من بقاع الأرض.

والجدول التالي يوضح لنا هذه الحقائق بشكل مختصر ومفيد:

م	الاسم	عمره عند اعتناق الغلو والعنف	تخصصه الجامعي
١	نبيل برعي	٢٢ سنة	آداب/ بيروت
٢	صالح سرية	٣٧ سنة	تربية
٣	كارم الأناضولى	–	كلية عسكرية
٤	شكري مصطفى	٢٨	زراعة
٥	أيمن الظواهري	١٦	طب
٦	محمد فرج	٢٧	هندسة
٧	طارق الزمر	٢١	زراعة
٨	عبود الزمر	٣٢	كلية عسكرية
٩	سالم الرحال	٢٣	شريعة
١٠	عاصم عبد الماجد	٢٢	هندسة
١١	كرم زهدي	٢٨	زراعة
١٢	فضل إمام	١٩	طب

ولا تزال هذه السمات هي السائدة في جماعات الغلو والعنف في كثير من البلاد كما في الجدول التالي:

م	الإسم	البلد	عمره عند اعتناق الغلو والعنف	تخصصه الجامعي
١	جهيمان	السعودية	٤٤ حين أعدم	٤ ابتدائي/ رقيب
٢	أبو محمد المقدسي	الأردن	٢٥	كلية العلوم ولم يكملها
٣	أبو قتادة	الأردن	٣١	شريعة
٤	أبو مصعب الزرقاوي	الأردن	٢٢	–
٥	أبو مصعب السوري	سوريا	٣٥	هندسة
٦	أبو بصير	سوريا	٣٢	–
٧	أبو محمد الجولاني	سوريا	٢٢	طب ولم يكملها
٨	أبو عمر البغدادي	العراق	٢٧	عسكري
٩	أبو بكر البغدادي	العراق	٢٤	شريعة
١٠	أبو محمد العدناني	سوريا	٢٧	–
١١	عطية الله الليبي	ليبيا	٢٠	–
١٢	أسامة بن لادن	السعودية	٣٠	هندسة
١٣	أبو مصعب الموريتاني	موريتانيا	٢٠	شريعة

وهذه السمات من قلة السن والخبرة والعلم وعدم التخصص الشرعي ستكون ثمارها الطبيعية التهور والاندفاع والوقوع في الفخاخ وجلب الكوارث ومخالفة العلماء وتخوينهم وشق وحدة الصف الإسلامي، وهذا ما وقع بالضبط بسبب أعمال هذه التنظيمات، والتي أعلن كثير من قادتها تراجعهم عن تلك الأفكار[1]، أو نقدوا تصرفات من سبقوهم.

١ – راجع كتب تراجعات ومراجعات قادة الجماعة الإسلامية مثلا، وكتاب النقد الذاتي عند الإسلاميين لمحمد توفيق، الصادر عن مركز نماء.

ولليوم لو نظرنا لغالب من يتقبل فكر الغلو والتطرف لوجدناهم من فئة الشباب صغير السن، وكثير منهم غير متعلم، ويَكثر تقبل فكر العنف والغلو بين الشباب أصحاب الماضي السيئ وغير الملتزم، والذي يقفز من مربع عدم الالتزام لمربع الغلو، ففي دراسة حديثة عن ٧٦٠ حالة من شباب الغلو والتطرف في الأردن تبين أن ثلثيهم لم يتجاوز عمره ٣٠ سنة، بل إن ثلث الحالات لم يتجاوز سنهم ٢٥ سنة! وأن الثلثين أيضاً لم يتجاوز تحصيلهم التعليمي الثانوية العامة (٣١,١٪ أقل من ثانوي، ٤٢,٥٪ ثانوي)[١]، ولذلك سوف تتكرر الظواهر والكوارث السابقة من سهولة الاختراق والتوظيف، وجلب الكوارث والمصائب للحالة الإسلامية!

سادساً: من سمات جماعات الغلو والعنف قديمًا وحديثًا مخالفة موقف العلماء والصدام معهم

كما تبين معنا من تفصيل حالة التنظيمات المصرية أنها خلت من وجود العلماء أصلاً، بل كانت نتاج مبادرات شبابية منفصلة عن العلماء.

فقد كان بعضهم قريبا من جماعة أنصار السنة المحمدية لكنهم اختطوا لأنفسهم خطاً مستقلاً، وحين طلبوا فتوى من العلامة الألباني بقتل السادات رفض طلبهم، والذي أعطى الفتوى هو الشيخ عمر عبد الرحمن خريج الأزهر، ولكن بعد قتل السادات وسجن وإعدام من فعلوا ذلك خرج من بقي منهم ليعلن خطأ قتلهم للسادات وأن السادات «شهيد قُتل في الفتنة»!! وهنا يتبين عمق وفقه العالم الرباني الذي يرى عواقب الأمور ويدرك حقيقة فقه الواقع بخلاف الشباب المتحمس والمتهور الذي لا يرى سوى قشور الواقع مما يسهل معه توظيفه وإيقاعه في الفخ.

١ – انظر دراسة د. محمد أبو رمان و د. موسى شتيوي «سوسيولوجيا التطرف والإرهاب في الأردن، دراسة ميدانية وتحليلية»، ص ٨١، ٨٣.

وأيضا تعد جريمة جهيمان وأنصاره في تجاوز موقف العلماء نموذجا صارخا لمدى كارثية نهاية هذا المسار، حيث انتهى بهم لانتهاك حرمة البيت الحرام وقتل الآمنين فيه بظلم، وكل ذلك بدعوى نصرة الحق!

وكيف أنهم حين أعرضوا عن التزام رأي العلماء باتباع الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة وقعوا في خلل منهجي كبير وهو اعتماد الأحلام والرؤى كمصدر للأحكام والأعمال! ومعلوم أن ذلك من أبواب ضلال الصوفية التي أنكرها عليهم العلماء عبر التاريخ.

وبسبب خلو صف هذه الجماعات من العلماء الراسخين اخترعوا فرية عدم الحاجة لفقهاء! يقول المقدسي: «ومن ثم فلا حاجة للمجاهدين لفقهاء ومنظرين من خارج صفهم، لأن فقهاءهم الذين يوجهونهم ويتخيرون لهم الأولى والأنقى والأنكى من الجهاد من أفقه الناس»[1]، وهذا تلاعب كبير، فمن يزعم أنهم فقهاء يضلل بعضهم بعضا ولم يجلبوا إلا الشر ولم يجتنبوا إلا الصواب!

واليوم نرى كيف تصدر تنظيمات الغلو والتكفير والعنف البيانات والفتاوى لمهاجمة العلماء وتخوينهم وتكفيرهم! ثم يظن أولئك الجهلة والحمقى والضلال بقية الخوارج أنهم هم عصارة أهل السنة! وبقية الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، ولنا في تنظيم القاعدة وداعش ومن قبلهم أبو محمد المقدسي[2] وأبو قتادة الفلسطيني[3] نموذج وشاهد على ذلك.

وفي الوقت الذي كان يقف فيه كثير من طلبة العلم وأتباع الاتجاهات الحركية موقفاً سلبياً من تطاول الغلاة والمنحرفين على العلماء، والسلفيين منهم خاصة، فإن موقف هؤلاء قد تبدل بعدما أصبحوا هم أنفسهم موضعا لطعن الغلاة في دينهم وإسلامهم أو محلاً

١ – القافلة تسير، أبو محمد المقدسي، ص ١، بواسطة القصة الكاملة لخوارج عصرنا، ص ٣٥٩.

٢ – انظر الخروج عن الشريعة عند أبي محمد المقدسي وأتباعه دراسة تحليلية نقدية، إصدار مركز نقاء للبحوث والدراسات.

٣ – خاصة سلسلة مقالاته (بين منهجين) و(نظرة جديدة في الجرح والتعديل) والتي هي نقيض موضوعي لمنهج ربيع المدخلي صاحب منهج الجرح لضرب العلماء أيضا لكن بالتبديع! انظر: أبو قتادة الفلسطيني وحقبة من الضلال، أبو اسحاق الفواخري، مركز ثبات للبحوث والدراسات.

للقتل والاغتيال والتفجير خاصة على يد الزرقاوي وتنظيم القاعدة ثم داعش في العراق وسوريا، حيث تم تكفير كل من لم يقبل بخطهم الدموي أو يبايع خليفتهم المزعوم واعتبر مهادنا للمرتدين ومواليا للكفار المحتلين والرافضة، وأقيمت حلقات الاستتابة ودورات تعليم العقيدة للمشكوك في ولائهم للغلو[1]!

وكانت البداية العلنية على يد أيمن الظواهري في كتابه «الحصاد المر» حيث هاجم جماعة الإخوان بشكل عنيف، ثم تناسلت المنشورات التي تهاجم الإخوان وغيرهم.

وقضية التطاول على العلماء عامة، والعلماء السلفيين خاصة، تورط فيها كثير من الرموز والتنظيمات والتي أوجدت مناخا محتقنا ضد العلماء وكانوا هم الباب الذي سهل لجماعات الغلو والتكفير والعنف أن تستقطب وتخدع الكثير من الشباب، ومن تلك الرموز التي كان لها دور سلبي تجاه العلماء السلفيين في أوساط الشباب الإخوانى تحديدًا محمد الغزالي وخاصة كتابه «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث»[2]، ومحمد سرور في كتابه «العلماء وأمانة الكلمة»[3] وكثير من مقالاته في مجلة السنة، وإن كان في آخر حياته تراجع عن بعض ذلك لما رأى خطأه وكارثية النتائج بسبب هذا المسلك.

سابعاً: كثرة الانشقاقات والصدامات الفكرية والمسلحة بين جماعات الغلو والتطرف

لقد كان الخصام الفكري الذي يتعاظم ليصل للتكفير ومن ثم القتل أمرا شائعا عند جماعات الغلو والتطرف، فقد اختلف الشباب الصغار في حكم السجناء وعموم الناس الذين لم يكفروا زبانية التعذيب في السجون على يد شكري مصطفى، ومن ثم اختلف

١ – انظر كتاب: الدولة الإسلامية بين الحقيقة والوهم لأبي عبد الله محمد المنصور.
٢ – راجع الفصل السادس من كتاب د. سلمان العودة (حوار هادئ مع الغزالي).
٣ – في طبعته الأولى، وانظر كتيب: مجلة السنة تنبيهات عبد الله بن عبد الرحمن الأثري، ص ٤٣.

الشباب في حكم قتلى الجيش المصري في حرب ١٩٧٣ مع الصهاينة! وتسببت هذه الخلافات بانشقاقات كما بيّنا، وجرت بينهم مناظرات عديدة مثل مناظرة شكري مصطفى وحسن الهلاوي التي هُزم فيها شكري فصدر الأمر بقتل الهلاوي الذي نجا من الموت بأعجوبة.

وفي السجن عقب اغتيال السادات اختصمت جماعة الجهاد مع الجماعة الإسلامية فيما عرف بقضية ولاية الضرير والأسير، فحصل الانفصال!

ومن يتتبع مسيرة تنظيمات الغلو والعنف يجد ذلك صفة لازمة لها مع أفرادها ومن ثم خصومها[١]، فابن لادن ينفصل عن عبد الله عزام بسبب تأثر ابن لادن بأفكار جماعة الجهاد المصرية، ثم بعد إعلان الجبهة العالمية تنفصل عنها الجماعة الإسلامية، وجزء من جماعة الجهاد يرفض البقاء في تنظيم القاعدة.

ثم يقع الخلاف العميق بين أيمن الظواهري وسيد إمام المفترض أنهما قائدا حركة الجهاد! وفي الجزائر يتصادم أبو قتادة الفلسطيني وأبو مصعب السوري وهما متعاونان في إصدار نشرة الأنصار لصالح الجماعة الإسلامية المسلحة[٢]!

أما الساحة العراقية والسورية والتي شهدت حروب القاعدة وداعش البينية والداخلية فحدّث ولا حرج، فها هو الزرقاوي يعلن تبعيته للقاعدة، ثم يتضخم تنظيم قاعدة العراق فيستصغر قيادة القاعدة المركزية بعد إعلان الدولة! ثم ها هو الجولاني مبعوث البغدادي لسوريا ينشق عنه ويعلن إنشاء تنظيم النصرة وتبعيته لقيادة القاعدة! وذلك بعد أن أعلن البغدادي خلافته وطالب الزعيم الظواهري بتقديم البيعة له! وتمضي السنون فيعلن الجولاني حل تنظيم النصرة وبراءته من القاعدة وينشئ تنظيم هيئة تحرير الشام!

١ – مشكلة التكفير والقتل والقتال لا تقتصر على جماعات الغلو والعنف، بل هي مشكلة قديمة عند جماعات الإخوان المسلمين منذ نشأة التنظيم الخاص الذي اغتال بعض أعضائه المنشقين، أيضا رصد بعض مظاهر تلك المشكلة في عدد من الحركات الإسلامية محمد سرور (محمد الحريري) في كتابه أزمة أخلاق، في الباب الثاني الذي عنونه بـ: الإرهاب داخل الصف الإسلامي، ص ٥٧.

٢ – انظر كتاب أبي مصعب السوري «مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر».

وطبعا كل ذلك يجري تحت قصف المدافع وزرع العبوات الناسفة واغتيال القيادات بين الطرفين ويرافق ذلك فتاوى التكفير والردة ومحاكم الاستتابة!

ولذلك لو حاول إنسان أن يبحث عن نقاط التوافق بين هذه الجماعات الغالية سيجد أنها أقل بكثير من نقاط الخلاف والتكفير، وذلك هو شأن الخوارج منذ لحظة ظهورهم، فهم أهل شقاق ونزاع دائماً.

والسبب الرئيس في ذلك أنهم كانوا صغار السن لحظة التأسيس ويرافق ذلك الجهل واتباع الهوى وسهولة التوظيف والتوجيه من الخارج، وكما خدع ابن سبأ اليهودي البغاة على عثمان رضي الله عنه، لا يزال تلاميذ ابن سبأ اليهودي في المعسكرين الشرقي والغربي يخدعون هؤلاء البغاة والخوارج –لليوم– وهم يظنون أنهم أصلح العباد وهم في الحقيقة شر الناس، كما قال عبد الرحمن بن ملجم قبحه الله بعد قتله عليّا رضي الله عنه:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضواناً !

كيف يكون قتل مسلم وصحابي ومن العشرة المبشرين بالجنة وأحد الخلفاء الراشدين قربة يتقرب بها إلى الرحمن، هذا أمر بدهي عند أصحاب الإيمان الصافي والعقول السليمة، ولكن مَن جنح للغلو والعنف تنقلب موازينه كما فعل سلفهم الطالح (حرقوص التميمي) حين اتهم النبي الأمين صلى الله عليه وسلم بعدم العدل في الأموال.

ومن صور التناقض والخصام داخل هذا التيار الذي يزعم امتلاك الحقيقة والصواب ويكفر من يخالفه كثرة نقدهم لبعضهم البعض وردهم على بعض، فلو كان الحق معهم فمع من منهم بالتحديد؟

وقد رصد الأستاذ محمد توفيق في كتاب النقد الذاتي عند الإسلاميين[1] عشرة أمثلة للنقد والرد الداخلي بين هذه التيارات وهي:

١ – الجزء الأول (التيارات القتالية)، نشر مركز نماء.

نقد أبي الوليد المصري لسياسات ابن لادن المخالفة لأوامر الملا عمر أمير المؤمنين.

نقد المقدسي للزرقاوي في العمليات الاستشهادية وقتل المدنيين وتوسيع دائرة الصراع والتهديدات الإعلامية الجوفاء للعالم وترك القيادة للعراقيين أبناء البلد.

نقد أبي مصعب السوري لأبي قتادة الفلسطيني في تهوره بتأجيج التطرف والغلو في الجزائر.

نقد الظواهري لسيد إمام على كتابه «وثيقة ترشيد العمل الجهادي»، وفيه عرض وجهة نظر الظواهري، ولم يعرض وجهة نظر سيد إمام برغم أنه هو الذي ابتدأ نقد مسار الظواهري.

- نقد أحمد سلامة لوثيقة سيد إمام.
- نقد مجلس شورى جماعة الجهاد لسيد إمام.
- نقد أبي بصير الطرطوسي للمقدسي حول الثورة السورية.
- نقد الطرطوسي لسيد إمام.
- موقف عبود الزمر من مراجعات الجماعة الإسلامية المصرية.
- انتقادات الجماعة الإسلامية المصرية على تنظيم القاعدة.

وهذه الانتقادات تكشف عن حجم التباين والتناقض في فكر جماعات القتال والعنف بينما يظن كثير من الشباب أنها ذات موقف فكري موحد وصلب تجاه المميعين من العلماء والمنبطحين من الدعاة، وإذا بهذه الجماعات والقيادات متناحرة متصارعة لا تكاد تتوافق على مفاصل كبرى!

ولكن هذا التناقض والاختلاف والتناحر والتصادم شيء طبيعي عند أهل البدع والانحراف والضلال، وكما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ”البدعة مقرونة بالفرقة

كما أن السنة مقرونة بالجماعة ... فيقال: أهل السنة والجماعة كما يقال: أهل البدعة والفرقة"[1]، وبيّن تطور انحراف الضلال مع الزمن كما حدث مع هذه الجماعات فقال: « فالبدع تكون أولها شبراً ثم تكبر في الأتباع، حتى تصير ذراعاً وأميالاً وفراسخ"[2].

ثامناً: عدم صحة انتساب جماعات الغلو والعنف لفكر شيخ الإسلام ابن تيمية

من الأخطاء الشائعة أن هذه الجماعات والتنظيمات تتبنى مرجعية شيخ الإسلام ابن تيمية في فكرها الضال هذا، ومما يساعد على ذلك أن هذه الجماعات والتنظيمات تروج ذلك الزعم الباطل بين الشباب والناس لما لمرجعية شيخ الإسلام من قبول ومصداقية بين جموع المسلمين والعلماء والمثقفين، ومن جهة أخرى يعزز رواج هذا الخطأ الحملات الإعلامية المغرضة لخصوم شيخ الإسلام ابن تيمية من الرافضة والصوفية الغالية والأشاعرة والأحباش والعلمانيين، حيث يفتري هؤلاء جميعا على ابن تيمية أنه مرجع ومصدر فكر الغلو والتطرف والإرهاب.

وهذه الفرية تروج عند من ليس له معرفة بشيخ الإسلام ابن تيمية أو لديه خصومة معه، بينما العلماء والعقلاء المنصفون من أي فئة أو ملة كانت فإنهم يرفضون تلك الفرية والزعم الباطل، ونلخص الرد في النقاط التالية:

كتب وتراث ابن تيمية نشره الكثير من العلماء ويدرسه آلاف الطلبة من مختلف البلاد والمذاهب والجماعات، ولكن الغالبية منهم لا يتبنون فكر الغلو والتطرف والإرهاب، بل هم رأس الحربة في محاربة هذا الفكر الخارجي والإرهابي.

---

١ – الاستقامة ١/ ٤٢.

٢– الفتاوى (ج ٨ ص ٤٢٥).

هؤلاء الغلاة والخوارج المعاصرون سبب انحرافهم قراءتهم الخاصة والمنحرفة لتراث ابن تيمية بعيدا عن قراءة العلماء وشرحهم لتراثه، وقد بيّن ذلك د. هاني نسيرة في كتابه «متاهة الحاكمية أخطاء الجهاديين في فهم ابن تيمية».

مما يؤكد أن الخلل هو في فكر هؤلاء الغلاة من الشباب الجهلة وليس في تراث ابن تيمية نفسه، أن كثيرا من مراجعات الغلاة لغلوهم وتبرؤهم منه قامت على الاستدلال بكلام ابن تيمية في إبطال غلوهم السابق وعودتهم لفهم وقراءة العلماء لتراث ابن تيمية، ويتجلى ذلك في مراجعات الجماعة الإسلامية المصرية، ومراجعات د. عبد العزيز الحميدي.

رفض كثير من العلماء والمختصين لمزاعم الغلاة والخوارج باتباعهم ابن تيمية أو مزاعم خصوم ابن تيمية بأنه تكفيري، ومن ذلك مقال د. محمد عمارة «ابن تيمية والتكفير» فهو –على وجازته– قد لخص حقيقة موقف ابن تيمية من تكفير الناس، وقد فصل حقيقة علاقة ابن تيمية بالآخرين د. عائض الدوسري في كتابه «ابن تيمية والآخر» وهو أيضا بتقديم د. محمد عمارة.

ومما ينبغي التيقظ له أن نهج الغلاة في استجلاب تأييد ابن تيمية لغلوهم وضلالهم لا يتم إلا بالتزوير والتحريف والاجتزاء المخل لكلامه، كما فعلت داعش في تبرير جريمتها بحرق الطيار الأردني باجتزاء مخل لكلام ابن تيمية عن جواز مقابلة عدوان العدو بحرق أسرانا بحرق أسراه، فحرفوا كلامه ليبدو أنه يجيز حرق الأسرى بالمطلق[1]! وهو الأمر الذي فنده الباحثون والمختصون وبينوا كذب داعش فيه كما بينوا من قبل كذب وتحريف كثير من منظري الغلو والتكفير لكلام ابن تيمية في تبرير وترويج انحرافهم.

١ – للتوسع انظر كتاب: دلائل التحقيق والتوفيق في تحريم القتل بالتحريق، إعداد مركز التأصيل الشرعي للبحوث والدراسات.

تاسعاً: تطور فكر جماعات العنف من انحراف سلوكي إلى انحراف فكري وعقدي خارجي

تبين معنا خلال استعراض نشأة وتطور جماعات العنف المصرية كيف أنها تطورت تطوراً سلبياً بانتقالها من مجرد كونها انحرافا سلوكيا بمخالفة منهج العلماء في عصرها وتفردها بقراءة ذاتية مغلوطة لابن تيمية، ثم تدرجها في الانحراف بالخضوع لردات الفعل والتوجيه الخبيث من قبل أجهزة الأمن لتتورط في أعمال قتل واغتيال كحادثة الشيخ الذهبي على يد جماعة شكري مصطفى.

وأيضا كيف تطورت الأفكار من تكفير النظام والزبانية إلى تكفير المجتمع والناس، أو تكفير العسكر في الجيش الذين يحاربون اليهود! أو تكفير بقية السجناء الذين رضخوا تحت التعذيب لتأييد الرئيس المستبد عبد الناصر!

ورافق هذا تنظير وترسيخ لهذا الانحراف عبر ابتداع هذه الجماعات المصرية فقها جديدا للجهاد على حد وصف الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في رده المبكر على هذه الجماعات[1].

ولم يتوقف هذا الانحراف على الجماعات المصرية، فها هو أبو محمد المقدسي الشاب المندفع قليل البضاعة في العلم يحدثنا عن تطوره في الانحراف حيث كان في حلقات محمد سرور في الكويت، لكنه كان متمردا على أنظمة الجماعة ويختلط بأتباع جهيمان في الكويت، ثم ذهب للمدينة المنورة لتقديم أوراقه للدارسة في الجامعة الإسلامية ولم يقبل طلبه لكن هناك حدثت له النقلة الجديدة في الانحراف، إذ وجد نسخة قديمة –كما يقول– من كتاب الدرر السنية فطالعه ووجد أنه قريب مما يقوله سيد قطب وجهيمان، فمزج ذلك مع قراءته الذاتية لكتاب الدرر السنية وتنزيلها على الواقع، فتوصل إلى منتج جديد،

١ - مجموع أعمال الشيخ ٤/ ٣٦٩.

وهو تكفير الدول القائمة والجيش والشرطة والبرلمان، مما أحدث قطيعة بينه وبين جماعة جهيمان التي كانت تحرم دخول الجيش لأنه يجبر أفراده على حلق اللحية فقط!

يقول المقدسي عن هذا التطور: «القضايا التي خالفنا فيها كثير من الناس هي تكفير الجيش والشرطة والأنظمة، وتكفير البرلمانات، القول بأن الديمقراطية كفر. هذه المسائل جهرنا بها وكتبنا بها وصنفنا بها في مرحلة مكوثي في المدينة المنورة. لم يأت هذا تأثراً بمشايخ الجزيرة... هذا واقعنا ما هو إلا شيء بسيط يحتاج بعض أدوات العلم وتحتاج جرأة لسحب هذه الفتوى على واقعنا»[1].

وهذا أبو قتادة ينتقل عبر عدة محطات في حياته من جماعة التبليغ للسلفية العلمية إلى السلفية الحركية إلى الغلو والتكفير والفتوى بقتل نساء وأطفال رجال الشرطة والجيش لكونهم مرتدين! وهي الفتوى التي عرفت بعنوان «فتوى عظيمة الشان بجواز قتل الذراري والنسوان».

وعندنا داعش وكيف تطورت من قضية مقاومة الاحتلال الأمريكي والرافضي لتتحول لمحاربة المرتدين وهم فصائل المقاومة والشعب العراقي والسوري بحجة ردتهم لعدم مبايعتهم للخليفة المختفي كشأن مهدى الشيعة المزعوم!

وهذا التطور من الانحراف السلوكي إلى الانحراف العقدي وتبني منظومة الخوارج بتكفير المسلمين بغير مكفر ومن ثم استحلال دمائهم وأموالهم وأعراضهم هو المسار التاريخي الثابت لكل هذه الجماعات والمجموعات التي قامت بدافع الحمية غالباً لكن بسبب الجهل والغفلة وصغر السن إما وقعت في أحابيل الشبهات الإبليسية أو ورطها أعوان الشيطان في أجهزة المخابرات المتنوعة لخدمة مخططاتهم الخبيثة ضد الإسلام والمسلمين.

وقد توسعت المسائل التي خاضت فيها هذه الجماعات والتنظيمات حتى أفردت

١ – سلسلة حوارات في موقع «يوتيوب» بعنوان «ولكن كونوا ربانيين»، القسم الثاني، دقيقة ٢١.

للرد عليها رسائل علمية عدة منها رسالة إبراهيم العايد «التكفير عند جماعات العنف المعاصرة»[1] حيث ناقش فيها ضلال مواقف واعتقاد هذه الجماعات في أبواب الحكم بغير ما أنزل الله وما يتبع ذلك من وضع أنظمة وقوانين وانضمام للمؤسسات الدولية وتوقيع مواثيق عالمية وقتال الطائفة الممتنعة وباب الولاء والبراء وما يتفرع عنه.

وتطور الأفكار خاصة عند الخوارج أمر معروف مشهور، وما وقع من غلو عند هذه الجماعات في عصرنا هو من جنس ما وقع عند الخوارج السابقين، وقد فصّل ذلك وبيّن شواهده د. فهد الفهيد في بحثه «تأثر الخوارج المعاصرين، بأصول الخوارج المتقدمين».

عاشراً: خلاصة نقد منظري الغلو والعنف لمسلكهم المنحرف

مر معنا في الملحظ السابع كثرة تناقض وتصادم جماعات وتيارات الغلو فيما بينها، وهنا ملخص سريع لجانب آخر من تناقض هذا التيار من خلال رصد خلاصة نقدهم للفكر المنحرف أو السلوك العملي، وممن عني بجمع ذلك الأستاذ محمد توفيق في كتابه النقد الذاتي عند الإسلاميين (١) والتيارات القتالية[2]، والعجيب أن هذا النقد الذاتي أيضا لم يجد قبولاً من كثير من المنتسبين لهذه الجماعات، وكأن هناك إصرارا على رفض النصيحة والتوجيه من أي طرف كان!

فمثلاً أبو الوليد المصري يأخذ على جماعات القتال أنها منغلقة على نفسها وتحارب بأفرادها أمتها باعتبارهم في معسكر الأعداء، وهو ما تورطت به داعش بشكل كبير لاحقاً دون أي استفادة وتعلم من كوارث الماضي.

ويأخذ المصري على طالبان تقصيرها في توظيف الإعلام كسلاح في معركتها، وينتقد

١ – إصدار مركز نماء.
٢ – نشر مركز نماء.

بساطة تصور طالبان والقاعدة للمواجهة مع أمريكا، وبسبب السذاجة السياسية وضعف تقدير الواقع كان من السهولة اختراق أجهزة المخابرات لصفوفها، وهو الأمر الذي لا يزال يتكرر بغباء مع كثير من هذه المجموعات والجماعات.

أما أبو مصعب السوري فهو يلخص المشهد الكارثي التي تسببت به هذه التنظيمات المنحرفة بقوله: «في خلاصة مسارنا عبر أربعين سنة ما يمكن تلخيصه في كلمتين (لقد كسبنا معارك كثيرة ولكننا خسرنا الحرب في كل الميادين)".

ويجمل أخطاء التيار القتالي في:

١- خطأ في التفكير كالتشدد والتكفير، وضعف التربية الواعية وغياب فقه الواقع والسياسة الشرعية.

٢- خطأ في بنية التيار كالسرية والهرمية والقطرية، وغياب الشورى وانعدام الحس الأمني.

٣- خطأ في الأسلوب بالصدام مع بقية الإسلاميين والمواجهات الطويلة.

وبعد رصد أمثلة عديدة من النقد الذاتي لجماعات العنف لنفسها أو مثيلاتها يخلص الأستاذ محمد توفيق إلى أن هذا النقد الذاتي يكشف عن ضعف علمي تأصيلي شرعي كما يتضح من ردود منظري هذا الفكر الجهادي على بعضهم البعض، كما يكشف عن ضعف في فهم الواقع السياسي القائم وكيفية التعامل معه، وهو ما أنتج العديد من الأخطاء والأزمات، من أهمها أن معظم ضحايا هذه التنظيمات هم أهل السنة الذين يزعم قادة هذه الجماعات أنهم يدافعون عنهم!

أما طارق الزمر فيقول في كتابه «مراجعات لا تراجعات»: «لقد وصلت عمليات التغيير العسكري داخل المجتمعات الإسلامية إلى طريق مسدود، ونتائج سلبية، فضلا عن انحراف مسار العمليات العسكرية إلى محاذير شرعية خطيرة، كما اتسعت دائرة التكفير والاستحلال الذي تفرضه ساحة المعركة»[1].

١ - مراجعات لا تراجعات، ص ١٤٠، نقلا عن القصة الكاملة لخوارج عصرنا.

وللأسف أن هذه القناعات وخلاصات التجارب المرة لا يعرفها أكثر الشباب المخدوع بهذه الجماعات بل لعل كثيرا من الدعاة والعلماء الرافضين لانحراف وضلال هذه الجماعات لا يعرف بهذا النقد الذاتي ولا يوظفه لصالح توعية الشباب والمجتمع من خطورة ترك العواطف الصادقة والحماسات الملتهبة عند الشباب نهباً لنشاطات ودعايات وأناشيد تنظيمات الغلو والتكفير والإرهاب.

وأخيراً

وأخيراً

مسار الغلو والتطرف والعنف والإرهاب لا يزال يتدحرج ويكبر بجهل أفراده وظلم السلطة وسوء تصرفها، ولكن المجتمع هو من يدفع الثمن مِن أمنه، كما أن الدين يتعرض لردّات فعل سيئة ومقصودة من التشويه وكيل الاتهامات له من كثير من أعداء الدين، مما يخلق مناخا مناسبا للتطرف ولا يساعد على علاج مشكلة الغلو والتطرف العنف والإرهاب.

كانت هذه الصفحات نصيحة صادقة إن شاء الله للشباب المسلم والجيل الصاعد لتدبر تجارب العصر وتجنب تكرار الانحرافات والأخطاء، خاصة ونحن ندخل لعهد جديد فقدنا فيه الكثير من العلماء وطلبة العلم ونكاد نكون على أعتاب غربة جديدة للدين، ولا مخرج لنا من هذا الوقع الصعب إلا بالعلم الصحيح والعقل السليم الذي يستفيد من تجارب الماضي ويراكم الخبرات ويبدأ من حيث انتهى من سبقه، وبذلك تتسع دائرة الوعي ويعلو الجيل الصاعد في مدارج الاستقامة والتمكين بإذن الله عز وجل.

www.osamashahade.com